سلسلة الدروس المعارفية

البداء
آية عظمة الله

دراسة تحليلية في علم الله تعالى وقدرته والبداء



تقريراً لمحاضرات

العلامة الشيخ محمد باقر علم الهدى

السيد علي الرضوي

بسم الله الرحمن الرحیم

البداء آیهٔ عظمهٔ اللّه: دراسهٔ تحلیلیّهٔ فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

کاتب:

محمد باقر علم الهدی

نشرت فی الطباعهٔ:

ولایت

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

البداء آیه عظمه اللّه: دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

اشاره

سرشناسه : علم الهدی ، محمدباقر ، ۱۳۴۱ ۱۳۸۹

عنوان ونام پدیدآور: البداء آیه عظمه اللّه: دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء/محاضـرات الشـیخ محمّدباقر علم الهدی ؛ السیّدعلیّ الرضویّ .

مشخصات نشر : مشهد ، ولایت ، ۱۳۹۰ .

مشخصات ظاهری : ۳۳۶ص .

فروست : سلسله الدروس المعارفیه .

شابک : ۵ ۳۹ ۶۱۷۲ ۹۶۴ ۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی .

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس و همچنین از ص۳۱۵ ۳۲۲ .

موضوع : بداء

موضوع : خدا علم لا یتناهی

موضوع : خدا قدرت لا یتناهی

شناسه افزوده : رضوی ، سید علی ، ۱۳۵۶

رده بندی کنگره : ۱۳۹۰ ۴ ب ۸۳ ع / ۴۴ / ۲۱۸ BP

رده بندی دیویی : ۴۲/۲۹۷

شماره کتابشناسی ملی : ۲۶۰۸۴۶۵

البداء آیه عظمه اللّه

محاضرات العلاّمه الشیخ محمّدباقر علم الهدی

تقریر : السیّد علیّ الرضویّ

الناشر : منشورات الولایه

الطبعه الأولی ۱۴۳۳ه.ق (۱۳۹۰)

الکمیّه : ۱۰۰۰ نسخه

المطبعه : شرکه الطباعه والنشر التابعه للآستانه الرضویّه المقدّسه

الشابک : ۵ ۳۹ ۶۱۷۲ ۹۶۴ ۹۷۸

المرکز التوزیع : شارع خسروی نو سوق الکبیر لبیع السجّاد منشورات الولایه

الهاتف : ۲۲۲۱۳۱۷ ۰۵۱۱ النقّال : ۰۹۱۵۱۵۷۶۰۰۳

web-site:www.velayatpub.ir Email: velayatpub@info.ir

ص: ۱

مقدمه

ص: ۲

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ *

مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ *

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَ نْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآ لِّينَ *

الفاتحه على روح المرحوم

الحاج فائق زيد الكاظمىّ رحمه اللّه عليه

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

سلسله الدروس المعارفیّه

البداء

آیه عظمه اللّه

دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

محاضرات العلّامه الشیخ محمّد باقر علم الهدی

السیّد علیّ الرضویّ

ص: ۶

ص: ۷

شکر وتقدیر :

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

الحمـد للّه ربّ العالمین ، والصـلاه والسـلام علی محمّد وآله الطاهرین ، لا سیّما بقیّه اللّه فی الأرضـین الإمام الحجّه بن الحسن ، فداه أرواح العالمین ، واللّعن الدائم علی أعدائهم أجمعین .

أمّا بعد ، فهذه حصیله أبحاث شیخنا العلاّمه محمّد باقر علم الهدی ، حفظه الباری تعالی ورعاه فی بحث «البداء» وما یتعلّق به .

ولمّا کانت هذه المباحث من أهمّ المباحث المعارفیّه ، أحببت أن أجمعها فی کتاب یحتوی علی أهمّ أُمورها ، فجمعتها تذکره لنفسـی ولغیری ، وللّه تعالی الحمد والمنّه علی توفیقه الحسن الجمیل ، ولأستاذنا خالص الشکر ، وعلی اللّه أجره .

هذا ، وینبغی أن أُشیر إلی أنّ هذا الکتاب یحتوی علی بعض ما استوحیته من بیانات سیّدنا الأُستاذ آیه اللّه علیّ رضا القدّوسی قدس سره ، وکذا إفادات شیخنا الأُستاذ العالم الربّانیّ المیرزا جلال المروارید حفظه اللّه تعالی ورعاه . فلا یسعنی إلاّ أن أسأل الباری تعالی أن یتقبّل منهما صالح أعمالهما ، وأن یحشرهما مع محمّد وآله الطاهرین صلواته علیهم أجمعین ، وأن یتقبّل منّی هذا العمل ببرکتهم ، إنّه علی ما یشاء قدیر ، وبالإجابه جدیر .

ص: ۸

وینبغی أن أتقـدّم بالشـکر الجزیل لشـیخی وأُسـتاذی سـماحه الشـیخ کاظم الخراسانیّ حیث عرّفنی بهـذه الثلّه الطیّبه من العلماء الأبرار وبذل وقتاً کثیراً فی بیان المعارف الإلهیّه وتصحیح کتابی «سدّ المفرّ علی القائل بالقدر» و «سدّ المفرّ علی منکر عالم الذرّ» .

وکذا أشکر سماحه السیّد العمّ جواد الرضویّ علی تصحیحه هذا الکتاب وبعض الکتب الأخری .

مشهد المقدّسه

علیّ الرضویّ

۱۶/صفر الخیر/۱۴۳۰

ص: ٩

الفصل الأوّل :

أهمّيه البداء

يظهر من الأدلّه أنّ معرفه البداء من أهمّ المعارف الإلهيّه وأشرفها ، بحيث إنّ اللّه تعالى ما كان ليبعث نبيّاً إلّا بعد الإقرار بالبداء له وأنّه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت .

والظاهر أنّ الوجه في أهمّيه الإعتقاد به أنّه يرجع إلى الإعتقاد بسعه علم اللّه تعالى وسعه قدرته وسعه مالكيّته ، فعدم الإعتقاد به يوجب الخلل في المعرفه إمّا من ناحيه الشبهه في علمه تعالى والذهاب إلى أنّ اللّه تعالى خلق ما علم وما لم يخلقه إنّما لم يخلقه لجهله به وإمّا من جهه دخول الشبهه عليه في سعه قدرته تعالى على أن يفعل ما يريد ، وإمّا من جهه التشكيك في سعه مالكيّه اللّه تعالى . ولذا يكون إنكار البداء إنكار ركن أصيل من أركان المعرفه .

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه المحقّق محمّد باقر الملكيّ قدس سره ما هذا نصّه :

قد تبيّن ممّا أوردنا من الآيات والروايات أنّه تعالى مالك وقادر بذاته للفعل وضدّه ونقيضه في مرتبه ذاته ، فيمتنع صدور الفعل عنه إيجاباً من دون إعمالٍ لمالكيّته وقادريّته .

وحيث إنّه سبحانه حكيم لا يختار إلاّ ما كان مطابقاً للحكمه ، فلا محاله يختار الأفعال الحكيمه ، وبديهيّ أنّ كون الفعل مطابقاً للحكمه ، ليس علّه لإيجاده ، بل القدره حاكمه عليها ، فيفعل ما يفعل عن اقتدار وسلطانه .

وحيث إنّه لا إيجاب عليه تعالى في ما يختاره ويفعله ، فله سبحانه تبديل ما قدّره أوّلاً بتقدير جديد بما كان مطابقاً للحكمه أيضاً عن

ص: ۱۰

سلطانه ومالکیّته . وهـذا هو سـرّ البـداء ومنشؤه . أمّا إذا کان صـدور الفعل إیجاباً علیه تعالی ، فلا یکون له تعالی قـدره ولا مالکیّه ولا مشیّه ولا إراده . فعلیه لا یکون تعالی قادراً ومالکاً علی الإطلاق ، فیبطل توحیده تعالی بالقدره والمالکیّه .

ومن هنا یعلم أنّ إنکار البـداء الـذی هو آیه کونه سـبحانه قادراً ومالکاً ، إنکار لعین القدره والمالکیّه . فما عُظّم اللّه بمثل البداء . وهو سبحانه یَمْلِکُ من الأنام ما یشاء ولا یملکون منه إلّا ما یرید .

وحیث إنّ معرفه البـداء ونیل أسـراره وأغواره والتسـلیم فی قباله عباده ذاتیّه ، فما عبد اللّه بشـیء بمثل البداء . ومن هنا یُعلم أیضاً شأنه وموقعه فی معرفته تعالی وتوحیده أنّه ما تنبّأ نبیّ إلّا أن یقرّ بالبداء(۱) . انتهی کلامه رفع مقامه

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام : ما بعث اللّه عزّ وجلّ نبیّاً حتّی یأخذ علیه ثلاث خصال : الإقرار بالعبودیّه ، وخلع الأنداد ، وأنّ اللّه یقدّم ما یشاء ویوءخّر ما یشاء(۲) .

عن الإمام الرضا علیه السلام : ما بعث اللّه نبیّاً قطّ إلّا بتحریم الخمر ، وأن یقرّ له بالبداء(۳) .

عن الإمام أبی عبـد اللّه علیه السـلام : ما بعث اللّه نبیّاً قطّ حتّی یأخذ علیه ثلاثاً : الإقرار للّه بالعبودیه ، وخلع الأنداد ، وأنّ اللّه یمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء(۴) .

عن مرازم بن حکیم قال : سـمعت الإمام أبا عبـد اللّه علیه السـلام یقول : ما تنبّأ نبیّ قطّ حتّی یقرّ للّه بخمس خصال : بالبداء والمشـیئه والسجود والعبودیّه والطاعه(۵) .

۱- توحید الإمامیّه : ۳۹۲ ۳۹۳ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحید : ۳۳۳ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحید : ۳۳۱ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، المحاسن : ۱/۲۳۳ .

۵- الکافی : ۱/۱۴۸ .

ص: ۱۱

أقول : لعلّ المراد من المشیّه فی المقام حدوثها فی قبال من ذهب إلی المشیّه الأزلیّه ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه المنتجبون .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : إنّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبداء ، یبعث یوم القیامه أمّه وحده ، علیه بهاء الملوک وسیماء الأنبیاء(۱) .

أفاد العلّامه المجلسیّ قدس سره فی قوله علیه السلام : «أوّل من قال بالبداء» : «أی من قومه بنی إسماعیل أو من غیر الأنبیاء»(۲) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام : ما عظّم اللّه بمثل البداء(۳) .

عن زراره بن أعین عن أحدهما علیهماالسلام قال : ما عبد اللّه بشیء مثل البداء(۴) .

بیان : العبودیّه لغه بمعنی منتهی الخضوع للمعبود بحیث لا ـ ینبغی إلاّ ـ للمالک ، أو هی عباره عن منتهی الخضوع للمعبود مع الإعتقاد بمالکیّته للعابد ، ومن اعتقد بالبداء وأنّ اللّه تعالی قادر علی أن یفعل ما یشاء ، یکون فی منتهی الخضوع للّه تعالی .

۱- الکافی : ۱/۴۴۷ .

۲- مرآه العقول : ۵/۲۳۷ .

۳- الکافی : ۱/۱۴۶ .

۴- الکافی : ۱/۱۴۶ .

ص: ١٢

ص: ۱۳

الفصل الثانی :

الوجه فی البداء

الظاهر أنّ الوجه فی وقوع البـداء للّه تعالی هو إظهار سـلطانه لعباده ، فتزداد بـذلک معرفتهم به تعالی وأنّه علی کلّ شـیء قـدیر ، فإنّ معرفه إحـاطه اللّه تعـالی بخلیقته بحیث له أن یفنی من یشـاء منهم ، وله أن یبقی من یشاء ، وله أن یزیـد فی الخلق ما یشاء أو ینقص ، لیزید معرفه العارف باللّه تعالی ، فیعرف ربّه بالسلطنه التامّه علی خلقه ، وأنّه فی قبضته ، یفعل به ما شاء ، ولذا یخشاه ویخافه مع أنّه لا یشکّ بعـداله الباری تعالی فإنّ العباد لا یخافون إلاّ العـدل منه کما ورد فی الـدعاء «و من کلّ عـدلک مهربی»(۱) ، ویرجوه بلا نهایه لمعرفه قـدرته علی الرحمه المطـابقه للحکمه ، وأنّ الفضـل یلیق بربوبیّته ، فیبقی العـارف بـاللّه بین الخوف والرجاء أبـداً ، فیظلّ مراقباً لنفسه یلومها علی التجرّی علی مالکها ، ویوبّخها علی انتهاک حدوده ، ویحمد اللّه الخالق علی التوفیقات التی ساعدته علی الحسـنات ، ویرجوه لأن یعفو عن ذنبه .

وبکلمه واضـحه ، یعلم أنّ اللّه تعالی مبسوط الیدین ، إن شاء أخذ أخذ عزیز مقتدر وهو عدل ، وإن شاء یرحم ویعفو وهو فضل ، فإنّ اللّه تعـالی کلّ یوم هو فی شأن ، وإنّه یفعل ما یشاء ، ویرحم من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، ویعـذّب من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، لا یسئل عن فعله وهم یسئلون ، لأنّ أفعاله إمّا عدل أو فضل ، وحُسْن کلاهما ذاتیّ ، لا یعلّل بعلّه حتّی یُسأل عن وجه فعله تعالی .

لا یقال : أنّه لا یمکن لنا الإطّلاع علی وقوع البـداء للّه تعالی فلا یکون معرفه البـداء ممّا یزیـد فی معرفه العبد ، إذ البداء فعل إلهیّ ولا یمکن للمخلوق الإطّلاع علیه .

۱- الإقبال : ۳۴۵ .

ص: ۱۴

لأنّه يقال : يمكن معرفه البداء عبر أمرين :

الأمر الأوّل :

روءيه آثار التقدير الأوّل ثمّ روءيه التقدير الثانى كما حصل لقوم يونس عليه السلام حيث رأوا آثار العذاب ثمّ أدركتهم الرحمه الإلهيّه ، وكما يحصل لكثير منّا فى كثير من الأحيان عند الإتيان ببعض الصالحات الموءثّره فى التقديرات الإلهيّه كصله الرحم والصدقه وزياره سيّد الشهداء عليه السلام ، فإنّا قد نرى آثار التقدير الأوّل باقتراب البلاء منّا إلاّ أنّه يحجبه عنّا التقدير الجديد الثانى فنشكر اللّه تعالى على رفعه البلاء .

وكذا الأمر فى جانب تقدير البلاء بعد إتيان ما يستلزم ذلك ، فإنّه قد يكون الواحد منّا ماضياً فى حياه سعيده ، إلاّ أنّه يرتكب فيها بعض المحرّمات فتتبدّل حياته إلى حياه تعيسه ، فيعرف بذلك أنّ التقدير الثانى إنّما هو لأجل أفعاله القبيحه كما هو صريح قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ »(۱) فإنّ تغيير النعمه ليس إلاّ لأجل الأعمال القبيحه الصادره عن اختيار الإنسان .

الأمر الثانى :

إخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام بإمكان التغيير فى التقديرات الإلهيّه بل وقوع التغيير فى بعضها ، ومعرفه ذلك من الأنبياء الذين ثبت صدقهم يكفى فى حصول حاله الخوف والرجاء عند الموءمن .

أمّا الكلام حول البداء عن علم وقدره وحكمه وإمكان التغيير فى التقديرات ، فسيأتى فى غضون البحث إن شاء اللّه تعالى ، فانتظر .

۱- الرّعد : ۱۱ .

ص: ۱۵

الفصل الثالث :

إجمال معنى البداء

وهو يتوقّف على بيان أمور :

قـد ثبت بالأدلّه أنّ للّه تعالى البداء فى ما شاء وكيف شاء ، فإنّه لا حدّ لعلمه تعالى لعلمه بالكائنات واللّاكائنات والتقديريّات بما لا يتناهى ولا حدّ لقدرته فإنّه على كلّ شىء قدير ولا حدّ لحكمته فإنّ الحكمه كما عرفت لا تنحصر بحسب الغالب فى صوره واحده ولذا له أن يمحو ما كان مع أنّ التقدير الأوّل كان تقديراً حكيماً وأن يثبت بعده ما شاء لكمال ذاته وكونه تعالى ذا رأى وبداء .

والإلتزام بما ذكرناه لا يوجب إثبات الجهل فى حقّه تعالى لأنّ اللّه تعالى عالم أزلاً ، فهو عالم بهذا الكون ونقيض هذا الكون وأمثال هذا الكون بما لا يتناهى ، وهو عالم بصور حكيمه لا متناهيه للأكوان اللّامتناهيه . فكما أنّه عالم بهذا الكون عالم أيضاً بكون آخر ذى حكمه ، فليس خلق هذا الكون من دون سائرها لعدم قدرته تعالى على خلقها بل هى متساويه بالنسبه إلى قدرته ، ولذا لابدّ لها من المرجّح : والمرجّح هو رأيه وبداؤه ، كما أنّ ترجيح خلق هذا الكيان على سائر الأكوان ليس بعد وجود مصلحه فيه دون ما لم يختره ، بل لرأيه وبدائه الواقع على هذا الكون دون سائر الأكوان .

و بعباره أخرى : إنّ علم اللّه تعالى لا حدّ له أبداً فإنّه عالم بهذا الكون ولا كونه ، وهو عالم بأكوان متساويه فى الحكمه ، وبأكوان فاقده للحكمه وهكذا ، بل هو عالم بالتقديريّات والممتنعات أيضاً فإنّه يعلم أنّ وجود إلهين يوجب الفساد فى الكون

ص: ۱۶

كما قال سبحانه : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »(۱) ولمّا كانت الأكوان الحكيمه وغيرها متساويه بالنسبه إلى قدرته تعالى وكان اللّه تعالى قادراً على ما يريد ، ولمّا كان تعالى عالماً بأكوان متساويه فى أصل الحكمه ، لا بدّ لثبوت أحدها من التعيين ، فإنّ الشىء لا بدّ من تعيينه كى يقع فى الخارج ، ولذا لابدّ من رأيه وبدائه المرجّح لأحد الأكوان التى علمها اللّه تعالى بالعلم بلا معلوم فتحقّق أحد تلك الأنظمه الحكيمه المعلومه للّه تعالى بالعلم بلا معلوم متوقّف على رأيه وبدائه المرجّح لأحدها .

ولمّا كانت حكيمه ، لا يسئل عن علّه اختياره لأحدها دون غيره ، فإنّ الإعتراض لا يجوز على الفعل الحكيم ، والحكمه غير منحصره فى واحد منها واختيار الحكيم من سائر الأنظمه الحكيمه فعل حكيم لا يسئل فاعله عنه ، ولذا قال تعالى : « لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ »(۲) .

وورد فى دعاء أبى حمزه المروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام «ترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء وتعذّب من تشاء بما تشاء كيف تشاء» فإنّ العفو عن المذنبين فضل وهو فعل حكيم ، كما أنّ تعذيبهم بسبب أفعالهم الإختياريّه عدل وهو فعل حكيم أيضاً ، ولذا لا يسئل عن فعله أبداً سواء كان فضلاً ورحمه أم نقمه وعذاباً .

و بعباره ثالثه فيها توضيح للمطلب : معرفه البداء الذى هو آيه عظمه الربّ تعالى يتوقّف على أمور :

الأوّل : معرفه أنّ علمه تعالى علمان : علم مكفوف وعلم مبذول . والظاهر أنّ المراد من العلم المكفوف هو العلم الذى لا حدّ له ولا نهايه له أبداً فإنّه تعالى علم كلّه وقدره كلّه ، وإنّه تعالى عالم أزلاً وعلمه تعالى كشف للمعلوم قبل وقوعه ، فعلمه

تعالى علم بلا معلوم وكان اللّه تعالى عالماً بهذا النظام الذى خلقه قبل خلقه ، كما كان تعالى عالماً بنقيضه ولا وقوعه ، وهو تعالى عالم بأنظمه كونيّه بلا نهايه .

۱- الأنبياء : ۲۲ .

۲- الأنبياء : ۲۳ .

ص: ۱۷

و أمّا العلم المحمول فهو العلم الـذی حمّله رسـله وأنبیاءه وأولیاءه وملائکته ، فإنّه لمّا کان تعالی عالماً بأنظمه کونیّه متعدّده بلا معلوم ولمّـا تعلّقت مشیّته تعـالی بخلق الخلق ، یکون تحمیـل أولیـائه العلم تعییناً لأحـد تلک الأنظمه اللامتناهیه المعلومه للّه تعالی بالعلم بلا معلوم (أو آیه لما تعلّق به رأیه القدّوس) .

فالعلم المحمول هو آیه رأی اللّه تعالی لتعیین أحـد الأنظمه المعلومه له کی یخلق هذا النظام دون سائرها . والظاهر من الأخبار أنّ هذا العلم مسـمّی بالمشیّه أیضاً ، ولذا یکون العالم به حاملاً لمشیّه اللّه تعالی . وسیأتی تفصیل ذلک إن شاء اللّه تعالی . وهذا العلم علم بلا معلوم أیضاً لأنّه إنباء بما سیفعله فی الخارج مستقبلاً .

الثـانی : معرفه عـدم انحصـار الحکمه فی نظـام واحـد بل إنّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه حکیمه کما أنّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه غیر حکیمه أیضاً . وبما أنّه تعالی حکیم لا یختار الفعل الغیر حکیم إلاّ أنّه تعالی له أن یختار من بین الأنظمه الحکیمه اللامتناهیه نظاماً للخلق ، فـإنّه تعـالی علم کلّه وعـالم بجمیع الأـنظمه اللامتنـاهیه بـالعلم بلاـ معلوم ، وتحقّق شـیء منهـا دون سائرها یحتاج إلی تعیین ، والمعیّن هو رأیه القدّوس المستند إلی کمال ذاته .

وبمـا أنّ الأـنظمه التی یختار من بینها کلّها حکیمه ، لا یسـئل عن علّه اختیاره لأحـدها دون غیرها ، ذلک أنّ جمیعها مطابقه للحکمه ، ولذا قال تعالی : «لا یسئل عمّا یفعل وهم یسألون» .

الثالث : معرفه قـدرته تعالی ، فإنّه تعالی علی کلّ شـیء قدیر فما لم یکن وقوعه مسـتحیلاً فی الخارج مقدور للّه تعالی ، فقدرته تعالی علی جمیع الأـنظمه اللامتنـاهیه المعلومه له تعـالی بـالعلم بلاـ معلوم توجب مساواه جمیعهم بالنسـبه إلیه تعالی ، فله أن یفعل وله أن لا یفعل ، ولا ملزم لأحد الأطراف ، فإنّ له تعالی أن یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید .

نعم ، إنّه تعالی لا یفعل القبیح عن قدره ولذا یسبّح ویمجّد فإنّه تعالی وإن کان

ص: ۱۸

قادراً على الظلم إلّا أنّه لا يظلم أحداً ، بل إنّه تعالى لا يحتاج إلى الظلم كما ورد فى الدعاء «إنّما يحتاج إلى الظلم الضعيف واللّه أقهر من ذلك»(۱) فإنّ من كان قادراً على إيجاد مقاصده من طريق العدل ، لا يظلم أبداً .

الرابع : أنّه لابدّ لتحقّق الشىء فى الخارج من مضيّه فى سبع مراحل كما ورد فى الخبر :

عن الإمام موسى بن جعفر عليهماالسلام : لا يكون شىء فى السماوات ولا فى الأرض إلّا بسبع : بقضاء وقدر وإراده ومشيّه وكتاب وأجل وإذن . فمن زعم غير هذا ، فقد كذب على اللّه أو ردّ على اللّه عزّوجلّ(۲) .

وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء اللّه تعالى .

الخامس : بعد ما عرفت أنّ اللّه تعالى عالم بأنظمه لا متناهيه بالعلم بلا معلوم وأنّه تعالى قادر عليها فهى فى قبال قدرته سواء ويكون المخصّص لأحد تلك الأنظمه رأيه وبدائه القدّوس ، فالمعيّن لأحدها دون سائرها هو رأيه تعالى المستند إلى كمال ذاته فإنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يحقّ لأحد الإعتراض عليه أبداً .

وهل يجوز للمخلوق الضعيف أن يعترض على الربّ الجليل السلطان القدّوس العالم القادر العدل الحكيم ؟ أو لم يكن فعله تعالى مطابقاً للحكمه ؟ أو لم يكن فعله عدلاً أو فضلاً وكلاهما حسن فى غايه الحسن ؟ فإن خلق ، يكون ذلك مستندا إلى الفضل ، وإن لم يخلق يكون ذلك مستنداً إلى العدل ، فأىّ وجه للإعتراض عليه ؟ جلّت ساحه قدسه عن إعتراض الجاهلين فإنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ويرحم من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، ويعذّب من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، ولا يسئل عن فعله وهم يسئلون .

بل إنّ أصل الخلق مبنىّ على التفضّل كما ورد فى الدعاء «بنيت أفعالك على

۱- بحارالأنوار : ۵/۵۳ ، الصحيفه السجاديّه : ۲۴۰ .

۲- الكافى : ۱/۱۴۹ .

ص: ۱۹

التفضّل»(۱) ولـذا ورد فی الأخبـار أنّه تعـالی کـان ولم یکن معه شـیء ثمّ خلق الخلق فهو أزلیّ ، وکان ولم یکن معه شـیء بوجه من الوجوه ثمّ خلق الخلق فأصل الخلق مؤسّس علی التفضّل . ولـذا قـال أمیرالموءمنین علیه السلام : أنّ أوّل النعم هی نعمه الخلق «أن خلقنی جلّ ثناوءه ولم أک شیئاً مذکوراً»(۲) .

ومن هنـا ، یکون السوءال عن علّه تعلّق رأیه القـدّوس بخلق هـذا النظام دون سائر الأنظمه من أفحش الأغلاط ، لأنّ هـذا النظام حکیم کسائرها والمرجّح له هو رأیه القـدّوس المسـتند إلی کمال ذاته تعالی ، فهو ذا رأی وذا بـداء وذا قدره . هذا بالنسـبه إلی ترجیح أحد الأنظمه اللامتناهیه الحکیمه علی سائرها .

وأمّا بالنسـبه إلی البـداء فی النظـام الکـائن الحکیم ، فـأمره یعرف ممّا ذکرناه ، فإنّ اللّه تعالی وإن تعلّقت مشـیّته بوجود شـیء وأراده وقـدّره وقضـاه إلاّ أنّ له أن یبـدو له قبـل تحقّق الشـیء فی الخـارج ، فإنّ الأمر وإن اُبرم إبراماً لا یوجب الحکم علی اللّه تعالی بلزوم إتیـانه ، لأنّه تعـالی قـادر علی تغییر مشیّته قبل وقوع القضاء بالإمضاء ، والحکمه لا تنحصـر فی أمر واحـد کی یلتزم به تعالی ، بل هو تعالی عالم بأُمور وتقدیرات حکیمه فی شیء واحد بما لا یعلمه إلاّ هو .

و لمّا کـان التغییر فی العلم المحمـول لا یمسّ علمه المکفـوف بسـوء إذ أنّه مقـدّس عن کـلّ تغییر فـإنّه کشـف للأنظمه اللامتنـاهیه الحکیمه ونقیضها فإنّه تعالی کما هو عالم بهذا النظام عالم بغیره ونقیضه أیضاً لا یکون التغییر فی المشیّه مضرّاً بالعلم المکفوف ، وإن کان العلم الربّانی ورأیه القدّوس منشأً للتغییر کما ورد فی الخبر «من ذلک یکون البداء»(۳) فتدبّر جیّداً .

ثمّ إنّه لا شکّ أنّ اللّه تعالی لا یفعل القبیـح ، فلا یصـدر منه الظلم أبداً مع أنّه قادر علی ذلک ، وهذا هو وجه تسبیحه وتمجیده تعالی فإنّه یسبّح ویمجّد علی عدم

۱- الإقبال : ۲۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۶۷/۲۱ ، أمالی الطوسی : ۴۹۰ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۵ و ۱۰۹ ، بصائر الدرجات : ۱۱۰ .

ص: ۲۰

الظلم كما قال تعالى : « وَمَا رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ »(۱) ولذا يكون الخوف من اللّه تعالى خوفاً من عدله وقسطه كما ورد فى الدعاء «من كلّ عدلك مهربى»(۲) ولكنّ الكلام يدور حول مصداق الظلم والعدل . فقد يخفى على العاقل ذلك فلا يعلمه ولا يمكن أن يتذكّر إلّا عبر تعليم المعلّم الإلهى المعصوم وتذكير المذكّر ، فقد يتّفق أن يجهله العاقل أو يغفل عن ذلك كما حصل لموسى عليه السلام فى قصّته مع العالم ، فظنّ أنّ قتل الغلام بغير نفس من مصاديق الظلم ، ولذا اعترض عليه وكم لذلك من نظير .

و لا ريب أنّ المحال وقوعه عقلاً لا يمكن صدوره منه تعالى ، وليس هذا لنقص فى قدره اللّه تعالى بل هو لامتناع وقوع الشىء ذاتاً . فعدم إمكان خلق إله وربّ آخر ليس لنقص فى قدره اللّه تعالى بل لامتناع ذلك ذاتاً ، فإنّ المخلوق لا يمكن أن يكون ربّاً لفقره الذاتىّ واحتياجه إلى الغير فى ذاته .

قال شيخنا الأُستاذ آيه اللّه الميرزا حسن علىّ المرواريد قدس سره :

القدره إنّما تتعلّق بشىء ممكن فى ذاته دون الممتنع ، كالجمع بين النقيضين ، وليس ذلك نقصا فيها ، بل النقص فى المتعلّق وهو امتناعه ذاتا ، وهذا هو المراد من روايه ابن أُذينه عن أبى عبداللّه عليه السلام ، قال : قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام : هل يقدر ربّك أن يدخل الدنيا فى بيضه ، من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضه ؟

قال : إنّ اللّه تعالى لا ينسب إلى العجز ، والذى سألتنى لا يكون(۳) .

وفى روايات أُخر أوردها فى البحار جوابان آخران مرجعهما إلى بيان أنّ ما يمكن فى مورد السؤال أمرين : أحدهما أن يصغّر الكبير أو يكبّر البيضه ، والثانى انطباع صوره الكبير فى عدسه العين ، أو إحاطه الشعاع الذى قاعدته فى العدسه على الكبير ، على أحد القولين فى

۱- فصّلت : ۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۹۵/۲۲۲ ، الإقبال : ۳۴۵ .

۳- التوحيد للصدوق : ۱۳۰ ح ۹ .

ص: ۲۱

كيفيّه الإبصار ، وأنّ اللّه تعالى قادر عليهما جميعا . وعدم التصريح فيهما بعدم تعلّق القدره بالمحال كما صرّح به أميرالمؤمنين عليه السلام فى الروايه المتقدّمه وبيّنه الإمام الصادق عليه السلام لعمر بن أُذينه لعلّه إمّا لكون السائل معاندا ، فيتشبّث بقوله : الذى سألتنى لا يكون لإثبات قصور القدره وعجزه تعالى ، أو لكونه قاصر الفهم فيتوهّم ذلك من كلام الإمام عليه السلام (۱) .

و هنا أيضاً قد يتّفق أن يظنّ العاقل بأنّ أمراً من الأُمور من الممتنعات ، إلاّ أنّه ليس كذلك ، ولذا لا يمكن الإستغناء فى كشف الممتنعات عن تذكير المذكّرين وتعليم المعلّمين فيمكن أن يظنّ العاقل عدم إمكان سلب الحراره من النار إلاّ أنّ العارف بعلوم أهل البيت عليهم السلام يعرف إمكان ذلك لأنّ الإحراق ليس ذاتيّاً للنار بل هو من الأعراض ، ويمكن سلب الأعراض عن الجواهر فإنّ الأدلّه قد دلّت على أنّ مادّه جميع الكائنات واحده وهى مسمّاه بالماء والإختلاف الحاصل بين الأشياء ليس ذاتيّاً بل هو من الأعراض كما بيّن ذلك عالم آل محمّد الإمام الرضا عليه السلام «خلق خلقاً مبتدعاً مختلفا بأعراض وحدود مختلفه»(۲) ومن أتقن هذا الأمر لا يصعب عليه تحمّل ما دلّ من الأدلّه على تبديل النار إلى برد وسلام كما فى قصّه إبراهيم عليه السلام وعلى ولاده الإنسان من دون أب كما فى عيسى النبى عليه السلام وغيرهما من الأمثله الوارده فى الكتاب والسنّه .

وغير خفىّ أنّ أفعال اللّه تعالى حسنه وحكيمه دائماً ، فلا يصدر منه القبيح والعبث أبداً فكلّ أفعاله حميده وكلّ مشيّته حكيمه ، بل إنّ أفعاله تعالى مبتيّه على التفضّل كما ورد فى الدعاء «بنيت أفعالك على التفضّل»(۳) والتفضّل حسن بحكم

۱- تنبيهات حول المبدأ والمعاد : ۱۴۱ ۱۴۲ .

۲- بحارالأنوار : ۱۰/۳۱۱ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ۱/۱۶۸ ، التوحيد : ۴۲۹ .

۳- الاقبال : ۲۴۸ .

ص: ۲۲

العقل ، ولکن لابدّ من الإلتفات إلی أنّ أفعاله الحکیمه لا تنحصر فی صوره واحده بل قد یکون للشیء الواحد حِکَم لا متناهیه کما لو أراد اللّه تعالی أن یعیش زید لمدّه عشره أعوام فإنّ ذلک فعل حکیم وکذا لو أراد أن یعیش لمدّه خمسین عاماً أو أقل أو أکثر من ذلک لأنّ ذلک مبتن علی الفضل والجود وکلّ ذلک حکیم .

بل الحکمه قد تکون فی طرفی الفعل والترک ، فإذا عصی العبد ربّه فللربّ تعالی أن یوءاخذه فإنّ ذلک عدل ومطابق للحکمه ، کما أنّ له أن لا یوءاخذه ویعفو عنه فإنّ ذلک فضل ومطابق للحکمه أیضاً .

و من الواضح أنّ الآثار التی نراها فی حیاتنا الیومیّه کالریّ لمن شرب الماء ، والشبع لمن أکل الطعام ، والإحراق للنار وما أشبه وکذا الآثار المترتّبه علی الأفعال الحسنه کالإطمئنان بذکر اللّه تعالی کما قال تعالی : « أَلَا بِذِکْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »(۱) والآثار المترتّبه علی الأعمال السیّئه کموت الفجأه المترتّب علی الزنا کما ورد فی الخبر «إذا کثر الزنا کثر موت الفجأه»(۲) جمیعها جعلیّه ومرهونه بإراده اللّه تعالی ، ولا ـ علیّه فی التکوین ولا ـ فی التشریع بل للّه تعالی أن یوقف کلّ أثر متی شاء ، فله أن یسلب الحراره من النار ، ویوقف تأثیر الزنا فی موت الفجأه ... وهکذا .

ثمّ إنّه وإن کان من اللازم علی الإنسان أن یمضی وفقاً للآثار الجعلیّه الإلهیّه فعلیه أن یعود الطبیب إذا مرض مثلاً ـ ، إلاّ ـ أنّه یجب الإعتقاد بأنّ هذه الآثار آثار جعلیّه وللّه تعالی أن یفصل کلّ أثر عن الموءثّر فعوده الطبیب واستعمال دوائه حتی الدواء الصائب لا یوءثّر إلاّ أن یشاء اللّه تعالی .

إذا عرفت ذلک ، یتّضح لک معنی البداء وآثاره فتعرف مدی سلطنه اللّه تعالی وأنّها غیر متناهیه ولا حدّ ولا حصر لمالکیّته وأنّه یفعل ما یشاء ولا یفعل ما یشاء غیره ، فلا حصر لمالکیّته تعالی لا من حیث الحکمه فإنّها غیر منحصره فی أمر واحد ولا من حیث العلم فإنّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه بالعلم بلا معلوم ولا

۱- الرّعد : ۲۸ .

۲- بحارالأنوار : ۷۶/۲۷ ، المحاسن : ۱/۱۰۷ .

ص: ٢٣

من حيث الآثار للأشياء فإنّها رهن إراده اللّه تعالى ولذا يكون العارف بمعنى البداء خائفاً راجياً .

هذا إجمال معنى البداء . ولأجل أهميّه الموضوع لابدّ من بيان أدلّته بالتّفصيل .

ص: ۲۴

ص: ۲۵

الفصل الرابع :

معرفه علم اللّه تعالى

الظاهر من الأخبار أنّ للّه تعالى علمين : علم مكفوف لا يعلمه إلّا هو ، وعلم محمول علّمه رسله وأنبياءه وأولياءه وملائكته .

عن الإمـام جعفر بن محمّـد عن أبيه عليه السـلام قـال : إن للّه علمـاً خاصّـاً وعلمـاً عامّـاً . فأمّـا العلم الخاصّ فالعلم الـذى لم يَطّلع عليه ملائكته المقربين وأنبياءه المرسـلين . وأمّا علمه العامّ فإنّه علمه الذى أطلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسـلين ، وقد وقع إلينا من رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۱) .

أقول : الظاهر أنّ عدم اطّلاع أحد على العلم الخاصّ إنّما هو لأجل أنّ ذلك العلم مختصّ به ، وهو عين ذاته القدّوس .

عن الإمـام أبى جعفر عليه السـلام قـال : إنّ للّه علمين : علمـاً مبـذولاً وعلماً مكفوفاً . فأمّا المبـذول فإنّه ليس من شـىء يعلمه الملائكه والرسل إلّا نحن نعلمه . وأمّا المكفوف فهو الذى عند اللّه فى أمّ الكتاب(۲) .

أقول : المراد من العلم المكفوف هو علمه الذاتىّ المحيط بكلّ شىء .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : إنّ للّه لَعلماً لا يعلمه غيره ، وعلماً يعلمه ملائكته المقرّبون وأنبياوءه المرسلون ونحن نعلمه(۳) .

عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام قال : إنّ للّه علماً يعلمه ملائكته وأنبياوءه ورسله ، ألا

۱- بحارالأنوار : ۴/۸۵ ، التوحيد : ۱۳۸ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، بصائر الدرجات : ۱۱۱ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۸۶ ، التوحيد : ۱۳۸ .

ص: ٢۶

ونحن نعلمه ، وللّه علم لا یعلمه ملائکته وأنبیاوءه ورسله(١) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : إنّ للّه علمین : علم مکنون مخزون لا ـ یعلمه إلاّ ـ هو ، من ذلک یکون البداء ، وعلم علّمه ملائکته ورسله وأنبیاءه فنحن نعلمه(٢) .

بیان : الظاهر أنّ المراد من العلم المخزون هو العلم الذاتیّ ولذا لا یعلمه أحد لعدم تناهیه ، فإنّ المخلوق المحدود لا یمکن أن یکون علمه غیر متناه أبداً وهذا العلم هو المنشأ للبداء ، فإنّه تعالی لعلمه بالکائنات ونقائضها والأنظمه اللامتناهیه الحکیمه ، له أن یبدو له عن علم فیمحو ما کان ویثبت ما لم یکن .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه علیّ النمازیّ الشاهرودیّ قدس سره ما هذا نصّه :

لعلّ المراد بالعلم المکنون المخزون الذی لا ـ یعلمه إلاّ ـ هو ، هو العلم الذی عین ذاته القدّوس المقدّس المنزّه عن الحدّ والتعیّن والمعلوم والعلیّه فمنه البداء ، والرأی فی العلم المبذول إلی ملائکته وأنبیائه وأولیائه فی غیر المحتوم منه ، فإنّ فی هذا العلم المبذول أمورا محتومه جائیه لا محاله ، ومنه أمور موقوفه یقدّم منها ما یشاء ویوءخّر ما یشاء ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء(٣) . انتهی کلامه .

و أمّا ما أفاده سیّد الفقهاء والمجتهدین المحقّق الخوئیّ قدس سره علی ما فی التقریرات من إرجاع العلم المخزون المکنون إلی قضائه ، فلا ـ یمکن المساعده علیه بوجه فإنّه من الواضح أنّ القضاء والقدر من أفعاله تعالی ولا ـ یصحّ إطلاق القضاء والقدر علی العلم المخزون المکنون بالضروره ، فلاحظ العبارات التالیه :

أفاد قدس سره : قضاؤه تعالی الذی لم یطلع علیه أحداً من خلقه حتّی نبیّنا محمّد صلی الله علیه و آله وهو العلم المخزون الذی استأثر به لنفسه ، المعبّر عنه باللّوح المحفوظ تاره وبأمّ الکتاب تاره أخری . ولاریب أنّ البداء

١- بحارالأنوار : ۴/٨٩ ، بصائر الدرجات : ١١٢ .

٢- الکافی : ١/١۴٧ .

٣- مستدرک سفینه البحار : ١/٢٩١ .

ص: ۲۷

یستحیل أن یقع فیه . کیف یتصوّر فیه البداء وإنّ اللّه سبحانه عالم بجمیع الأشیاء بشتّی ألوانها منذ الأزل لا یعزب عن علمه مثقال ذرّه لا فی الأرض ولا فی السماء ، ومن هنا قد ورد فی روایات کثیره أنّ البداء إنّما ینشأ من هذا العلم لا أنّه یقع فیه(۱) .

وأفاد قدس سره : أنّ اللّه سبحانه عالم بالأشیاء بشتّی أنواعها وأشکالها منذ الأزل وأنّ لها بجمیع أشکالها تعییناً علمیّاً فی علم اللّه الأزلیّ ، ویعبّر عن هذا التعیین بتقدیر اللّه مرّه وبقضائه مرّه أخری . ومن ناحیه ثالثه إنّ علمه تعالی بالأشیاء منذ الأزل لا یوجب سلب قدره اللّه تعالی واختیاره عنها ، ضروره أنّ حقیقه العلم بشیء الکشف عنه علی واقعه الموضوعیّ من دون أن یوجب حدوث شیء فیه ، فالعلم الأزلیّ بالأشیاء هو کشفها لدیه تعالی علی واقعها من الإناطه بمشیئه اللّه واختیاره فلا یزید انکشاف الشیء علی واقع ذلک الشیء(۲) . انتهی کلامه رفع مقامه .

و یرد علی هذا الکلام : أنّ العلم غیر الفعل فإنّ الفعل حادث والقضاء والقدر من أفعال اللّه تعالی ولا یصحّ إطلاق العلم علیهما .

ویحتمل أن یکون مراده قدس سره من القضاء هو العلم غیر المحمول ، وبناء علی ذلک لا یرد علیه ما أوردناه ، إلّا أنّه لا وجه لإطلاق القضاء علی العلم غیر المحمول إذ القضاء فعله تعالی القدّوس وشتّان ما بینه وبین العلم غیر المحمول .

ثمّ إنّه لم یتّضح لنا مراده قدس سره من قوله : «إنّ اللّه سبحانه عالم ... وبقضائه مرّه أُخری» هل یرید قدس سره بذلک أنّ اللّه تعالی عالم بجمیع الأنظمه اللامتناهیه بالعلم بلا معلوم . فإن کان کذلک فمتین جدا ، إلّا أنّ علمه غیر المحمول غیر معیّن بوجه من

۱- محاضرات فی أصول الفقه : ۵/۳۳۵ (۴۶/۴۹۹) .

۲- محاضرات فی أصول الفقه : ۵/۳۳۴ (۴۶/۴۹۷) .

ص: ۲۸

الوجوه کما ستعرف إن شاء اللّه تعالی .

أو یرید قدس سره بذلک أنّه تعالی عالم أزلاً بما یقع فی الخارج زمانا کان کذلک ، فیرد علیه أنّه تعالی عالم بما لا یکون أیضا وبما لا یریده ، کما أنّه لابدّ من التنبّه إلی أنّ العلم بالشیء قبل کونه ، یختلف عن تقدیره وإمضاء وقوعه فی الخارج کما ستعرف إن شاء اللّه تعالی .

نعم ما أفاده قدس سره بأنّ علمه الأزلیّ بالأشیاء لا یوجب سلب القدره والإختیار منه متین جدّاً ، إلّا أنّ الکلام یدور حول أنّ العلم الإلهیّ لیس قضاءً وتقدیراً بل هو المنشأ للقضاء والقدر ولذا لا یکون بداؤه إلّا عن علم .

عن الفضیل بن یسار قال : سمعت الإمام أبا جعفر علیه السلام یقول : العلم علمان : فعلم عند اللّه مخزون لم یطلع علیه أحداً من خلقه ، وعلم علّمه ملائکته ورسله . فما علّمه ملائکته ورسله ، فإنّه سیکون لا یکذّب نفسه ولا ملائکته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون یقدّم منه ما یشاء ویوءخّر منه ما یشاء ویثبت ما یشاء(۱) .

أقول : الظاهر من هذا الخبر أنّ العلم المخزون عنده هو المنشأ للبداء ، فبذلک العلم یقدّم ما یشاء ویوءخّر ما یشاء ویثبت ما یشاء .

و أمّا العلم المحمول فإنّه تعالی لا یغیّره کی لا یکذّب رسله وأولیاءه وملائکته . ومقتضی الجمع بین هذا الخبر وأمثاله مع ما دلّ علی تغییر ما أنبأه أنبیاءه وملائکته کما ستعرف هو أنّ التغییر لا یقع علی المحتوم منه الذی أخبرهم بحتمیّته لا ما أخبرهم به مطلقاً ، واللّه تعالی العالم . فلاحظ الخبر الآتی :

الحسن بن محمد النوفلی یقول : قال الإمام الرضا علیه السلام لسلیمان المروزی : وما أنکرتَ من البداء یا سلیمان واللّه عزّ وجلّ یقول : « أَوَلَا یَذْکُرُ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ یَکُ شَیْئا »(۲) ویقول عزّ وجلّ : « وَهُوَ الَّذِی یَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ »(۳) ویقول :

۱- الکافی : ۱/۱۴۷ .

۲- مریم : ۶۷ .

۳- الروم : ۲۷ .

ص: ۲۹

« بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ »(۱) ويقول عزّ وجلّ : « يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ »(۲) ويقول : « وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ »(۳) ويقول عزّ وجلّ : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّه إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ »(۴) ويقول عزّوجلّ : « وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كِتَابٍ »(۵) ؟

قال سليمان : هل رويت فيه شيئاً عن آبائك ؟

قال : نعم ؛ رويت عن أبى عبداللّه صلوات اللّه عليه أنّه قال : إن للّه عزّ وجلّ عِلْمَين : علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلاّ هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علّمه ملائكته ورُسُله فالعلماء من أهل بيت نبيّه يعلمونه .

قال سليمان : أُحبّ أن تنزعه لى من كتاب اللّه عزّ وجلّ .

قال صلوات اللّه عليه : قول اللّه عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه و آله : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ »(۶) أراد هلاكهم ، ثمّ بدا للّه تعالى فقال : « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »(۷) .

قال سليمان : زدنى جُعلت فداك .

قال الرضا صلوات اللّه عليه : لقد أخبرنى أبى عن آبائه أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال : إنّ اللّه عزّ وجلّ أوحى إلى نبىّ من أنبيائه أن أخبر فلان الملك أنى مُتوفّيه إلى كذا وكذا ، فأتاه ذلك النبىّ فأخبره فدعا اللّه الملك وهو على سريره حتّى سقط من السرير فقال : يا ربّ ، أجّلنى حتّى يشبّ طفلى وأقضى أمرى ، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى ذلك النبىّ أن ائت فلان الملك فأعلمه أنّى قد أنسيتُ فى أجله ، وزدتُ فى عمره خمس عشره سنهٍ ، فقال ذلك النبىّ : يا ربّ ، إنّك لتعلم أنّى لم أكذب قطّ ، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليه : إنّما أنت عبدٌ مأمورٌ فأبلغه ذلك ، واللّهُ لا يُسئل عمّا يفعل .

۱- البقره : ۱۱۷ ، الأنعام : ۱۰۱ .

۲- فاطر : ۱ .

۳- البقره : ۱۱۷ ، الأنعام : ۱۰۱ .

۴- التوبه : ۱۰۶ .

۵- فاطر : ۱۱ .

۶- الصافات : ۱۷۴ .

۷- الذاريات : ۵۴ ۵۵ .

ص: ۳۰

ثمّ التفت إلی سلیمان فقال : أحسبک ضاهیت الیهود فی هذا الباب .

قال : أعوذ باللّه من ذلک ، وما قالت الیهود ؟

قال : قالت : « یَدُ اللّه مَغْلُولَهٌ » یعنون أنّ اللّه قد فرغ من الأمر فلیس یُحدث شیئاً ، فقال اللّه عز وجل : « غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا »(۱) ولقد سمعت قوماً سألوا أبی موسی بن جعفر صلوات اللّه علیهما عن البداء ، فقال : وما یُنکر الناس من البداء وأن یَقِفَ اللّه قوما یُرجئهم لأمره .

قال سلیمان : ألا تُخبرنی عن « إِنَّا انزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ »(۲) فی أیّ شیء أُنزلت ؟

قال الرضا صلوات اللّه علیه : یا سلیمان ، لیله القدر یُقدّر اللّه عزّ وجلّ فیها ما یکون من السنه إلی السنه من حیاهٍ أو موتٍ أو خیرٍ أو شرٍّ أو رزقٍ ، فما قدّره فی تلک اللیله فهو من المحتوم .

قال سلیمان : الآن قد فهمتُ جُعلت فداک ، فزدنی .

قال صلوات اللّه علیه : یا سلیمان ، إنّ من الأُمور أُموراً موقوفه عند اللّه تبارک وتعالی یُقدّم منها ما یشاء . یا سلیمان ، إنّ علیاً صلوات اللّه علیه کان یقول : العلم علمان : فعلمٌ علّمه اللّه ملائکته ورُسُله ، فما علّمه ملائکته ورُسُله فإنّه یکون ولا یُکذّب نفسه ولا ملائکته ولا رُسُله ، وعلمٌ عنده مخزون لم یُطْلِعْ علیه أحداً من خلقه یُقدّم منه ما یشاء ، ویُوءخّر منه ما یشاء ، ویمحو ما یشاء ، ویُثبت ما یشاء .

قال سلیمان للمأمون : یا أمیر الموءمنین ، لا أُنکر بعد یومی هذا البداء ولا أُکذّب به إن شاء اللّه(۳) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی وقوع البداء فیما أعلمه اللّه تعالی أنبیاءه وأولیاءه فإنّ اللّه تعالی قدّر العذاب علی مناوئی الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله إلاّ أنّه تعالی بدا له ولم ینزل علیهم العذاب ، وکذا الأمر بالنسبه إلی السلطان الذی نبأه النبی علیه السلام

۱- المائده : ۶۴ .

۲- القدر : ۱ .

۳- بحارالأنوار : ۱۰/۳۲۹ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۸۲ ، التوحید : ۴۴۴ .

ص: ۳۱

بالموت .

و أمّا توضيح الخبر الشريف برمّته ، فسيأتی إن شاء اللّه تعالی . فانتظر .

ويحتمل أن يكون المراد من عدم تغيير القضاء بعد إخبار الأنبياء عليهم السلام هو عدم التغيير بحسب الغالب لا مطلقاً واللّه تعالی العالم .

فاتّضح بذلک ثبوت علمين للّه تعالی أحدهما علم مختصّ به وهو العلم المكفوف المخزون عنده الذی لا يعلمه إلّا هو وهو الذی ينشأ منه البداء ، وعلم محمول حمّله أنبياءه وأولياءه وملائكته ، وهذا العلم لا يقع فيه البداء إذا كان من الحتميّات الذی أخبر بعدم وقوع البداء فيها لا مطلقاً أو عدم وقوع البداء فيه بحسب الغالب .

ص: ۳۲

ص: ۳۳

العلم المخزون

قد عرفت أنّ العلم المخزون هو العلم الذاتيّ الإلهيّ الذى لم يطلع عليه رسله وأنبياءه وأولياءه وملائكته . والظاهر أنّ عدم اطّلاعهم عليه إنّما هو لأجل أنّه عين ذاته فإنّه علم كلّه وهذا العلم لا تناهى له أبداً فإنّه كشف للأنظمه اللامتناهيه . فاللّه تعالى عالم بما لا يتناهى ويدلّ على ما ذكرنا من سعه علمه تعالى وعدم تناهى علمه الذاتى العقل ، فإنّه يكشف لنا عدم محدوديّته ، فإنّ المحدوديّه من خصوصيّات المخلوق وهو منزّه عنها .

ويظهر لنا بنور العقل عدم إمكان الإحاطه على علمه الذاتيّ لاستحاله إحاطه المحدود والمتناهى على غير المحدود وغير المتناهى . وأمّا الأدلّه النقليّه المرشده إلى ما يستكشفه العقل ، فهى كثيره ، نذكر بعضها :

العلم المخزون فى الآيات :

الآيه الأولى :

قال اللّه تعالى : « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيما حَكِيما »(۱) .

أقول : الظاهر أنّ الوجه فى قبول توبتهم هو علمه تعالى وقدرته بإصلاح ما فات منهم كما ورد فى الدعاء «يا رادّ ما قد فات»(۲) فإنّ التوبه غير لازمه عليه تعالى بل له أن يعفو بمقتضى فضله كما أنّ له أن يوءاخذ بمقتضى عدله ، وبما أنّه تعالى عالم بكلا

۱- النساء : ۱۷ .

۲- بحارالأنوار : ۹۲/۴۰۰ ، مهج الدعوات : ۱۵۴ .

ص: ۳۴

الأمرین یکون المخصّص لأحدهما رأیه القدّوس المستند إلی کمال ذاته .

الآیه الثانیه :

وقال تعالی : « وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّه ُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللّه َ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّه َ کَانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیما »(۱) .

بیان : الظاهر أنّ السوءال من فضل اللّه تعالی مقتض لإجابته تعالی ، فإنّه تعالی عالم بکلّ شیء ویستطیع أن یجیب دعوه الداعین ، فمن دعاه سمعه وکان باستطاعته أن یجیبه بمقتضی فضله کما أنّ له تعالی أن لا یجیبه عدلاً .

والحاصل أنّه لمّا کان اللّه تعالی عالماً بجمیع الأُمور کائنها وغیر کائنها ، وقادراً علی فعل ما یرید ولم یکن لفضله وجوده حدّ وکان السوءال منه تعالی عبودیّه تقتضی الإجابه ، فلذا یکون للّه تعالی الرأی فی الإجابه أو عدمها .

الآیه الثالثه :

وقال تعالی : « مَا کَانَ لِمُؤْمِنٍ أن یَقْتُلَ مُؤْمِنا إلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنا خَطَأً فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَدِیَهٌ مُسَلَّمَهٌ إلَی أهْلِهِ إلاَّ أن یَصَّدَّقُوا فَإِن کَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَکُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَإِن کَانَ مِن قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَبَیْنَهُم مِیثَاقٌ فَدِیَهٌ مُسَلَّمَهٌ إلَی أَهْلِهِ وَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ فَمَن لَمْ یَجِدْ فَصِیَامُ شَهْرَیْنِ مُتَتَابِعَیْنِ تَوْبَهً مِنَ اللّهِ وَکَانَ اللّه ُ عَلِیما حَکِیما »(۲) .

أقول : الظاهر من الآیه المبارکه أنّ عدم حصر الکفّاره فی تحریر الرقبه واتّساعها إلی الصیام لمدّه شهرین متتابعین یدلّ علی سعه علمه تعالی وحکمته ، فإنّه تعالی لمّا کان عالماً بأُمور حکیمه إلی ما لا یتناهی ، له أن یجعل واجباً مترتّباً علی عدم إمکان إتیان الواجب الآخر ، وهذا یدلّ علی سعه علمه تعالی .

الآیه الرابعه :

وقال تعالی : « یَا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَکُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّکُمْ فَآمِنُوا خَیْرا لَکُمْ وَإِن

۱- النساء : ۳۲ .

۲- النساء : ۹۲ .

ص: ۳۵

تَکْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِی السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَکَانَ اللّه ُ عَلِیما حَکِیما »(۱) .

بیان : الظاهر من الآیه المبارکه هو أنّ کفر الکافرین لا یوجب انسداد الطریق علی اللّه تعالی ، فإنّه تعالی قادر علی خلق أُناس موءمنین باختیارهم فإنّه لا حدّ لعلمه تعالی ، کما أنّه لا حدّ لحکمته وقدرته کما قال تعالی : « یَا أَیُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ * إِن یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَیَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ ، وَمَا ذلِکَ عَلَی اللَّهِ بِعَزِیزٍ »(۲) فإنّ إذهاب الخلق والإتیان بخلق جدید موءمنین به تعالی ، غیر عزیز علی اللّه تعالی لسعه علمه وحکمته وقدرته .

الآیه الخامسه :

وقال تعالی : « أَوَلَمْ یَسِیرُوا فِی الأَرْضِ فَیَنظُرُوا کَیْفَ کَانَ عَاقِبَهُ الَّذِینَ مِن قَبْلِهِمْ وَکَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَمَا کَانَ اللَّهُ لِیُعْجِزَهُ مِن شَیْءٍ فِی السَّماوَاتِ وَلاَ فِی الأَرْضِ إِنَّهُ کَانَ عَلِیما قَدِیرا »(۳) .

أقول : الظاهر من الآیه المبارکه أنّها فی مقام تهدید من لا یوءمن باللّه تعالی فحذّرتهم بما فعل اللّه تعالی بالسابقین علیهم من الکفّار مع أنّهم کانوا أشدّ قوّه من الحاضرین وتعذیبهم مع أنّ تعذیب هؤلاء بمکان من الإمکان وهو رهن لمشیّه اللّه تعالی ورأیه وبدائه ، فلو شاء أن یعذّبهم لفعل ، ولا یسئل عن فعله وهم یسئلون .

الآیه السادسه :

وقال تعالی : « هُوَ الَّذِی أَنزَلَ السَّکِینَهَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ لِیَزْدَادُوا إِیمَانا مَعَ إِیمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَکَانَ اللَّهُ عَلِیما حَکِیما »(۴) .

بیان : الظاهر من هذه الآیه المبارکه أنّ اللّه تعالی أنزل السکینه علی قلوب

الموءمنین فی الحرب ، وأنّ المراد بالسکینه هی معرفه الربّ به تعالی فإنّه یوجب الطمأنینه والسکینه . وقد ورد فی الأخبار أنّه الإیمان فلاحظ :

۱- النساء : ۱۷۰ .

۲- فاطر : ۱۵ ۱۷ .

۳- فاطر : ۴۴ .

۴- الفتح : ۴ .

ص: ۳۶

عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السـلام قـال : سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ « أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ »(۱) قال : هو الإیمان . قال : وسألته عن قول اللّه عزّ وجلّ : « وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ »(۲) قال : هو الإیمان(۳) .

وعـن حفص بن البخـتریّ وهشـام بن سـالم وغیرهمـا عن أبی عبـد اللّه علیه السـلام فی قـول اللّه عزّ وجـلّ : « أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ » قال : هو الإیمان(۴) .

ومن الواضح أنّ الإیمان النازل من قبل اللّه تعالی لیس الإیمان الصادر من العبد ، بل هو ما یستوجب بعده الإیمان وهو المعرفه .

ومضافاً إلی ذلک فإنّ له تعالی جنود السماوات والأرض وهو العلیم الحکیم ، فله أن ینزلهم نقمهً علی الکافرین ورحمهً للموءمنین وله أن یمحّص الموءمنین بالقتال من دون الجنود ، واللّه تعالی العالم .

الآیه السابعه :

وقال تعالی : « وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ »(۵) .

عن تفسـیر القمی محمد بن جعفر عن محمد بن أحمد بن محمد بن السیاری عن فلان قال : خرج عن أبی الحسن علیه السلام قال: إنّ اللّه جعل قلوب الأئمه مورداً لإرادته فإذا شاء اللّه شیئاً شاءوه وهو قوله « وما تشاؤون إلاّ أن یشاء اللّه ربُّ العالمین »(۶) .

قال العلاّمه المجلسیّ قدس سره :

هـذا أحسن التوجیهات فی تلک الآیات بأن تکون مخصوصه بالأئمه علیهم السـلام علی وجهین : أحـدهما أنّهم علیهم السـلام صاروا ربّانیّین خـالین عن مراداتهم وإرادتهم فلاـ تتعلّق مشـیّتهم إلاّـ بما علموا أنّ اللّه تعالی یشاؤه . وثانیهما معنی أرفع وأدقّ من ذلک وهو أنّهم لمّا صیّروا

۱- الفتح : ۴ .

۲- المجادله : ۲۲ .

۳- الکافی : ۲/۱۵ ح ۱ .

۴- الکافی : ۲/۱۵ ح ۴ .

۵- التکویر : ۲۹ .

۶- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۵ ح ۴ ، تفسیر القمّیّ : ۲/۴۰۹ .

ص: ۳۷

أنفسهم كذلك صاروا بحيث ربّهم الشائىّ لهم والمريد لهم ، فلا يفعلون شيئا إلّا بما يفيض اللّه سبحانه عليهم من مشيّته وإرادته ، وهذا أحد معانى قوله تعالى « كنت سمعه وبصره ويده ولسانه» وسيأتى بسط القول فى ذلك فى كتاب مكارم الأخلاق إن شاء اللّه تعالى ؛ انتهى كلامه رفع مقامه(۱).

أقول: سنبيّن المستفاد من كلام العلّامه المجلسىّ قدس سره فى بيان الخبر الشريف إن شاء اللّه تعالى وبناء على ما أفاده يتبيّن شدّه عبوديّه أئمه الهدى عليهم السلام بحيث صاروا لا يريدون إلّا ما أراده اللّه تعالى بناء على الإحتمال الأوّل المذكور فى كلامه أو لا يريدون شيئاً أبداً فى قبال إراده الربّ تعالى ، بل أصبحوا محلّاً لإراده اللّه تعالى فمشيّتهم مشيّه اللّه فما لم يرد اللّه تعالى شيئاً لا يريدونه وما لم يشأ اللّه تعالى شيئاً لا تكون لهم مشيّه بناء على الإحتمال الثانى المذكور فى كلامه .

ويناسب المقام البحث فى مفاد الآيه المباركه فإنّها من الآيات التى وقعت محطّاً للآراء المختلفه من قبل المفسّرين وإليك تفصيل الكلام .

الظاهر من الآيه المباركه هو إثبات المشيّه للخلق بمشيّه من اللّه تعالى فالإستثناء من النفى إثبات للشىء ، فالخلائق لا يشاؤون إلّا أن يشاء اللّه تعالى ، ومعنى ذلك أنّهم لا يستطيعون المشيّه المتقوّمه بنور القدره إلّا أن يشاء اللّه تعالى لهم أن يصيروا قادرين على المشيّه والرأى ، وبناء على ذلك تكون الآيه المباركه من الآيات النافيه للتفويض لا المثبه للجبر كما توهّمه الفلاسفه فإنّ متعلّق مشيّه اللّه تعالى هو صيروره العبد ذا مشيّه وليس متعلّقه ما شاءه العبد فإنّ ذلك يستلزم تعلّق مشيّتان بأمر واحد وهو محال ، هذا بحسب ظاهر الآيه المباركه وتفصيل الكلام حول ذلك فى تقريرات أبحاثنا «سدّ المفرّ على القائل بالقدر» فراجع .

و أمّا بحسب الأخبار فهناك معان للآيه المباركه :

۱- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۶ .

ص: ۳۸

المعنی الأوّل:

إثبات المشیّه للّه تعالی دون الناس فلاحظ :

عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السلام فی قوله « ذی قوَّهٍ عند ذی العرش مکینٍ » قال : یعنی جبرئیل .

قلت : قوله « مطاعٍ ثَمَّ أمینٍ » ؟

قال : یعنی رسول اللّه صلی الله علیه و آله هو المطاع عند ربّه الأمین یوم القیامه .

قلت : قوله « وما صاحبکم بمجنونٍ » ؟

قال : یعنی النبی صلی الله علیه و آله ما هو بمجنون فی نصبه أمیرالمؤمنین علیه السلام عَلَماً للناس .

قلت : قوله « وما هو علی الغیب بضنینٍ » ؟

قال : وما هو تبارک وتعالی علی نبیّه بغیبه بضنین علیه .

قلت : « وما هو بقول شیطانٍ رجیمٍ » ؟

قال : یعنی الکهنه الذین کانوا فی قریش فنسب کلامهم إلی کلام الشیاطین الذین کانوا معهم یتکلّمون علی ألسنتهم ، فقال « وما هو بقول شیطانٍ رجیمٍ » مثل أولئک .

قلت : قوله « فأین تذهبون إن هو إلاَّ ذکرٌ للعالمین » ؟

قال : أین تذهبون فی علیّ علیه السلام یعنی ولایته ، أین تفرّون منها « إن هو إلاَّ ذکرٌ للعالمین » لمن أخذ اللّه میثاقه علی ولایته .

قلت : قوله « لمن شاء منکم أن یستقیم » ؟

قال : أن یستقیم فی طاعه علیّ علیه السلام والأئمه من بعده .

قلت : قوله « وما تشاؤون إلاَّ أن یشاء اللّه ربُّ العالمین »(۱) ؟

قال : لأنّ المشیّه إلیه تبارک وتعالی لا إلی الناس(۲) .

أقول: قوله علیه السلام «لأنّ المشیّه إلیه تبارک وتعالی لا إلی الناس» یحتمل أُمورا :

۱ أنّ المشیّه إلی اللّه تعالی فهو الذی یشاء ما یرید فإذا شاء لعباده أن یکونوا

۱- التکویر : ۲۰ ۲۹ .

۲- بحارالأنوار : ۹/۲۴۸ ، تفسیر القمّیّ : ۲/۴۰۸ .

ص: ۳۹

مختارین نفذت مشیّته فی ذلک.

۲ أنّ المشیّه إلیه تعالی فی اختیار أمیرالمؤمنین علیه السلام خلیفهً له علی الأرض.

۳ أنّ المشیّه إلیه تعالی فله أن یجعل من یشاء مستقیماً علی ولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام بتوفیقه إیّاه وإلقاء محبّه ولیّه فی قلبه .

۴ أنّ المشیّه إلیه مطلقاً فله أن یختار أمیرالمؤمنین علیه السلام خلیفته وله أن یلقی محبّه أمیرالمؤمنین وولایته فی قلب من یشاء وهو الأقوی لإطلاق الآیه المبارکه وإطلاق کلام الإمام علیه السلام .

وهل الخبر ورد لتفسیر الآیه المبارکه أو لتأویلها احتمالان : أقربهما الأوّل ، لعدم ورود خبر علی حسب تتبعنا یقرّ الظهور البدویّ للآیه المبارکه فلیست الإستقامه مطلقاً مراده فی الآیه ، بل الإستقامه علی ولایه ولی اللّه علیه السلام هی المراده وهکذا .

المعنی الثانی:

إثبات وساطه أهل البیت علیهم السلام فی وقوع المشیّه الإلهیه علی الکائنات .

عن محمّد بن عبداللّه بن جعفر عن محمّد بن أحمد الأنصاری قال : وجّه قوم من المفوّضه والمقصّره کامل بن إبراهیم المدنیّ إلی أبی محمّد علیه السلام ، قال کامل : فقلت فی نفسی أسأله لا یدخل الجنّه إلاّ من عرف معرفتی وقال بمقالتی ، قال : فلمّا دخلت علی سیّدی أبی محمّد علیه السلام نظرت إلی ثیاب بیاض ناعمه علیه فقلت فی نفسی : ولیّ اللّه وحجّته یلبس الناعم من الثیاب ویأمرنا نحن بمواساه الإخوان وینهانا عن لبس مثله !

فقال متبسّماً : یا کامل ، وحسر عن ذراعیه فإذا مسْح أسود خشن علی جلده ، فقال : هذا للّه وهذا لکم .

فسلّمت وجلست إلی باب علیه ستر مرخی فجاءت الریح فکشفت طرفه فإذا أنا بفتی کأنّه فلقه قمر من أبناء أربع سنین أو مثلها فقال لی : یا کامل بن إبراهیم . فاقشعررت من ذلک وألهمت أن قلت : لبّیک یا سیّدی .

فقال : جئت إلی ولیّ اللّه وحجّته وبابه تسأله هل یدخل الجنّه إلاّ من عرف معرفتک

ص: ۴۰

وقال بمقالتک ؟

فقلت : إی واللّه .

قال : إذن واللّه یقلّ داخلها واللّه إنّه لیدخلها قوم یقال لهم الحقیّه .

قلت : یا سیّدی ومن هم ؟

قال : قوم من حبّهم لعلیّ یحلفون بحقّه ولا یدرون ما حقّه وفضله .

ثمّ سکت علیه السلام عنّی ساعه ثمّ قال : وجئت تسأله عن مقاله المفوّضه ، کذبوا بل قلوبنا أوعیه لمشیه اللّه فإذا شاء شئنا واللّه یقول : « وما تشاؤون إلاَّ أن یشاء اللّه » ثمّ رجع الستر إلی حالته فلم أستطع کشفه .

فنظر إلیّ أبومحمّد علیه السلام متبسّماً فقال : یا کامل ، ما جلوسک وقد أنبأک بحاجتک الحجّه من بعدی .

فقمت وخرجت ولم أعاینه بعد ذلک .

قال أبونعیم فلقیت کاملًا فسألته عن هذا الحدیث فحدّثنی به(۱) .

أقول: بیّن الإمام علیه السلام بطلان التفویض فی التصرّف فی الکائنات لاستلزامه خروج المخلوق عن المخلوقیّه ، فمن قام بذاته واستقلّ عن الغنیّ بالذات یکون غنیّاً غیر مفتقر إلی الغنیّ ، وهذا هو الشرک بعینه . ثمّ صرّح بأبی هو وأُمّی أنّ قلوب الأئمّه علیهم السلام أوعیه لمشیه اللّه تعالی فإذا شاء اللّه شاؤوا فهم الوسائط فی وقوع مشیّه اللّه تعالی علی الکائنات .

محمّد بن جعفر عن محمّد بن أحمد بن محمّد بن السیّاری عن فلان قال : خرج عن أبی الحسن علیه السلام قال : إنّ اللّه جعل قلوب الأئمّه مورداً لإرادته فإذا شاء اللّه شیئا شاءوه وهو قوله « وما تشاؤن إلاّ أن یشاء اللّه ربُّ العالمین »(۲) .

أقول: الخبر الشریف ظاهر فی وساطه أئمّه الهدی علیهم السلام فی جریان مشیّه اللّه

۱- بحارالأنوار : ۵۲/۵۰ ، الغیبه للشیخ الطوسی : ۲۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۵ ح۴ و ۲۵/۳۷۲ ح۲۳ ، تفسیر القمّیّ : ۲/۴۰۹ ، بصائر الدرجات : ۵۱۷ .

ص: ۴۱

تعـالی علی الکائنـات فهم مورد إراده الربّ تعـالی ووکر مشیّته کمـا ورد فی زیـاره سیّدالشـهداء علیه السـلام «إراده الربّ فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم»(۱) .

المعنی الثالث :

التفویض فی الدین :

عن محمّـد بن سـنان قال : کنت عنـد أبی جعفر الثانی علیه السـلام فأجریت اختلاف الشیعه فقال : یا محمّد إنّ اللّه تبارک وتعالی لم یزل متفرّداً بوحـدانیّته ثمّ خلق محمّـدا وعلیّاً وفـاطمه فمکثوا ألف دهر ثمّ خلق جمیع الأشـیاء فأشـهدهم خلقهـا وأجری طاعتهم علیها وفوّض أمورها إلیهم فهم یحلّون ما یشاءون ویحرّمون ما یشاءون ولن یشاءوا إلاَّ أن یشاء اللّه تبارک وتعالی ، ثمّ قال : یا محمّـد هـذه الدیانه التی من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق خذها إلیک یا محمّد(۲) .

أقول: الظاهر من الخبر الشریف ثبوت التفویض لهم فی أمر الدین فلهم أن یحلّلوا ما شاؤوا ویحرّموا ما شاؤوا (فی ما لا یکون للّه تعالی ورسوله صلی الله علیه و آله فیه أمر إلزامی أو نهی تحریمی) .

نعم لیس فی الخبر الشـریف ذکرا للآـیه المبـارکه بـالخصوص فلاـ یمکن الجزم بـأنّ قوله علیه السـلام : «ولن یشـاءوا إلاّـ أن یشاء اللّه تبـارک وتعالی» تفسـیر للآیه المبارکه بالخصوص وإن کان من اللّازم علی الفقیه الإلتزام بمنشائیه القرآن الکریم لکلمات المعصومین علیهم السلام لورود الأخبار فی ذلک .

قـال أبو عبـد اللّه علیه السـلام : یـا مفضّـل إنّ اللّه خلقنـا من نوره وخلق شـیعتنا منّـا وسائر الخلق فی النار . بنا یطاع اللّه وبنا یعصـی . یا مفضّل سـبقت عزیمه من اللّه أنّه لا یتقبّل من أحـد إلاّ بنا ولا یعـذّب أحـداً إلاّ بنا فنحن باب اللّه وحجّته وأمناؤه علی خلقه وخزّانه فی سمـائه وأرضه حلّلنـا عن اللّه وحرّمنـا عن اللّه لاـ نحتجب عن اللّه إذا شـئنا وهو قوله تعـالی : « ومـا تشاؤون إلاَّ أن یشاء اللّه » وهو قوله صلی الله علیه و آله : إنّ اللّه جعل قلب ولیّه وکرا

۱- الکافی : ۴/۵۷۷ .

۲- بحارالأنوار : ۵۴/۱۹۵ ، الکافی : ۱/۴۴۱ .

ص: ۴۲

لإرادته فإذا شاء اللّه شئنا(۱) .

أقول: هناك احتمالان فی الخبر الشریف :

۱ أن یکون مراد الإمام علیه السلام أنّ الأئمه علیهم السلام خزّان اللّه تعالی فی سمائه وأرضه ، والخازن هو العارف بمواقع رضی المولی وسخطه ، فإن أجازه المولی فی التصرّف فی الأُمور یکون تصرّفه تصرّفاً بإذن المولی فتحلیله تحلیل عن المولی وتحریمه تحریم بإذنه ، ولذا لا یحتجب هذا الخازن بمشیّته عن المولی ذلک أنّ مشیّته موافقه لرضی المولی أبداً وهذا هو قوله تعالی « وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاء اللَّه » أی مشیّتهم مشیّه اللّه تعالی .

۲ أن یکون قوله علیه السلام «لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا» مستئنفاً وغیر مرتبط بالسابق ویکون قوله علیه السلام «و هو قوله تعالی» وکذا قوله علیه السلام «وهو قوله صلی الله علیه و آله » مبیّناً للمراد من «لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا» ، وبناء علی ذلک یکون المعنی عین المعنی الثانی الذی ذکرناه ولیس معنی علی حده ولعلّ هذا الوجه أظهر من الأوّل واللّه تعالی العالم .

المعنی الرابع :

بیان عبودیّه أهل البیت علیهم السلام بحیث لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی .

هذا المعنی هو الإحتمال الأوّل من الإحتمالین المذکورین فی کلام العلّامه المجلسیّ قدس سره حیث قال : «أنّهم علیهم السلام صاروا ربّانیّین خالین عن مراداتهم وإرادتهم فلا تتعلّق مشیّتهم إلّا بما علموا أنّ اللّه تعالی یشاؤه» والظاهر أنّ مراده هو أنّ الآیه المبارکه فی مقام بیان عبودیّه أهل البیت علیهم السلام بحیث انسلخوا عن جمیع مراداتهم فلا آمال لهم أبداً ، وعن جمیع إراداتهم الناشئه بسبب الآمال والمرادات فلا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی ، کما هو ظاهر قوله علیه السلام «العاملون بإرادته» وقوله علیه السلام «لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون» فبناء علی هذا الإحتمال یکون للأئمّه علیهم السلام إراده تابعه لإراده الربّ تعالی .

۱- بحارالأنوار : ۲۶/۲۵۶ ، تفسیر فرات بن إبراهیم : ۵۲۹ .

ص: ۴۳

و بناء علی ذلک لا یستشکل علیه قدس سره بأنّه کیف یمکن خلوّهم علیهم السلام عن الإراده .

المعنی الخامس :

نفی الإراده لأئمّه الهدی علیهم السلام وصیرورتهم مظهراً لمشیّه اللّه تعالی .

هـذا هو الإحتمال الثانی المـذکور فی بیان العلاّمه المجلسیّ قـدس سره حیث قال «وثانیهما معنی أرفع وأدقّ من ذلک وهو أنّهم لمّا صیّروا أنفسهم کذلک صاروا بحیث ربّهم الشائیّ لهم والمرید لهم فلا یفعلون شیئاً إلاّ بما یفیض اللّه سبحانه علیهم من مشیّته وإرادته وهـذا أحد معانی قوله تعالی : کنت سـمعه وبصـره ویده ولسانه» وبناء علی هذا الإحتمال لا یکون للأئمّه علیهم السـلام إراده حتّی فی طول إراده اللّه تعالی بل إنّهم صاروا بمنزله من القرب للربّ القدوّس بحیث أصبحت مشیّه اللّه تعالی ظاهره فیهم وأصبحوا دلیلاً علی إرادته کما ورد فی زیاره آل یس «ودلیل إرادته»(۱) .

والفرق بین الوجهین المذکورین هو أنّهم علیهم السـلام لا یریدون بعد إرادته تعالی ما یخالفها بل یریدون ما یریده هذا بحسب الوجه الأوّل ، وأمّا فی الوجه الثانی فإنّهم لا إراده لهم حتّی بعد إراده الربّ تعالی ولذا یکونون مظهراً لإراده الربّ تعالی نظیر الأعضاء والجوارح التابعه لأوامر الروح .

ویمکن توضیح الفرق بین الوجهین ببیان مثال وهو أنّه لو فرضنا عبداً مطیعاً لمولاه فیقال له ماذا تروم فعله فی یوم غد فیجیب تاره بأنّی أُرید أن أفعل ما لا ینافی أوامر مولای وأُخری یجیب بأنّی لا أُرید شیئاً حتّی یأمرنی مولای به فتقع إرادتی تابعه لأمر مولای ، ففی الفرض الأوّل لا یرید العبد ما یخالف أمر المولی ولکن فی الفرض الثانی لا یرید إلاّ ما أراده .

هذا وقد أفاد آیه اللّه السیّد علیّ رضا القدّوسی قدس سره فی ذلک بأنّه لا یمکن إسناد جمیع أفعال أئمّه الهدی علیهم السلام إلی اللّه تعالی ذلک أنّه فی أفعالهم ما لا یلیق بجلال

۱- بحارالأنوار : ۵۳/۱۷۱ ، الاحتجاج : ۲/۴۹۲ .

ص: ۴۴

الربّ تعالى كالأكل والشرب وغيرهما إلّا أنّ الأفعال الصادره عنهم بما أنّهم خلفاء للّه تعالى وبما أنّه تعالى جعلهم الوسطاء بينه وبين خلقه تستند إليه تعالى وهو كلام متين .

والفرق بين ما أفاده قدس سره والمعنى الثانى هو ثبوت الوساطه لهم فى جميع الأُمور مع تبعيّه إرادتهم لإراده الربّ تعالى فى المعنى الثانى فالمعنى الثانى جامع بين المعنى الرابع والمعنى الخامس .

لا يقال: كيف يعقل أن لا يكون للّه تعالى مشيّه بالنسبه إلى شيء من الأشياء ؟

لأنّه يقال : إنّ اللّه تعالى وإن كان عالماً بجميع الأُمور أزلاً وأبداً وكان عالماً بالشيء أن لو كان كيف كان يكون ، وكان عالماً بجميع أطوار الشيء الواحد إلى ما لا نهايه له إلّا أنّ المشيّه من صفات الفعل وهى حادثه بخلاف العلم الذى هو عين ذاته القدّوس فهو عالم أزلاً ـ وأبداً ، وبما أنّ المشيّه من صفات الفعل يكون لها البدأ والحدوث ، ومن عرف معنى هذه الكلمات المجملات يعرف معنى البداء الذى ما عظّم اللّه بشيء مثله فإنّه تعالى وإن كان عالماً بالشيء قبل كونه بأنحاء مختلفه فإنّه عالم بالإنسان ذى الرأس الواحد ويستطيع خلقه كما أنّه عالم بالإنسان ذى الرؤوس المتعدّده ويستطيع خلقه إلّا أنّ اختيار أحدهما متوقّف على رأيه ومشيّته فله أن يخلق الإنسان الأوّل أو الإنسان الثانى فرأيه تعالى بخلق أيّهما شاء ليس أزليّاً كما هو واضح ، لاستلزام ذلك ثبوت الشيء معه أزلاً أو ثبوت وعاء للمشيّه معه أزلاً على الأقلّ وهو خلف واضح ، ولذا لابدّ أن تكون هناك أُمور لم يبدُ للّه تعالى فيها شيء بعدُ، فإذا نشأ له الرأى فيها ثبتت فى قلب المعصوم عليه السلام وقبل ذلك لم يكن رأيه متعلّقاً بشيء كى يثبت فى قلب المعصوم وبعد الثبوت لا ملزم لتحقّقها إلّا استمرار رأيه بتحقّقها وله أن يبدو له فيما شاءه أوّلاً قبل تحقّقه وتبديل المشيّه الأولى بأُخرى حادثه بعدها ، إلّا إذا وقع القضاء بالإمضاء وتحقّق الشيء خارجاً فحينئذ لا بداء لانتفاء الموضوع الأوّل.

ص: ۴۵

إذا عرفت ذلک نقول : معنی صیروره الأئمّه علیهم السلام وکراً لمشیّه اللّه تعالی هو أنّهم وعاء مشیّته ومظهراً لها، فبهم تنفذ مشیّته تعالی فی الکائنات وبهم یعرف رأی اللّه تعالی ومشیّته ، وبما أنّ المشیّه حادثه لا یکون ثبتا فی قلب المعصوم علیه السلام عند عدم تعلّق رأیه تعالی بشیء وعند تحقّقه یثبت ذلک فی قلب المعصوم علیه السلام ومن هنا ذکر الأئمّه علیهم السلام أنّه لولا آیه فی کتابه تعالی لأنبئناکم بما کان وما یکون إلی یوم القیامه فلاحظ:

عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال : لولا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان وبما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمُّ الکتاب »(۱) .(۲)

عن زراره عن أبی جعفر علیه السلام قال : کان علیّ بن الحسین علیه السلام یقول : لولا آیه فی کتاب اللّه لحدثتکم بما یکون إلی یوم القیامه . فقلت : أیّه آیه ؟ قال : قول اللّه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمُّ الکتاب »(۳) .

روی عن حارثه بن قدامه قال : حدّثنی سلمان قال : حدثنی عمار وقال : أخبرک عجباً .

قلت : حدّثنی یا عمار .

قال : نعم شهدت علیّ بن أبی طالب علیه السلام وقد ولج علی فاطمه علیهاالسلام فلمّا أبصرت به نادت ادن لأحدّثک بما کان وبما هو کائن وبما لم یکن إلی یوم القیامه حین تقوم الساعه .

قال عمار : فرأیت أمیرالمؤمنین علیه السلام یرجع القهقری فرجعت برجوعه إذ دخل علی النبی صلی الله علیه و آله فقال له : ادن یا أبا الحسن فدنا ، فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : تحدّثنی أم أحدّثک ؟

۱- الرعد : ۳۹ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۹۷ ، الاحتجاج : ۱/۲۵۸ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۴۶

قال : الحدیث منک أحسن یا رسول اللّه .

فقال : کأنّی بک وقد دخلت علی فاطمه وقالت لک کیت وکیت فرجعت .

فقال علیّ علیه السلام : نور فاطمه من نورنا ؟

فقال علیه السلام : أَوَلا تعلم ؟

فسجد علیّ شکراً للّه تعالی .

قال عمار : فخرج أمیرالمؤمنین علیه السلام وخرجت بخروجه فولج علی فاطمه علیهاالسلام وولجت معه ، فقالت : کأنّک رجعت إلی أبی صلی الله علیه و آله فأخبرته بما قلته لک .

قال : کان کذلک یا فاطمه .

فقالت : اعلم یا أباالحسن أنّ اللّه تعالی خلق نوری وکان یسبّح اللّه جلّ جلاله ثمّ أودعه شجره من شجر الجنه فأضاءت فلمّا دخل أبی الجنه أوحی اللّه تعالی إلیه إلهاماً أن اقتطف الثمره من تلک الشجره وأدرها فی لهواتک ففعل فأودعنی اللّه سبحانه صلب أبی صلی الله علیه و آله ، ثمّ أودعنی خدیجه بنت خویلد فوضعتنی وأنا من ذلک النور أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن یا أبا الحسن ، المؤمن ینظر بنور اللّه تعالی(۱) .

أقول: قولها علیهاالسلام «أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن» الظاهر أنّ المراد من قولها علیهاالسلام «ما لم یکن» هو خصوص ما کان مقدّراً سابقاً بتقدیر ثمّ بدا للّه تعالی فیه فأبدل تقدیره الأوّل بتقدیر ثان ، کما إذا کان مقدّراً لشخص أن یعیش خمسون عاماً ثمّ تصدّق فزاده اللّه تعالی عشره أعوام فعاش ستون عاماً ، ففاطمه الزهراء علیهاالسلام تشیر إلی أنّها عالمه بالتقدیر الأوّل الممحوّ أیضاً کما أنّها عالمه بالتقدیر الثانی الذی وقع وکان .

لا یقال : کیف یمکن أن نلتزم بعلمه بتصدّق زید وعدم علمه بإطاله عمره لأجل التصدّق ؟

لأنّه یقال : مآل هذا السؤال هو أنّه کیف یمکن أن نلتزم بعلمه تعالی بتصدّق زید

۱- بحارالأنوار : ۴۳/۸ ، عیون المعجزات : ۴۷ .

ص: ۴۷

وعـدم علمه تعالى بتعلّق مشيّته بإطاله عمره ، ولـذا يكون الجواب بأنّه مآل السؤال عن عدم علمه هو عدم رأيه إذ اللّه تعالى عالم بزيد وعالم بتصـدّقه كما أنّه عالم بزياده عمره بمعنى أنّه تعالى يعلم ذلك ويسـتطيع أن يزيد عمره كما أنّه يسـتطيع أن لا يزيده . فإنّه تعالى وإن كان عالماً بتصدّق زيد مثلًا بمعنى أنّه قدّر أن يكون زيداً قادراً على التصدّق ووفّقه لذلك ، إلاّ أنّه من الممكن أن تكون الإجابه مرجَئه ، فليس التصدّق علّه تامّه لإطاله العمر بل السبب الوحيد فى الإطاله هو تعلّق رأيه القدّوس بطول العمر وبذلك تعرف أنّه هناك ثلاثه تقديرات فى المقام :

۱ تقديره تعالى لعمر زيد .

۲ تقديره تعالى لتوفيقه لإعطائه الصدقه عن قدره واختيار .

۳ تقديره تعالى لإطاله العمر .

ولا مانع أصلًا من تحقّق الأوّل دون الثانى أو تحقّق الأولين دون الثالث .

ثمّ إنّه ما يوضح كمال عبوديّه المعصومين الأربعه عشر عليهم السلام هو أنّ اللّه تعالى وكّل إليهم كثيراً من الأُمور وأوجب نجح جميع طلباتهم ومع ذلك لا يريـدون إلاّ ما أراده اللّه تعالى فإنّهم قادرون ومجازون فى إطاله عمر المصّدق على المسـكين إلاّ أنّهم مع ذلك لا يريدون إلاّ ما أراده اللّه تعالى فلاحظ :

قـال الإمام زين العابـدين عليه السـلام إلى أن قال: إنّ أولياء اللّه صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يساوهم فيه غيرهم فجازاهم اللّه عزّ وجلّ بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلاّ ما يريده لهم الخبر(۱) .

ولابدّ لنا من ضـرب مثَل يقرّب المطلب وهو: هب أنّ أبا شـفيقاً على ولده أخذه إلى المعلّم الحاذق لتربيته وأجاز الأُسـتاذَ فى أن يفعل ما يصبّ فى مصـلحه الولد من التشديد عليه أو الرخاء والوعد والوعيد إلاّ أنّ الأُسـتاذ مع كونه مجازاً لا يفعل شـيئاً إلاّ أن يستأذن والد الطفل ، فمثَل أهل البيت عليهم السلام مثَل الأُستاذ المجاز فى

۱- بحارالأنوار : ۴۶/۲۲ ، الأمالى للشيخ الصدوق : ۴۵۳ .

ص: ۴۸

تربیه الطفل إلّا أنّهم لا یفعلون شیئاً إلّا بإذنه تعالی وهذا غایه الخضوع والخشوع .

وهنا ینبری سؤال آخر وهو إذا کان أئمّه الهدی علیهم السلام بهذه المثابه من العبودیّه بحیث صاروا محلاًّ للإراده الربّانیّه وموطناً لمشیّته فلا یریدون إلّا ما یریده اللّه تعالی کیف علّقت بعض الأخبار مشیّه اللّه تعالی علی مشیّتهم ؟

قال سیّدالشهداء علیه السلام فی خطبته الشهیره إلی أن قال: رضی اللّه رضانا أهل البیت الخطبه(۱).

وعن الرضا عن آبائه علیهم السلام قال : قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : تحشر ابنتی فاطمه یوم القیامه ومعها ثیاب مصبوغه بالدم فتتعلق بقائمه من قوائم العرش فتقول یا عدل احکم بینی وبین قاتل ولدی . قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : فیحکم لابنتی وربّ الکعبه وإنّ اللّه عزّ وجلّ یغضب لغضب فاطمه ویرضی لرضاها(۲) .

وفی زیاره الجامعه : یا أولیاء اللّه إنّ بینی وبین اللّه عزّوجلّ ذنوباً لا یأتی علیها إلّا رضاکم(۳) .

و حلّ المشکله هو أنّه تعالی أدّب نبیّه فأحسن تأدیبه فعن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله «أدّبنی ربّی فأحسن تأدیبی»(۴) وأدّب نبیّه الأوصیاء فأحسن تأدیبهم کما ورد فی الخبر عنه صلی الله علیه و آله «علیّ أدیبی»(۵) ثمّ فوّض إلیهم أمر الدین والدنیا فهم عالمون بمواضع رضا اللّه تعالی وسخطه ، ولذا لا یرضون إلّا عمّن یعلمون أنّ اللّه تعالی یرضی عنه ولا یسخطون إلّا عمّن یعلمون أنّ اللّه تعالی یسخط علیه ففی الحقیقه مشیّتهم تنبیء عن مشیّته تعالی .

والإنصاف أنّ ذلک وإن کان حقّاً إلّا أنّه لیس حلاًّ للمشکله إذ الکلام یدور حول

۱- بحارالأنوار : ۴۴/۳۶۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴۳/۲۲۰ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۲۶ .

۳- بحارالأنوار : ۹۹/۱۳۳ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۲۷۷ .

۴- بحارالأنوار : ۶۸/۳۸۲ عن معانی الأخبار .

۵- بحارالأنوار : ۱۶/۲۳۱ .

ص: ۴۹

خلوّ ذواتهم المقدّسه عن مشیّه سوی مشیّته تعالی أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی وعلیه یکون ابتداء المشیّه منهم علیهم السلام غیر متلائم مع خلوّ ذواتهم المقدّسه عن مشیّه سوی مشیّه اللّه تعالی أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی .

وعلیه لابدّ من البحث عن المندوحه فی حلّ المشکله فنقول: أمّا قولهم علیهم السلام «رضی اللّه رضانا أهل البیت»(۱) وکذا «إنّ لی ذنوبا لا یأتی علیها إلّا رضاکم»(۲) فیحتمل أن یکون المراد منهما وأمثالهما کاشفیّه رضاهم لرضی اللّه تعالی ولکنّه بعید عن ظاهر الکلام فإنّ کلام سیّدالشهداء علیه السلام ظاهر فی تبعیّه رضاه تعالی لرضاهم وعلیه لا یکون هذا الإحتمال مجدیاً فی حلّ المشکله بالنسبه إلی هذه الطائفه من الأخبار ناهیک عن قوله صلی الله علیه و آله فی حقّ ابنته فاطمه الزهراء علیهاالسلام «إن اللّه عزّوجلّ یغضب لغضبها ویرضی لرضاها»(۳) .

والذی یخطر بالبال هو أنّ أهل البیت علیهم السلام وإن کانوا لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی إلّا أنّ من جمله ما أراده اللّه تعالی هو إعطائهم الولایه التکوینیّه ، بل الولایه علی التکوین وبها أصبحوا قادرین علی نجح جمیع مطالبهم إلّا أنّهم لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی ویوقفون أنفسهم علی مشیّته تعالی ، ومع ذلک إن اقتضی الأمر بیان مقام خلیفه الرحمن والحجّه علی أهل الزمان رفعوا طرفاً عن شمس ولایتهم لیتبیّن للکائنات مقام خلیفه اللّه علیه السلام فینساقوا إلیه کی یحظوا بالسعاده الأبدیّه فلاحظ :

عن محمّد بن مسلم الثقفی قال : سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول : لفاطمه علیهاالسلام وقفه علی باب جهنّم ، فإذا کان یوم القیامه کتب بین عینی کلّ رجل مؤمن أو کافر فیؤمر بمحبّ قد کثرت ذنوبه إلی النار فتقرأ فاطمه بین عینیه محبّا فتقول : إلهی وسیّدی سمّیتنی فاطمه وفطمت بی من تولّانی وتولّی ذریّتی من النار ووعدک الحقّ وأنت لا تخلف المیعاد .

۱- بحارالأنوار : ۴۴/۳۶۶ .

۲- الزیاره الجامعه الکبیره .

۳- بحارالأنوار : ۲۷/۶۲ .

ص: ۵۰

فیقول اللّه عزّ وجلّ : صدقت یا فاطمه إنّی سمّیتک فاطمه وفطمت بک من أحبّک وتولّاک وأحبّ ذریتک وتولّاهم من النار ووعدی الحقّ وأنا لا أخلف المیعاد وإنّما أمرت بعبدی هذا إلی النار لتشفعی فیه فأشفّعک ولیتبیّن ملائکتی وأنبیائی ورسلی وأهل الموقف موقفک منّی ومکانتک عندی فمن قرأت بین عینیه مؤمنا فخذی بیده وأدخلیه الجنّه(۱) .

قال صلی الله علیه و آله : أدّبنی ربّی فأحسن تأدیبی(۲) .

عن أبی إسحاق النَّحویّ قال : دخلت علی أبی عبداللّه علیه السلام فسمعته یقول : إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ أدَّب نبیَّه علی محبَّته فقال : « وإنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم »(۳) ثمَّ فوَّض إلیه فقال عزَّ وجلَّ : « وما آتاکم الرَّسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا »(۴) وقال عزَّ وجلَّ : « من یطع الرَّسول فقد أطاع اللّه »(۵) قال ثمَّ قال : وإنّ نبیّ اللّه فوّض إلی علیّ وائتمنه فسلَّمتم وجحد النَّاس فو اللّه لنحبُّکم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فیما بینکم وبین اللّه عزَّ وجلَّ ، ما جعل اللّه لِاءحدٍ خیرا فِی خِلافِ أمرنا(۶) .

وبعباره أُخری إنّ أهل البیت علیهم السلام یرون شرفهم وعزّتهم فی العبودیّه والإنصیاع إلی الربّ المتعال کما قال مولانا أمیرالمؤمنین علیه السلام : إلهی کفی بی عزّاً أن أکون لک عبداً وکفی بی فخراً أن تکون لی ربّاً أنت کما أحب فاجعلنی کما تحب(۷) .

عن الزُّهریّ قال : دخلت مع علیّ بن الحسین علیه السلام علی عبدالملک بن مروان قال : فاستعظم عبد الملک ما رأی من أثر السُّجود بین عینی علیّ بن الحسین علیه السلام فقال : یا أبا محمَّدٍ لقد بیّن علیک الاجتهاد ولقد سبق لک من اللّه الحسنی وأنت بضعةٌ من رسول اللّه صلی الله علیه و آله قریب النسب وکید السبب وإنَّک لذو فضلٍ عظیمٍ علی أهل بیتک وذوی عصرک

۱- بحارالأنوار : ۴۳/۱۴ ح ۱۱ ، علل الشرایع : ۱/۱۷۹ .

۲- بحارالأنوار : ۶۸/۳۸۲ عن معانی الأخبار .

۳- القلم : ۴ .

۴- الحشر : ۷ .

۵- الحشر : ۷ .

۶- الکافی : ۱/۲۶۵ .

۷- بحارالأنوار : ۷۴/۴۰۲ ، الخصال : ۲/۴۲۰ .

ص: ۵۱

ولقـد أوتیت من الفضل والعلم والدین والورع ما لم یؤته أحدٌ مثلک ولا قبلک إلاّ من مضـی من سـلفک وأقبل یثنی علیه ویطریه قال فقـال علیٌ بـن الحسـین علیـه السـلام : کـلُّ مـا ذکرتـه ووصـفته مـن فضـل اللّه سـبحانه وتأییـده وتـوفیقه فـأین شـکره علی مـا أنعم یا أمیرالمؤمنین کان رسول اللّه صـلی الله علیه و آله یقف فی الصلاه حتَّی تَرِمَ قدماه ویظمأ فی الصیام حتَّی یعصب فوه فقیل له یا رسول اللّه ألم یغفر اللّه لک ما تقدَّم من ذنبک وما تأخَّر فیقول صلی الله علیه و آله أفلا أکون عبدا شکورا الحمد للّه علی ما أولی وأبلی وله الحمـد فی الآـخره والأولی واللّه لو تقطَّعت أعضائی وسالت مقْلتای علی صـدری لن أقوم للّه جلَّ جلاله بشـکر عشر العشـیر من نعمهٍ واحـدهٍ من جمیع نعمه التی لاـ یحصـیها العادُّون ولا یبلغ حـدَّ نعمهٍ منها علیَّ جمیع حمـد الحامـدین ، لا واللّه أو یرانی اللّه لا یشـغلنی شیءٌ عن شـکره وذکره فی لیـلٍ ولا نهارٍ ولا سـرٍّ ولا علانیهٍ ولولا أنَّ لأهلی علیَّ حقّا ولِسائِرِ النَّاسِ مِن خاصِّهم وعامِّهم علیَّ حقوقا لا یسعنی إلاّ القیام بها حسب الوسع والطاقه حتَّی أؤدّیها إلیهم لرمیت بطرفی إلی السماء وبقلبی إلی اللّه ثمَّ لم أرددهما حتَّی یقضی اللّه علی نفسی وهو خیر الحاکمین وبکی علیه السلام وبکی عبدالملک الخبر(۱) .

ومن الواضـح أنّ الاسـتفاده من القـدره التی وهبهـا اللّه تعـالی إیّاهم لبیان مقام خلیفه اللّه کی ینصاع الخلائق إلیه ویحظوا بالسـعاده لا ینـافی خلوّهم عن مشیّه سوی مشیّته تعـالی أو وقوف إرادتهم علی إرادته ، فـإنّ الظاهر أنّهم أخلوا أنفسـهم من مشـیّه فی قبال مشـیّته تعالی ولم یریدوا ما ینافی رضاه وقربه .

و بعبـاره ثـالثه : إنّ أهـل البیت علیهم السـلام وإن کـانوا بحسب مقـام قربهم من اللّه تعـالی ومعرفتهم به لا یحبّون أن یکبروا فی أعین الناس ولذا کانوا یتواضـعون حتّی لأحقر الخلیقه کما یسـتأنس ذلک من الصـلوات المرویّه عن الإمام العسـکری روحی فداه حیث إنّه لمّا وصل إلی الصـلاه علی نفسه صـعب علیه الأمر فی بیانه إلاّ أنّه قال علیه السـلام ما حاصـله بأنّ من الواجب علینا بیان مقاماتنا للناس فلاحظ :

۱- مستدرک الوسائل : ۱/۱۲۵ .

ص: ۵۲

قال أبو محمّـد عبـد اللّه بن محمّـد الیمنیّ قال : فلمّا انتهیت إلی الصـلاه علیه أمسک فقلت له فی ذلک ، فقال : لولا أنّه دین أمرنا اللّه أن نبلغه ونؤدیه إلی أهله لأحببت الإمساک ولکنّه الدین اکتبه : الصـلاه علی الحسن بن علیّ العسـکریّ علیهماالسلام : اللّهمّ صلّ علی الحسن بن علیّ الهـادی البرّ التقیّ الصـادق الوفیّ النور المضـیء خازن علمک والمـذکّر بتوحیـدک وولیّ أمرک وخلف أئمّه الـدین الهـداه الراشـدین والحجّه علی أهل الـدنیا فصلّ علیه یا ربّ أفضل ما صـلیت علی أحد من أصـفیائک وحججک علی خلقک وأولاد رسلک یا إله العالمین(۱) .

إلّا أنّ صدور مشیّه منهم فی مقام إعلاء مقام خلیفه اللّه کی یتّبعه من کان له قلب وألقی السـمع وهو شهید لا ینقض خلوّهم عن مشیّه سوی مشـیّته تعالی أو تبعیّه مشـیّتهم لمشیّته تعالی وعلیه تکون الأخبار الدالّه علی خلوّهم عن مشیّه سوی مشیّته أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی منصرفه عن هذه الموارد قطعاً .

وروح الکلام أنّ صدور مشیّه منهم علیهم السـلام فی مقام بیان مقام خلیفه اللّه لغرض انسـیاق الخلائق إلیه للحصول علی السعاده بعد أن کان فی مشـیّه اللّه تعالی أن الولایه لهم لا ینافی خلوّهم عن مشیّه اللّه تعالی ، فإنّ المشیّه الصادره منهم مشیّه اللّه تعالی أوّلاً ومشیّته آخراً وله الحمد کما هو أهله .

إذا عرفت ذلک یتضّح لک شأن عبودیّه أهل البیت علیهم السلام فمع أنّهم قادرون علی ما یریدون بإذن اللّه تعالی إلّا أنّهم لا یریدون إلّاـ ما أراده اللّه تعالی ، بل یکونون دائماً فی غایه الخضوع والخشوع للربّ المتعال ، فإنّ معنی العبودیّه إمّا تکون بمعنی «غایه التـذلّل مع الإعتقاد بمالکیه المعبود» أو بمعنی «غایه التـذلّل والخضوع للمعبود بحیث لا ینبغی ذاک الخضوع إلّا للمالک» فالعبد یعرف ربوبیّه الربّ تعالی کما أنّه یعرف فقر نفسه الذاتیّ وعجزه .

فالعبد الحقیقی طوع لأمر مولاه ، فهو کالمیّت فی ید الغسّال لا یتحرّک إلّا

۱- بحارالأنوار : ۹۱/۷۸ ، جمال الأسبوع : ۴۹۲ .

ص: ۵۳

بتحريكه ، ولـذا ترى أنّ أوليـاء اللّه تعالى وأنبيائه كانوا أخضع الناس للّه تعالى ، فإنّ أمرهم ربّهم بأمر أطاعوه وقـد ورد فى الأخبار أنّ السرّ فى صـيروره أُولى العزم من الرسـل أُولى عزم هو أنّهم آمنوا بالـدرجات العـاليه من مقامات أئمه الهـدى عليهم السـلام (۱) ومن الواضح أنّ إطاعه اللّه تعالى فى أمره بالتواضع للرسول وآله عليهم السلام ينبىء عن شدّه عبوديّتهم .

هذا ومن أراد أن يعرف شدّه عبوديّه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فليراجع القرآن الكريم فلاحظ هذه الآيات المباركات :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِين ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِين »(۲) .

« وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيم »(۳) .

« قُلْ لا أَمْلِك لِنَفْسِى نَفْعا وَلا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللّه وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۴) .

« قُلْ لا أَمْلِك لِنَفْسِى ضَرًّا وَلا نَفْعا إِلَّا ما شاءَ اللّه لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ »(۵) .

« ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ

۱- عن جابر بن يزيد ، عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله اللّه عزّ وجلّ : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » (طه : ۱۱۵) قال : عهـد إليه فى محمّـد والأئمه من بعده فترک ، ولم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا ، وإنّما سـمّى أولوا العزم لأنّهم عهد إليهم فى محمّد والأوصياء من بعده والمهدىّ وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلک كذلک والإقرار به . (بحارالأنوار : ۱۱/۳۵ ح ۱۱ ، علل الشرايع : ۱/۱۲۲) . عن عبد العظيم الحسـنى قال : سـمعت على بن محمد العسـكرى عليه السـلام يقول : إنّما اتخذ اللّه عزّ وجلّ إبراهيم خليلا لكثره صلواته على محمّد وأهل بيته صلوات اللّه عليه وآله . (بحارالأنوار : ۱۲/۴ ح ۹ ، علل الشرايع : ۱/۳۴)

۲- المعارج : ۴۴ ۴۶ .

۳- يونس : ۲۵ .

۴- الأعراف : ۱۸۸ .

۵- يونس : ۴۹ .

ص: ۵۴

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ »(۱) .

« قُلْ ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرى ما يُفْعَلُ بِى وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ »(۲) .

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّه شَيْئا هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ كَفى بِهِ شَهِيدا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »(۳) .

وغير ذلك من الآيات المباركات .

فإنّ هذه الآيات المباركات تجعل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى عداد سائر الخلائق من حيث المخلوقيّه إلّا أنّه صلى الله عليه و آله لم يكفّ عن تلاوتها على الناس فهذه هى منتهى العبوديّه كما لا يخفى ، هذا مع ملاحظه سعه ملكيّته بحيث أصبح الكون طوعاً لأمره بإذن اللّه تعالى فمع أنّ الرسول وآله عليهم السلام «ساسه العباد»(۴) إلّا أنّهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

الآيه الثامنه :

وقال تعالى : « عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَهِ »(۵) .

عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام فى قوله عزّوجلّ « عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَهِ » فقال : الغيب ما لم يكن والشهاده ما قد كان(۶) .

أقول : يحتمل فى «ما لم يكن» أمران :

۱ أن يكون المراد منه هو الشيء الذى لم يتعلّق رأى اللّه تعالى به ، فهو تعالى عالم به أيضاً كما أنّه تعالى عالم بالشهاده .

۲ أن يكون المراد منه ما لم يكن فى السابق ، أى ما كان مقدّراً ثمّ وقع عليه البداء

۱- التوبه : ۱۱۳ .

۲- الأحقاف : ۹ .

۳- الأحقاف : ۸ .

۴- الزياره الجامعه الكبيره .

۵- الأنعام : ۷۳ ؛ التوبه : ۹۴ و ۱۰۵ ؛ الرعد : ۹ ؛ المؤمنون : ۹۲ ؛ السجده : ۶ ؛ الزمر : ۴۶ ؛ الحشر : ۲۲ ؛ الجمعه : ۸ ؛ التغابن : ۱۸ ؛ الجنّ : ۲۶ .

۶- بحارالأنوار : ۴/۸۰ ، معانى الأخبار : ۱۴۶ .

ص: ۵۵

فمحی وأثبت التقدیر الثانی ، فإنّه تعالی عالم بذلک أیضاً .

إذا عرفت ذلک نقول : بناء علی کلا الإحتمالین ، تکون الآیه المبارکه من الأدلّه الدالّه علی العلم غیر المحمول .

أمّا بناء علی الإحتمال الأوّل ، فواضح .

و أمّا بناء علی الإحتمال الثانی ، فلأنّه عالم بما لم یکن (بالتقدیر الأوّل) بالعلم الذاتیّ غیر المحمول وغیر المتعیّن ، فإنّه تعالی عالم به بالعلم المخزون المکنون ، واللّه تعالی العالم .

الآیه التاسعه :

وقال تعالی : « هذَا کِتَابُنَا یَنطِقُ عَلَیْکُم بِالْحَقِّ إِنَّا کُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا کُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(۱) .

عن الحسین بن بشار عن الإمام أبی الحسن علیّ بن موسی الرضا علیه السلام قال : سألته أیعلم اللّه الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون أو لا یعلم إلاّ ما یکون ؟

فقال : إنّ اللّه تعالی هو العالم بالأشیاء قبل کون الأشیاء . قال عزّ وجلّ : « إنّا کنّا نستنسخ ما کنتم تعملون » وقال لأهل النار : « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لکاذبون »(۲) فقد علم عزّ وجلّ أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه وقال للملائکه لمّا قالوا « أتجعل فیها من یفسد فیها ویسفک الدّماء ونحن نسبّح بحمدک ونقدّس لک قال إنّی أعلم ما لا تعلمون »(۳) فلم یزل اللّه عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشیاء قدیماً قبل أن یخلقها فتبارک ربّنا وتعالی علوّاً کبیراً خلق الأشیاء وعلمه بها سابق لها کما شاء کذلک لم یزل ربّنا علیماً سمیعاً بصیراً(۴) .

أقول : الظاهر من استدلال الإمام علیه السلام بالآیه المبارکه أنّ اللّه تعالی لعلمه بمآل العباد وأعمالهم بالعلم بلا معلوم یعرف الأشیاء قبل حدوثها ، ولذا یتمّ الإستنساخ

۱- الجاثیه : ۲۹ .

۲- الأنعام : ۲۸ .

۳- البقره : ۳۰ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۷۸ ، التوحید : ۱۳۶ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۱۸ .

ص: ۵۶

قبل أن یعملها العاملون . ولکن یبدو لی أنّ المراد من العلم فی خصوص المقام هو العلم المحمول إذ اللّه تعالی عالم بالأشیاء قبل حدوثها بالعلم بلا معلوم ، وأمّا خصوص صدور أعمال العباد عنهم فإنّه وإن کان مکشوفاً للّه تعالی بالعلم المخزون إلاّ أنّ أخذ قید صدورها فی المقام یوءیّد کون العلم الملحوظ هنا هو العلم المحمول ، إذ العلم المکفوف لا تعیّن فیه أصلًا .

نعم ، یکون صدورها عنهم بالإراده والاختیار ، وعلمه المحمول تابع ولا یلزم الجبر کما قرّر فی محلّه ویشهد علی ذلک الخبر الآتی ، فلاحظ :

عن عبد الرحمن القصیر عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : سألته عن « ن والقلم »(۱) ، قال : إنّ اللّه خلق القلم من شجره فی الجنّه یقال لها الخلد ، ثمّ قال لنهر فی الجنّه کن مداداً فجمد النهر وکان أشدّ بیاضاً من الثلج وأحلی من الشهد ، ثم قال للقلم : اکتب قال : وما أکتب یا ربّ ؟ قال : اکتب ما کان وما هو کائن إلی یوم القیامه . فکتب القلم فی رقّ أشدّ بیاضاً من الفضّه وأصفی من الیاقوت ، ثمّ طواه فجعله فی رکن العرش ، ثمّ ختم علی فم القلم فلم ینطق بعد ولا ینطق أبداً ، فهو الکتاب المکنون الذی منه النسخ کلّها ، أو لستم عُربا فکیف لا تعرفون معنی الکلام ، وأحدکم یقول لصاحبه انسخ ذلک الکتاب ، أو لیس إنّما ینسخ من کتاب أخذ من الأصل وهو قوله « إنّا کنّا نستنسخ ما کنتم تعملون »(۲) .

فإنّ الظاهر منه هو أنّ الإستنساخ کان واقعاً ممّا کتبه القلم ، فالملائکه یکتبون الأعمال التی قدّرها اللّه تعالی علی العباد فی السابق . فبعد صدور الأعمال من العباد ، یکتبونها لا عن أعمالهم فی الخارج بل عمّا أملاه اللّه تعالی للقلم سابقاً کما ورد فی الخبر «و علی ما سطر فی المکنون من کتابه ماضون لا یعملون خلاف ما علم منهم ولا غیره یریدون»(۳) .

۱- القلم : ۱ .

۲- تفسیر القمّی : ۲/۳۷۹ .

۳- التوحید : ۴۷ .

ص: ۵۷

هذا کلّه بحسب هذا الخبر وهناک خبر آخر یدلّ علی أنّ الإستنساخ یکون من العمل ، والذی یخطر بالبال أنّ هذا الخبر یساعده ظاهر الآیه المبارکه کما أشار الإمام علیه السلام علی ذلک بقوله : «أو لستم عُرباً» فیحتمل أن یکون الخبر الآخر مشیراً إلی بطن الآیه واللّه تعالی العالم .

نعم ، إنّ اللّه تعالی علم أنّهم سیفعلونها عن قدره واختیار ، ولذا لا ـ یضرّ العلم باختیارهم فهم من حیث أنّهم تحمّلوا نور القدره مختارون لما یشاوءون ، والعلم المحمول تابع لا متبوع وتفصیل الکلام حول شبهه الجبر ونقضها فی کتابنا «سدّ المفرّ علی القائل بالقدر» ، فراجع .

فتحصّل أنّ الظاهر من الآیه المبارکه أنّها تشیر إلی العلم المحمول ، وقد استدلّ الإمام علیه السلام بها علی علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها ، وبذلک یتّضح أنّ العلم المحمول أیضاً علم بلا معلوم .

وبناء علی ما استظهرناه من الآیه المبارکه ، لا تکون هذه من الآیات الدالّه علی علمه المکفوف إلاّ باعتبار أنّ العلم المحمول متقوّم بالعلم المخزون المکنون ، ولعلّ الإمام علیه السلام کان بصدد بیان علمه الأزلیّ غیر المحمول لدلاله قوله علیه السلام «فلم یزل اللّه عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشیاء قدیماً قبل أن یخلقها فتبارک ربّنا وتعالی علواً کبیراً» علی أنّ اللّه تعالی عالم بالأشیاء قدیماً وقبل خلق الخلائق إلاّ أنّه لمّا کان معرفه علمه المکنون المخزون ممّا یصعب علی الرواه ، لذا استدلّ علی علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها بالعلم المحمول ، فإنّ وجدان کون علمه تعالی بلا حصر ولا حدّ ولا تعیّن ، وأنّه تعالی عالم بالأنظمه اللامتناهیه أزلاً بالعلم بلا معلوم ممّا لا یمکن إلاّ لمن استنار قلبه بأنوار معارف أهل البیت علیهم السلام .

وبما أنّ منشأ العلم المحمول هو العلم الأزلیّ المخزون المکنون الذی لا یطّلع علیه أحد ، یکون علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها بالعلم المکفوف بطریق أولی ، واللّه تعالی العالم .

ص: ۵۸

و من المحتمل أن یکون وجه الإستشهاد بقوله تعالی « إنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ » الآیه علی العلم بلا معلوم فی خبر الإمام الرضا علیه السلام هو أنّها تدلّ علی الإستنساخ ، فلابدّ من أن یکون هناک أصل یستنسخ منه وهو ما یدلّ علیه الخبر الوارد فی تفسیر القمّی ، ولا یتصوّر ، ولا یعقل وجود ذلک الأصل إلاّ من جهه العلم بلا معلوم کما هو واضح .

وعلی أیّ تقدیر ، فإنّ دلاله الآیه المبارکه علی العلم بلا معلوم لیست إلاّ من جهه دلالتها علی أصل یکون الإستنساخ منه وهو لا یتصوّر إلاّ من جهه العلم بلا معلوم فلا تنافی بین الخبرین . واللّه تعالی العالم وأولیاؤه بحقائق کلامه .

و أمّا استشهاده علی علمه تعالی قبل الأشیاء بقوله تعالی « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »(۱) فهو لأجل دلاله الآیه المبارکه علی أنّ اللّه تعالی مع أنّه لا یعید الکفّار إلی دار الدنیا إلاّ أنّه عالم بأنّه إن ردّهم إلی دار الدنیا سیعودون إلی کفرهم القدیم .

فهده الآیه المبارکه آیه علمه بجمیع التقدیریّات ، فإنّه عالم بأنّه إن قدّر لزید أن یعیش کذا من العمر کیف سیکون عمله ، ولذا ورد فی الدعاء «فإذا کان عمری مرتعاً للشیطان فاقبضنی إلیک»(۲) فإنّه تعالی عالم بأنّ عمر الإنسان سیکون مرتعاً للشیطان فی المستقبل أو سبباً لنیل المکارم والفضائل .

و أمّا استشهاده علیه السلام بقوله تعالی « إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »(۳) الآیه فهو لأجل علمه تعالی بشرف الخلیفه وإطاعته له تعالی ، وهذا هو ما جهله الملائکه ، فصار جهلهم سبباً للإعتراض علی اللّه تعالی . وبما أنّ اللّه تعالی عالم بمآل الخلیفه فی المستقبل ، یکون علمه تعالی بحاله علماً بلا معلوم وقبل وقوع الشیء .

الآیه العاشره :

وقال تعالی : « لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَهٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ »(۴) .

۱- الأنعام : ۲۸ .

۲- بحارالأنوار : ۷۰/۶۲ ، الصحیفه السجادیه : ۹۴ .

۳- البقره : ۳۰ .

۴- الأنبیاء : ۲۲ .

ص: ۵۹

الآیه الحادیه عشره :

وقال تعالی : « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا کَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إذا لَّذَهَبَ کُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا یَصِفُونَ »(۱) .

عن فتح بن یزید الجرجانی عن الإمام أبی الحسن علیه السلام قال : قلت له : یعلم القدیم الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون ؟

قال : ویحک ، إنّ مسألتک لصعبه ، أما سمعت اللّه یقول « لو کان فیهما آلهه إلاّ اللّه لفسدتا » وقوله « ولعلا بعضهم علی بعض » وقال یحکی قول أهل النار « أخرجنا نعمل صالحاً غیر الّذی کنّا نعمل » وقال « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » فقد علم الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون ، الخبر(۲) .

بیان : فیظهر من هذا الخبر الشریف أنّ اللّه تعالی عالم بالأشیاء الممتنعه أیضاً ، فإنّه تعالی عالم بأنّ وجود إلهین یوجب الفساد فی العالم وأنّه تعالی عالم بالتقدیریّات أیضاً ، کما مرّ .

العلم المخزون فی الأخبار :

فعن ابن مسکان عن أبی بصیر قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : لم یزل اللّه جلّ وعزّ ربّنا ، والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدره ذاته ولا مقدور ، فلمّا أحدث الأشیاء وکان المعلوم وقع العلم منه علی المعلوم ، والسمع علی المسموع ، والبصر علی المبصر ، والقدره علی المقدور .

قال : قلت : فلم یزل اللّه متکلّماً ؟

قال : إنّ الکلام صفه محدثه لیست بأزلیّه ، کان اللّه عزّ وجلّ ولا متکلّم(۳) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ دلاله واضحه علی علمه تعالی المستغنی عن

۱- المؤمنون : ۹۱ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۲ ، التوحید : ۶۴ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۷۱ ح۱۸ ، التوحید : ۱۳۹ .

ص: ۶۰

وجود المعلوم ، فإنّه تعالى عالم ولا ـ معلوم والعلم ذاته تعالى . وبعدما خلق المعلوم يقع العلم على ما كان معلوماً بالعلم بلا معلوم ، وهكذا الأمر بالنسبه إلى السمع والبصر والقدره .

أفاد شيخنا الأستاذ آيه اللّه الميرزا حسن عليّ المرواريد قدس سره :

قوله عليه السلام : «وقع العلم على المعلوم» أى وقع العلم على ما كان كاشفاً عنه قبل وجوده(۱) ؛ انتهى كلامه رفع مقامه .

ومن الواضح أنّ العلم الذاتيّ هو العلم المكفوف المخزون الذى لا يمكن أن يطّلع عليه أحد لسبوحيّته وعدم حصره ، بل علمه تعالى كشف وعيان لجميع الأنظمه اللامتناهيه ونقائضها بالعلم بلا معلوم .

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أجاب على سوءال الرواى بالنسبه إلى الكلام ، وأنّه تعالى هل كان متكلّماً أم لا ، بأنّ الكلام صفه محدثه ، فكان اللّه تعالى ولا متكلّم .

عن جعفر بن محمّد الأشعرىّ عن فتح بن يزيد الجرجانيّ قال : كتبت إلى الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شىء من التوحيد فكتب إليّ بخطّه قال جعفر : وإنّ فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخطّ أبى الحسن عليه السلام : بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه الملهم عباده الحمد ، وفاطرهم على معرفه ربوبيّته الدالّ على وجوده بخلقه ، وبحدوث خلقه على أزليّته ، وباشتباههم على أن لا شبه له ، المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنع من الصفات ذاته ، ومن الأبصار روءيته ، ومن الأوهام الإحاطه به ، لا أمد لكونه ، ولا ـ غايه لبقائه ، لا تشمله المشاعر ، ولا تحجبه الحجاب ، فالحجاب بينه وبين خلقه لامتناعه ممّا يمكن فى ذواتهم ، ولإمكان ذواتهم ممّا يمتنع منه ذاته ، ولافتراق الصانع والمصنوع ، والربّ والمربوب ، والحادّ والمحدود ، أحد لا بتأويل عدد ، الخالق لا بمعنى حركه ، السميع لا ـ بأداه ، البصير لا ـ بتفريق آله ، الشاهد لا ـ بمماسّه ، البائن لا ببراح مسافه ، الباطن لا باجتنان ، الظاهر لا بمحاذ ، الذى قد حسرت

۱- تنبيهات حول المبدأ والمعاد : ۱۳۸ .

ص: ۶۱

دون كنهه نوافذ الأبصار ، وأقمع وجوده جوائل الأوهام ، أوّل الديانه معرفته ، وكمال المعرفه توحيده ، وكمال التوحيد نفى الصفات عنه لشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف وشهاده الموصوف أنّه غير الصفه وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبَيْنَه ، الممتنع منها الأزل . فمن وصف اللّه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال كيف فقد استوصفه ، ومن قال علامَ فقد حمله ، ومن قال أين فقد أخلى منه ، ومن قال إلامَ فقد وقّته ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، وكذلك يوصف ربّنا ، وهو فوق ما يصفه الواصفون(۱) .

قوله عليه السلام «عالم إذ لا ـ معلوم» صريح فى ثبوت العلم بلا ـ معلوم له تعالى فإنّه تعالى عالم قبل المعلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، ومن الواضح أنّ ثبوت العلم له تعالى قبل المعلوم يشير إلى علمه الذاتىّ القدّوس .

حدّثنى محمّد بن يحيى بن عمر بن علىّ بن أبى طالب قال : سمعت الإمام أباالحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون فى التوحيد إلى قال عليه السلام : له معنى الربوبيّه إذ لا مربوب ، وحقيقه الإلهيّه إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيه ، الخبر(۲) .

الظاهر أنّ المراد من الربوبيّه هو المدبّريّه وللّه تعالى معنى المدبّريّه ولا مربوب ، فالربّ تعالى ربّ إذ لا مربوب ، وكذا الأمر بالنسبه الى الخلق فإنّه تعالى ليس مذ خلق الخلق استحقّ معنى الخالقيّه بل له معنى الخالقيّه قبل أن يخلق الخلق فكمال الخالقيّه ثابت للّه تعالى وإن لم يخلق وليست الخالقيّه قوّه تصل إلى الفعليّه بعد الخلق .

و أمّا الإلهيّه فإنّه تعالى إله قبل خلق الخلق ، فإنّه سبّوح سواء كان هناك من يعرف

۱- بحارالأنوار : ۴/۲۸۴ ، التوحيد : ۵۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۲۲۹ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ۱/۱۴۹ ، التوحيد : ۳۴ .

ص: ۶۲

السبّوحیّه أم لم یکن من یعرفها .

و الظاهر أنّ المقصود من العلم هو الکشف ، ولمّا کان علمه تعالی الذاتیّ کشفاً للأنظمه اللامتناهیه وجمیع التقدیریّات یکون له معنی العالم ولا معلوم وکذا الأمر بالنسبه إلی السمع ، فإنّ اللّه تعالی عالم بالمسموعات قبل حدوثها .

أفاد شیخنا الأستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فی ذیل هذه الأخبار ونظائرها :

ظاهر عند أولی الألباب أنّ هذه الروایات سیاقها سیاق الإثبات والتمجید ، أی ، تمجیده تعالی بالألوهیّه والربوبیّه والعالمیّه والقادریّه ، وتمجیده تعالی بتوحّده وتفردّه فی هذه النعوت الکمالیّه ، وتمجیده سبحانه بالتفرّد بتلک النعوت فی الأزل : أی ، إنّها لیست مکتسبه ومستفاده من ناحیه وجود المربوبین والمألوهین والمعلومین والمقدورین . کما هو صریح قول مولانا أبی الحسن الرضا صلوات اللّه علیه حیث قال : له . . . حقیقه الإلهیّه إذ لا مألوه . . . ولیس مذ خلق استحقّ معنی الخالق ، ولا بإحداثه البرایا استفاد معنی البارئیّه . فلا یجوز الإصغاء إلی القول بأنّ المراد فی هذه الروایات نفی المعلومات والمقدورات وغیرها عن مرتبه الذات ، فیکون الکلام راجعاً إلی توحید الذات وتقدیساً لها عن وجود شیء معه فی مرتبه الذات ، لأنّ سیاقها أجنبی عن سیاق التنزیه والتقدیس فی مرتبه الذات . ولکن حیث إنّ هذه الروایات مسوقه لتنزیهه تعالی وغناه عن المعلومات والمقدورات کی ینتزع من ناحیه المعلومات والمقدورات حقیقه العلم والقدره ، فلا محاله یستفاد منها بالملازمه البیّنه العقلیّه عدم وجود شیء مع اللّه سبحانه من سنخ ما یعلم ویسمع ویبصر ویوءله ویربَّب فی مرتبه الذات فی الأزل . فتحصّل أنّ اللّه تعالی عالم وقادر بذاته من دون

ص: ۶۳

افتقار إلى انتزاع العلم والقدره من ناحیه المعلوم والمقدور(۱) ؛ انتهی کلامه رفع مقامه .

و حاصل کلامه رحمه اللّه تعالی أنّ هـذه الأخبار ناظره إلی تمجیـده تعالی من ناحیه عدم احتیاجه إلی المعلوم والمقدور وغیرهما فی کونه عالماً قادراً ، بل إنّه تعالی عالم بـذاته وقادر بذاته ولا یحتاج إلی المعلوم والمقدور أبداً ، فهذه الکمالات ثابته له تعالی قبل کون المعلوم والمقـدور . وبما أنّها مسوقه لتنزیهه تعالی عن المعلومات والمقـدورات ، فیستفاد منها عـدم وجود شـیء معه تعالی من سـنخ المعلومات والمعقولات .

أقول : الأـمر کمـا أفـاده قـدس سره إلاّ ـ أنّه لمّـا کـانت هـذه الأخبار تتحـدّث عن العلم الـذاتیّ الإلهیّ ، تصـیر بـذلک دالّه علی العلم المخزون المکنون أیضاً .

عن ابن مسـکان قال : سألت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام عن اللّه تبارک وتعالی أکان یعلم المکان قبل أن یخلق المکان أم علمه عند ما خلقه وبعد ما خلقه ؟

فقال : تعالی اللّه ، بل لم یزل عالماً بالمکان قبل تکوینه کعلمه به بعد ما کوّنه ، وکذلک علمه بجمیع الأشیاء کعلمه بالمکان(۲) .

هـذا الخبر الشـریف صـریح فی أنّ العلم المکفوف لاـ یتأثر بالمتغیّرات فإنّه کشف للکائنات واللاکائنات والأنظمه اللامتناهیه ، فکیف یتأثّر بالخلق ! فإنّ اللّه تعالی عالم بالمکان قبل خلق المکان ، وعالم بجمیع الأشیاء قبل خلقها ، وبعد أن خلقها لم یتأثّر علمه المکفوف بها ، فإنّ من الواضح أنّ علمه الذاتیّ أجلّ وأشرف من أن یتأثّر بشیء .

عن ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم قال : دخلت علی الإمام أبی عبداللّه علیه السلام فقال لی : أتنعت اللّه ؟

قلت : نعم .

۱- توحید الإمامیّه : ۲۶۹ ۲۷۰ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۵ ، التوحید : ۱۳۷ .

ص: ۶۴

قال : هات .

فقلت : هو السمیع البصیر .

قال : هذه صفه یشترک فیها المخلوقون .

قلت : فکیف ننعته ؟

فقال : هو نور لا ظلمه فیه ، وحیاه لا موت فیه ، وعلم لا جهل فیه ، وحقّ لا باطل فیه . فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحید(۱) .

الظاهر أنّ نفی الظلمه والموت والجهل عنه یستلزم نفی المخلوقیّه وصفاتها عنه ، فإنّ المخلوق جاهل الذات ومیّت الذات وظلمانیّ الذات . ولمّا کان تعالی نوراً لا ظلمه فیه وحیاهً لا موت فیه وعلماً لا جهل فیه وحقّاً لا باطل فیه ، یکون منزّهاً عن الخلائق . ولذا قال الراوی «خرجت وأنا أعلم الناس بالتوحید» إذ التوحید هو تمییزه عن خلقه . فتأمّل جیّداً فإنّ ذلک باب من العلم ، فتحه الإمام علیه السلام لخاصّته جعلنا اللّه تعالی منهم .

هذا ودلاله الخبر الشریف علی علمه تعالی الذاتیّ ممّا لا غبار علیه .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : إنّ اللّه تبارک وتعالی کان ولا شیء غیره ، نوراً لا ظلام فیه ، وصادقاً لا کذب فیه ، وعالماً لا جهل فیه ، وحیّاً لا موت فیه ، وکذلک هو الیوم ، وکذلک لا یزال أبداً(۲) .

الخبر الشریف صریح فی أنّه تعالی علم لا جهل فیه قبل خلق الخلق وبعد خلق الخلق ، فخلقه وإیجاده الخلق لا یوءثّر فی علمه ، فلیس مذ خلق استحقّ معنی الخالقیّه .

والوجه فی عدم تأثّر علمه تعالی بالخلائق ، هو سبوّحیّته عن التأثّر . ولمّا کان علمه تعالی کشفاً للأنظمه اللامتناهیه أزلاً وأبداً بلا تعیّن فی علمه القدّوس ، یکون

۱- بحارالأنوار : ۴/۷۰ ، التوحید : ۱۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۶۹ ، التوحید : ۱۴۰ .

ص: ۶۵

ذلک دلیلًا علی عدم انحصار علمه بالنظام المخلوق .

عن أبی هـاشم الجعفری قال : کنت عنـد الإمام أبی جعفر الثانی علیه السـلام فسأله رجل فقال : أخبرنی عن الربّ تبارک وتعالی ، أله أسماء وصفات فی کتابه ؟ وهل أسماوءه وصفاته هی هو ؟

فقـال أبوجعفر علیه السـلام : إنّ لهـذا الکلاـم وجهین : إن کنت تقول هی هو أنّه ذو عـدد وکثره ، فتعـالی اللّه عن ذلـک . وإن کنت تقول هذه الأسـماء والصـفات لم تزل ، فإنّما لم تزل محتمل معنیین : فإن قلت لم تزل عنده فی علمه وهو یسـتحقّها ، فنعم . وإن کنت تقول لم یزل صورهـا وهجاوءهـا وتقطیع حروفهـا ، فمعاذ اللّه أن یکون معه شـیء غیره ، بل کان اللّه تعالی ذکره ولا خلق ، ثمّ خلقها وسـیله بینه وبین خلقه ، یتضـرّعون بها إلیه ، ویعبدونه ، وهی ذکره . وکان اللّه سبحانه ولا ذکر والمذکور بالذکر هو اللّه القدیم الذی لم یزل ، والأسـماء والصفات مخلوقات والمعنیّ بها هو اللّه الذی لا یلیق به الإختلاف ولا الإیتلاف ، وإنّما یختلف ویأتلف المتجزّی ، ولاـ یقال له قلیل ولا کثیر ولکنّه القـدیم فی ذاته لأنّ ما سوی الواحـد متجزئ ، واللّه واحـد لا متجزئ ولا متوهّم بالقلّه والکثره ، وکلّ متجزئ أو متوهّم بـالقلّه والکثره فهو مخلوق دالّ علی خـالق له ، فقولک إنّ اللّه قـدیر خبّرت أنّه لا یعجزه شـیء فنفیت بالکلمه العجز وجعلت العجز سواه ، وکـذلک قولـک عـالم إنّمـا نفیت بـالکلمه الجهـل وجعلت الجهـل سواه . فـإذا أفنی اللّه الأشـیاء ، أفنی الصوره والهجاء والتقطیع فلا یزال من لم یزل عالماً .

فقال الرجل : فکیف سمّینا ربّنا سمیعاً ؟

فقـال : لأنّه لا یخفی علیه ما یـدرک بالأسـماع ولم نصـفه بالسـمع المعقول فی الرأس ، وکـذلک سـمّیناه بصـیراً لأنّه لا یخفی علیه ما یـدرک بالأبصار من لون أو شـخص أو غیر ذلک ، ولم نصـفه ببصـر طرفه العین . وکـذلک سـمّیناه لطیفاً لعلمه بالشـیء اللّطیف مثل البعوضه وما هو أخفی من ذلک وموضع المشی منها والعقل والشهوه للسفاد والحدب علی أولادها ، وإقامه بعضها علی بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلی أولادها فی الجبال

ص: ۶۶

والمفـاوز والأوديه والقفار ، فعلمنا بـذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف إذ الكيفيّه للمخلوق المكيّف . وكـذلك سـمّينا ربّنا قويّاً بلا قوه البطش المعروف من الخلق ، ولو كـان قوّته قوّه البطش المعروف من الخلق ، لوقع التشبيه واحتمـل الزيـاده ، وما احتمل الزياده احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قـديم ، وما كان غير قـديم كان عاجزاً ، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ ولا ندّ ولا كيفيّه ولا نهـايه ولاـ تصـاريف ، محرّم على القلـوب أن تحتملـه وعلى الأوهـام أن تحـدّه ، وعلى الضـمائر أن تصـوّره ، جـلّ وعزّ عن أداه خلقه وسمات بريّته وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً(۱) .

بيان : هذا الخبر الشـريف من عيون أخبار أئمه الهدى عليهم السلام لاشتماله على معالم التوحيد وتبيينه دقائق معرفه اللّه تعالى ، ولا بدّ من الإشاره إلى بعض الجهات المذكوره فيه :

الجهه الأولى : أنّه لا ينبغى توهّم أنّ تعـدّد أسـمائه تعالى يسـتلزم التعدّد فى ذاته فيسـمع بغير ما يرى ويرى بغير ما يبطش بل إنّه تعالى إله واحد لا شريك له ولا نظير .

و هنا مسأله دقيقه لا بدّ من الإشاره إليها وهى أنّ الظاهر من عدم استلزام تعدّد الأسـماء الدالّه على كمال فى ذاته القدّوس على التعدّد فى ذاته هو أنّ مـآل جميع الكمالاـت هو كمـال واحـد ، وفى ذلـك الكمـال كـلّ الكمالات . فمرجع خلقه هـذا النظام بما فيه من دقّه وعظمه إلى علمه تعـالى وقـدرته على الخلق لاـ من شـىء كيف شـاء ، ومرجع قـدرته تعـالى على الإيجـاد لا من شـىء هو علمه تعالى بالإيجاد ، وهكذا فمرجع جميع الكمالات إلى القدره والعلم والظاهر أنّ كمال القدره يعود إلى العلم أيضاً .

وقد أشـرنا إلى ذلك فى كتابنا «النفحات الرضويّه» فإنّ أئمه الهدى عليهم السلام كانوا يصرّحون بأنّ جميع الكمالات ترجع إلى العلم ، ويشيرون إلى سعه قدرتهم ببيان سعه علمهم . وهذا يوءيّد ما أشرنا إليه ، وإليك بعض ما يدلّ على أنّ مآل كمال القدره

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۵۳ ، الاحتجاج : ۲/۴۴۲ .

ص: ۶۷

هو العلم :

عن جابر عن أبی جعفر علیه السلام قال : قلت له : جعلت فداک قول العالم « أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أن یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ »(۱) قال : فقال : یا جابر ، إنّ اللّه جعل اسمه الأعظم علی ثلاثه وسبعین حرفا فکان عند العالم منها حرف واحد فانخسفت الأرض ما بینه وبین السریر حتّی التقّت القطعتان وحوّل من هذه علی هذه وعندنا من اسم اللّه الأعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف فی علم الغیب المکنون عنده(۲) .

وعن أبی عبداللّه علیه السلام قال : إنّ اسم اللّه الأعظم علی اثنین وسبعین حرفا وإنّما کان عند آصف کاتب سلیمان علیه السلام وکان یوحی إلیه حرف واحد ألف أو واو فتکلّم فانخرقت له الأرض حتّی التقّت فتناول السریر وإنّ عندنا من الاسم أحدا وسبعین حرفا وحرف عند اللّه فی غیبه(۳) .

أقول : صریح الخبر أنّ ما کان عند آصف من العلم أعطاه القدره علی فعل ما فعل وبما أنّ الائمّه علیهم السلام لهم من العلم اثنان وسبعون حرفا فتکون قدرتهم أوسع من قدره آصف بما لا یعلمه إلاّ اللّه تعالی وأولیائه .

وقال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی روایه طویل : یا سلمان ویا جندب ! قالا : لبّیک یا أمیرالمؤمنین صلوات اللّه علیک . قال علیه السلام : أنا أُحیی وأُمیت بإذن ربّی وأنا أُنبّئکم بما تأکلون وما تدّخرون فی بیوتکم بإذن ربّی وأنا عالم بضمائر قلوبکم والأئمّه من أولادی یعلمون ویفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا ، لأنّا کلّنا واحد أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وکلّنا محمّد فلا تفرّقوا بیننا ، ونحن إذا شئنا شاء اللّه وإذا کرهنا کره اللّه ، الویل کلّ الویل لمن أنکر فضلنا وخصوصیّتنا وما أعطانا اللّه ربّنا لأنّ من أنکر شیئا ممّا أعطانا اللّه فقد أنکر قدره اللّه عزّوجلّ ومشیّته فینا .

یا سلمان و یا جندب ! قالا : لبّیک یا أمیرالمؤمنین صلوات اللّه علیک . قال علیه السلام : لقد

۱- النمل : ۴۰ .

۲- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۴ ، بصائر الدرجات : ۲۰۹ .

۳- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۴ ، بصائر الدرجات : ۲۱۰ .

ص: ۶۸

أعطانا اللّه ربّنا ما هو أجلّ وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كلّه ؟

قلنا : يا أميرالمؤمنين ما الذى أعطاكم ما هو أعظم وأجلّ من هذا كلّه ؟

قال : قد أعطانا ربّنا عزّوجلّ علمنا للإسم الأعظم الّذى لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنّه والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهى به إلى العرش فنجلس عليه بين يدى اللّه عزّوجلّ ويطيعنا كلّ شىء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ والبحار والجنّه والنار أعطانا اللّه ذلك كلّه بالاسم الأعظم الذى علّمنا وخصّنا به ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ونمشى فى الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربّنا ونحن عباد اللّه المكرمون الذين « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ »(۱) وجعلنا معصومين مطهّرين وفضّلنا على كثير من عباده المؤمنين فنحن نقول « الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللّهُ »(۲) و « حَقَّتْ كَلِمَهُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ »(۳) أعنى الجاحدين بكلّ ما أعطانا اللّه من الفضل والإحسان .

يا سلمان ويا جندب ! فهذا معرفتى بالنورانيّه فتمسّك بها راشدا فإنّه لا يبلغ أحد من شيعتنا حدّ الاستبصار حتّى يعرفنى بالنورانيّه فإذا عرفنى بها كان مستبصرا بالغا كاملاً قد خاض بحرا من العلم وارتقى درجه من الفضل واطّلع على سرّ من سرّ اللّه ومكنون خزائنه(۴) .

أقول : يدلّ قوله عليه السلام على أنّ ما يملكونه من القدره كلّه يكون بالاسم الأعظم فلاحظ قوله عليه السلام : «قد أعطانا ربّنا عزّوجلّ علمنا للاسم الأعظم الّذى لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنّه والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهى به إلى العرش فنجلس عليه بين يدى اللّه عزّوجلّ ويطيعنا كلّ شىء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ والبحار

۱- الأنبياء : ۲۷ .

۲- الأعراف : ۴۳ .

۳- الزمر : ۷۱ .

۴- بحارالأنوار : ۲۶/۷ .

ص: ۶۹

والجنّه والنار أعطانا اللّه ذلک کلّه بالاسم الأعظم الذی علّمنا وخصّنا به» .

وعن محمّـد بن حمّـاد عن أخیه أحمـد بن حمّاد عن إبراهیم عن أبیه عن أبی الحسن الأوّل علیه السـلام قال : قلت له : جعلت فـداک أخبرنی عن النبیّ صلی الله علیه و آله ورث النبیّین کلّهم ؟

قال : نعم .

قلت : من لدن آدم حتّی انتهی إلی نفسه ؟

قال : ما بعث اللّه نبیّا إلاّ ومحمّد صلی الله علیه و آله أعلم منه .

قال : قلت : إنّ عیسی بن مریم علیه السلام کان یحیی الموتی بإذن اللّه ؟

قال : صدقت وسلیمان بن داود علیه السلام کان یفهم منطق الطیر وکان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقدر علی هذه المنازل .

قال : فقال : إنّ سلیمان بن داود علیه السلام قال للهدهد حین فقده وشکّ فی أمره .

فقال : « فَقَالَ مَا لِیَ لاَ أرَی الْهُدْهُدَ أمْ کَانَ مِنَ الْغَائِبِینَ * لاَءُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِیدا أوْ لاَءذبَحَنَّهُ أوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُـلْطَانٍ مُبِینٍ »(۱) وإنّما غضب لأنّه کان یـدلّه علی الماء فهـذا وهو طائر قـد أعطی ما لم یعط سـلیمان وقـد کانت الریح والنمل والجنّ والإنس والشـیاطین والمرده له طـائعین ولم یکن یعرف المـاء تحت الهواء وکـان الطیر یعرفه وإنّ اللّه یقول فی کتـابه : « وَلَوْ أَنَّ قُرآنـا سُـیِّرَتْ بِهِ الْجِبَـالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَی »(۲) وقـد ورثنا نحن هذا القرآن الذی فیه ما تسیّر به الجبال وتقطع به البلدان وتحیا به الموتی ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإنّ فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر إلاّ أن یأذن اللّه به ؛ الخبر(۳) .

أقول : دلاله الخبر علی المدّعی واضـحه فعلم القرآن کلّه عند الأئمّه علیهم السـلام وبه تسیّر الجبال ویکلّم الموتی . فهذه الأدلّه تشیر إلی رجوع کمـال القـدره إلی کمـال العلم فی أهل البیت علیهم السـلام وهی تؤیّـد ما بیّنّاه من رجوع کمال القـدره فی اللّه تعالی إلی کمال العلم .

۱- النمل : ۲۰ ۲۱ .

۲- الرعد : ۳۱ .

۳- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۲ ، الکافی : ۱/۲۲۶ .

ص: ۷۰

نعم ، الخلق مهما بلغ من الكمال لا يستطيع أن يعرف علم اللّه تعالى ولا يمكنه الإحاطه بسعته إذ لا حدّ له أبداً ، فإنّنا لا نستطيع أن نعرف شيئاً من علمه إلّا أنّه تعالى علم لا جهل فيه ، وإنّه لا يجهل شيئاً ، وإنّه بكلّ شىء عليم .

الجهه الثانيه : عدم أزليّه الأسماء اللّفظيّه وكذا التكوينيّه ، فإنّ هذه الأسماء مخلوقه كسائر الخلائق وثبوت معانى الأسماء كالعلم عند إطلاق العالم عليه لا يستلزم أزليّه الأسماء كما هو واضح ، فإنّ ثبوتها معه يستلزم ثبوت شريك للّه تعالى إذ من الواضح بينونتها عنه تعالى وإنّما خلقها اللّه تعالى وسيله بينه وبين خلقه ، والمعنىّ والمقصود بها هو اللّه الواحد الماجد الأزلىّ الأبدىّ .

ولمّا كانت الأسماء مخلوقه للّه تعالى ، له أن يفنيها وله أن يبقيها ، فحالها حال سائر المخلوقين حذو القذّه بالقذّه ، وبإفنائها لا يزول علمه تعالى ، بل يبقى عالماً فإنّه تعالى عالم أزلاً وهذا هو العلم المكفوف الذى لا حدّ له ولا نهايه .

الجهه الثالثه : إنّ إطلاق القدير والعليم عليه تعالى لا يستلزم الإحاطه بعلمه وقدرته تعالى بل إطلاق القدير عليه تعالى يوجب نفى العجز عنه ، وإطلاق العليم والعالم عليه يوجب نفى الجهل عنه وجعل الجهل سواه .

الجهه الرابعه : لمّا كان اللّه تعالى عالماً لا ـ جهل فيه وحيّاً لا ـ موت فيه وقديراً لا عجز فيه ، لا يكون المخلوق الذى هو عين العجز والجهل مخلوقاً من الحقيقه بحقيقه الشيئيّه ، وهذا يدلّ على أنّ الخلقه خلقه إبداعيّه وابتدائيه ولا من شىء وليست من أُصول أزليّه ، إذ لا يشكّ العاقل بفقره واحتياجه الذاتىّ ، ولذا لا يُعقل أن يكون الضعيف بالذات مخلوقا من القوىّ بالذات .

الجهه الخامسه : إنّ إطلاق السميع والبصير عليه تعالى ليس كإطلاقه على المخلوق ، إذ المخلوق لا يشبهه فى شىء من الصفات والكمالات ، ولذا يكون إطلاق السميع على اللّه تعالى من جهه علمه تعالى بالمسموع وهكذا الأمر بالنسبه لإطلاق البصير عليه تعالى .

ص: ۷۱

عن الإمام أبی الحسن الرّضا علیه السلام قال : اعلم علّمک اللّه الخیر أنّ اللّه تبارک وتعالی قدیم ، والقدم صفته الّتی دلّت العاقل علی أنّه لا ـ شیء قبله ولا ـ شیء معه فی دیمومیّته ، إلی أن قال علیه السلام : وإنّما سمّی اللّه تعالی بالعلم بغیر علم حادث علم به الأشیاء استعان به علی حفظ ما یستقبل من أمره والرّویّه فیما یخلق من خلقه ، ویفسد ما مضی ممّا أفنی من خلقه ممّا لو لم یحضره ذلک العلم ویغیبه کان جاهلاً ـ ضعیفاً ، کما أنّا لو رأینا علماء الخلق إنّما سمّوا بالعلم لعلم حادث إذ کانوا فیه جهله وربّما فارقهم العلم بالأشیاء فعادوا إلی الجهل ، وإنّما سمّی اللّه عالماً لأنّه لا یجهل شیئاً فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنی علی ما رأیت ، الخبر(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی افتراق إطلاق العالم علی اللّه تعالی عن إطلاقه علی الخلق ، فإنّ الخلق لم یثبت لهم علم أزلاً بل هم علماء بالعلم الحادث ، وأمّا اللّه تعالی فإنّه تعالی عالم لعدم جهله بشیء أزلاً ، فهو عالم أزلاً وأبداً ، ولا یفارقه العلم أبداً .

عن أبی علیّ القصّاب قال : کنت عند الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام فقلت : الحمد للّه منتهی علمه . فقال : لا تقل ذلک ، فإنّه لیس لعلمه منتهی(۲) .

قال عبد اللّه بن یحیی کتبت إلیه فی دعاء : الحمد للّه منتهی علمه . فکتب : لا تقولنّ منتهی علمه ، فإنه لیس لعلمه منتهی ولکن قل : الحمد للّه منتهی رضاه(۳) .

أقول : هذان الخبران صریحان فی عدم تناهی علمه تعالی ، فإنّه عالم أزلاً بما لا یتناهی .

فتحصّل من هذه الأدلّه ثبوت العلم المکفوف للّه تعالی وهو العلم المخزون عنده الذی لا یطّلع علیه أحد لعدم تناهیه ، ومنه یکون البداء .

ولمّا کان تعالی عالماً أزلاً وأبداً بأنظمه لا تتناهی ونقیضها ، لا یوجب تغییر مشیّته

۱- الکافی : ۱/۱۲۰ .

۲- وسائل الشیعه : ۷/۱۳۶ (آل البیت) .

۳- بحارالأنوار : ۱۰/۲۴۶ ، تحف العقول : ۴۰۸ .

ص: ۷۲

المخلوقه تغییراً فی علمه القدّوس الذی هو عین ذاته تعالی وسیأتی توضیح ذلک .

هذا کلّه فی المعارف الإلهیّه وأمّا فی المعارف البشریّه فینحصر علمه تعالی بالنظام الأصلح ولیس کشفاً لجمیع الأنظمه اللامتناهیه بما لا یتناهی وإلیک نموذجاً من تلک العبارات :

قال الملّاصدرا : «ولمّا کانت ذاته البسیطه علماً بکیفیّه النظام الأتمّ لما علمت فی مباحث العلم الإلهی أنّ ذاته بذاته کلّ الأشیاء الموجوده علی الوجه الأشرف الأقدس لأنّها موجوده بوجود إلهیّ واجبیّ ومتصوّره بصوره ربّانیّه رحمانیّه فیتبع ذاته العقلیّه الواجبیّه فیضان الموجودات عنه علی النظام التامّ المعقول عنده من معقولیّه ذاته ... أنّه عالم بکیفیّه نظام الخیر فی الوجود وإنّه واجب الفیضان عنه وعالم بأنّ هذه العالمیّه یوجب أن یفیض عنها الوجود علی الترتیب الذی یعقله خیراً ونظاماً ؛ انتهی کلامه(۱) .

أقول : من الواضح أنّ کون ذاته بذاته کلّ الأشیاء الموجوده واستتباع ذلک لفیضان الموجودات عنه علی النظام التامّ یوجب لزوم صدور وتجلّی ذاته ، وهذا ینافی علمه بما لا یکون أو ما یمکن أن یکون ، فلابدّ من أن یکون کلّ ما فی ذاته علی وجه أبسَط ، وهذه المقاله الفاسده المخالفه للعقل الصریح وضروره جمیع الأدیان الإلهیّه لاستلزامها السنخیّه أو العینیّه بین الخالق والمخلوق وجوداً ، تنافی أیضاً سعه علمه تعالی لما لا یکون ولا یرید فتأمّل جیّداً .

ثمّ إنّ من الواضح أنّ القول بالفیضان والرشح ینافی الإختیاریّه والفاعلیّه عن قدره فجلّت ساحه الربّ عن ذلک .

۱- الأسفار : ۶/۳۳۲ .

ص: ۷۳

العلم المحمول فی الآیات

اشاره

فمنهـا قوله اللّه تعالی : « عَالِمُ الْغَیْبِ فَلاَ یُظْهِرُ عَلَی غَیْبِهِ أَحَـدا ، إلاَّ مَنِ ارْتَضَـی مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْـلُکُ مِن بَیْنِ یَـدَیْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَـدا »(۱) .

عن سدیر الصّیرفیّ قال : سمعت حمران بن أعین یسأل أبا جعفر علیه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ « بدیع السّماوات والأرض »(۲) ؟

قال أبو جعفر علیه السـلام : إنّ اللّه عزّ وجلّ ابتدع الأشـیاء کلّها بعلمه علی غیر مثال کان قبله ، فابتدع السّـماوات والأرضـین ولم یکن قبلهنّ سماوات ولا أرضون أ ما تسمع لقوله تعالی « وکان عرشه علی الماء »(۳) .

فقال له حمران : أرأیت قوله جلّ ذکره « عالم الغیب فلا یظهر علی غیبه أحدا » ؟

فقال أبو جعفر علیه السـلام : « إلاّ من ارتضی من رسول » وکان واللّه محمّد ممّن ارتضاه . وأمّا قوله : « عالم الغیب » فإنّ اللّه عزّ وجلّ عـالم بمـا غـاب عن خلقه فیما یقـدّر من شـیء ویقضـیه فی علمه قبل أن یخلقه وقبل أن یُفْضِیَه إلی الملائکه ، فـذلک یا حمران علم موقوف عنـده ، إلیه فیه المشـیئه ، فیقضـیه إذا أراد ویبدو له فیه فلا یمضـیه . فأمّا العلم الّذی یقدّره اللّه عزّ وجلّ فیقضـیه ویمضـیه فهو العلم الّذی انتهی إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، ثمّ إلینا(۴) .

یحتمل أن یکون المراد من علم الغیب فی الآیه هو العلم الـذی قـد یبـدو للّه تعالی فیه بخلاف ما إذا أخبر به الرسول الأکرم صـلی الله علیه و آله وکان من المیعادیّات أو ممّا لا یبدو للّه

۱- الجنّ : ۲۶ ۲۷ .

۲- الأنعام : ۱۰۱ .

۳- هود : ۹ .

۴- الکافی : ۱/۲۵۶ .

ص: ۷۴

تعالی فیه فإنّه یقضیه ویمضیه ولا ریب فی دلاله الآیه المبارکه علی العلم المحمول فإنّه تعالی حمّل رسوله الأکرم ذلک العلم وکذا أوصیائه .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فی معنی الغیب :

و «الغیب» ما یقابل الشهاده . والمراد منه کل موجود خلقه اللّه سبحانه وتفرّد بعلمه لا یعلمه أحد غیره إلّا من اصطفاه من أنبیائه ورسله ویختاره بما شاء وأراد من الغیوب . قال تعالی : « عَالِمُ الْغَیْبِ فَلاَ یُظْهِرُ عَلَی غَیْبِهِ أَحَدا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَی مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِن بَیْنِ یَدَیْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا » . المراد من «الرصد» الذی یسلک من بین یدیه ومن خلفه هو عصمه اللّه المانعه التی اصطفی اللّه أنبیاءه ورسله بهذه الکرامه العظمی ، فعلم رسله وأنبیاءه من الغیوب ما شاء وأراد ، وکذلک غیر الأنبیاء والرسل من الأوصیاء والصدّیقین ، فجعل لهم أیضاً ارتباطاً بعالم الغیب ینادیهم الملک المحدّث ویلقی إلیهم شیئاً من الغیوب . وهذا یسمّی بالتحدیث . قال تعالی : « إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِکَهُ یَا مَرْیَمُ إِنَّ اللّه َ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیها فِی الْدُّنْیَا وَالْآخِرَهِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ »(۱) . ومثل ما کلّم جبرئیل سیّدتنا الصدیقه الطاهره وأخبرها من أنباء الغیب وما یحدث من الحوادث فی المستقبل ، وعلیّ علیه السلام وهو الصدّیق الأکبر حاضر وجالس فی المحفل یکتب جمیع ما یلقیه جبرئیل . وهذه المکتوبات من مواریث بیت النبوّه والإمامه ومفاخر علومهم . وهذه هی المسمّاه بمصحف فاطمه . وهو الآن عند الإمام المنتظر المهدیّ عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف .

قوله تعالی : ویعلم ما فی البرّ والبحر ... عطف علی قوله : لا یعلمها . وهذا القسم یسمّی بعالم الشهاده . والشهاده ما یقابل الغیب . وهو

۱- آل عمران : ۴۵ .

ص: ۷۵

الـذی یتمکّن النـاس من العلم به . لا نقول : إنّ کلّ عین وحادثه فی عالم الشـهاده یعلمه ویتمکّن من العلم به جمیع الناس ، بل نقول : إنّ الأعیان والحوادث الواقعه فی أقطار الأرض ، وإن کانت غائبه عندنا ، إلاّ أنّها شهاده عند قوم آخرین ، وبالعکس أیضاً .

نعم ، لا یبعـد أن یکون فی عالم الشـهاده والبرّ والبحر أعیان وحوادث لا یتمکّن أحد من العلم بها أیضاً فتکون داخله فی الغیوب . قال تعالی : « وَإِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمَ مَا تُکِنُّ صُـدُورُهُمْ وَمَا یُعْلِنُونَ ، وَمَا مِنْ غَائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَالأَرْضِ إلاَّ فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۱) . « یَعْلَمُ مَا یَلِجُ فِی الأَرْضِ وَمَا یَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا یَنزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا یَعْرُجُ فِیهَا وَهُوَ الرَّحِیمُ الْغَفُورُ ، وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لاَ تَأْتِینَا السَّاعَهُ قُلْ بَلَی وَرَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عَـالِمِ الْغَیْبِ لاَ یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماوَاتِ وَلاَ فِی الأَرْضِ وَلاَ أَصْـغَرُ مِن ذلِکَ وَلاَ أَکْبَرُ إلاَّ فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۲) . « اللَّهُ یَعْلَمُ مَا تَحْمِـلُ کُـلُّ أُنثَی وَمَا تَغِیضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَکُلُّ شَـی ءٍ عِنـدَهُ بِمِقْـدَارٍ ، عَالِمُ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَهِ الْکَبِیرُ الْمُتَعَالِ »(۳) . « مَـا أَصَابَ مِن مُصِـیبَهٍ فِی الأَرْضِ وَلاَ فِی أَنفُسِـکُمْ إلاَّ فِی کِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِـیرٌ »(۴) . « یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِیعـا فَیُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَی کُلِّ شَـیءٍ شَهِیدٌ »(۵) . « هُـوَ أَعْلَمُ بِمَـا تُفِیضُونَ فِیهِ کَفَی بِهِ شَـهِیدا بَیْنِی وَبَیْنَکُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ »(۶) .

هـذه الآیـات ومـا فی معناهـا من الآیـات محکمه الـدلاله بنفوذ علمه تعـالی بجمیع مـا سواه من دون فرق بین دقیقه وجلیله ، وجزئیـاته وکلّیّاته .

۱- النّمل : ۷۴ و ۷۵ .

۲- سبأ : ۲ و ۳ .

۳- الرّعد : ۸ و ۹ .

۴- الحدید : ۲۲ .

۵- المجادله : ۶ .

۶- الأحقاف : ۸ .

ص: ۷۶

وحيث إنّ كلّ غيب عنده شهاده وكلّ سرّ عنده علانيه ، فلا غيب ولا سرّ بالنسبه إليه تعالى . والمراد من الغيب هو ما لم يكن ولم يوجد وكذلك الأعيان الموجوده التى حجب اللّه تعالى علمها عن عباده وما جرت سنّته الحكيمه بإفاضه العلم بها فى ألسنه أوليائه ، مثل البرزخ والآخره وما فيها من الحقائق .

واللّه سبحانه هو العالم بهذه الغيوب فى عرض سواء ، سواء كان من الحوادث التى لما تكن أو من الجزئيات المنقضيه المتبدّله المتغيّره ، أو التى تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام ، أو ما كان فى معرض الزياده والنقصان ، أو ما كان مثقال حبّه من خردل فتكن فى صخره أو فى السماوات والأرض يأت بها اللّه ويحصيها تعالى ، فهو سبحانه علم وعيان بالغيب بالمعانى التى ذكرناها وكذلك علم وشهاده بالمعدومات التى لن تكون أبداً ، أى الفرضيّات المستحيله والممكنه التى ما جرت سنّته على إيجادها . انتهى كلامه رفع مقامه(۱) .

و منها قوله تعالى : « وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَيَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ »(۲) .

عن أبى الربيع الشامىّ قال : سألت الإمام أباعبداللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ : « يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم »(۳) ؟

قال : نزلت فى ولايه علىّ عليه السلام .

قال : وسألته عن قول اللّه عزّ وجلّ : « وما تسقط من ورقه إلّا يعلمها ولا حبّه فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا فى كتاب مبين » ؟

۱- توحيد الإماميه : ۲۵۹ ۲۶۱ .

۲- الأنعام : ۵۹ .

۳- الأنفال : ۲۴ .

ص: ۷۷

قال فقال : «الورقه» السقط ، و «الحبّه» الولد ، و «ظلمات الأرض» الأرحام ، و «الرّطب» ما یحیی من النّاس ، و «الیابس» ما یقبض ، وکلّ ذلک فی إمام مبین ؛ الخبر(۱) .

عن أبی بصیر قال : سألته عن قوله عزّ وجلّ « وما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین » ؟

قال فقال : «الورقه» السقط ، و «الحبه» الولد ، و «ظلمات الأرض» الأرحام ، و «الرطب» ما یحیا ، و «الیابس» ما یغیض ، وکلّ فی کتاب مبین(۲) .

عن الحسین بن خالد قال : سألت أباعبداللّه علیه السلام عن قول اللّه : « ما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین » ؟

فقال : «الورق» السقط ، یسقط من بطن أمّه من قبل أن یهل الولد .

قال : فقلت : وقوله «ولا حبّه» ؟

قال : یعنی الولد فی بطن أمّه إذا أهل ویسقط من قبل الولاده .

قال : قلت : قوله «ولا رطب» ؟

قال : یعنی المضغه إذا استکنت فی الرحم قبل أن یتمّ خلقها قبل أن ینتقل .

قال : قوله «ولا یابس» ؟

قال : الولد التامّ .

قال : قلت : «فی کتاب مبین» ؟

قال : فی إمام مبین(۳) .

عن المفضّل قال : دخلت علی الإمام الصادق علیه السلام ذات یوم فقال لی : یا مفضّل هل عرفت محمّداً وعلیّاً وفاطمه والحسن والحسین علیهم السلام کُنْه معرفتهم ؟

قلت : یا سیّدی وما کُنْه معرفتهم ؟

۱- الکافی : ۸/۲۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۰ ، معانی الأخبار : ۲۶۵ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۰ ، تفسیر العیّاشیّ : ۱/۱۳۶ .

ص: ۷۸

قال : یا مفضّل من عرفهم کُنْه معرفتهم کان موءمناً فی السنام الأعلی .

قال : قلت : عرّفنی ذلک یا سیّدی .

قال : یا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق اللّه عزّ وجلّ وذرأه وبرأه ، وأنّهم کلمه التقوی وخزّان السماوات والأرضین والجبال والرمال والبحار ، وعلموا کم فی السماء من نجم وملک ، ووزن الجبال وکیل ماء البحار وأنهارها وعیونها وما تسقط من ورقه إلاّ علموها ، ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلاّ فی کتاب مبین ، وهو فی علمهم وقد علموا ذلک .

فقلت : یا سیّدی قد علمت ذلک وأقررت به وآمنت .

قال : نعم یا مفضّل ، نعم یا مکرّم ، نعم یا محبور ، نعم یا طیّب ، طبت وطابت لک الجنّه ولکل موءمن بها(۱) .

بیان : الظاهر أنّ المراد من قوله تعالی «مفاتح الغیب» خزائن الغیب وهی کنایه عن علمه تعالی ، فإنّ علمه تعالی واسع لا حدّ له ومفاتحه وخزائنه عنده یعطی من یشاء ویمنع من یشاء وهذا هو المراد من «عنده» فإنّه تعالی متفرّد بعلم الغیب الذی هو بمعنی العلم المخزون المکنون فی المقام ظاهراً ، وأمر هذا العلم من حیث العطاء والمنع بیده وحده لا شریک له فی ذلک .

ففی لسان العرب «و المفتح : الخزانه ، ولکلّ شیء مفتح ، ومفتح بالفتح والکسر ، من صنوف الأشیاء» وفی مجمع البحرین «و عنده مفاتح الغیب» أی خزائنه ، جمع مفتح بفتح المیم وهو المخزن» .

نعم أفاد شیخنا الأُستاذ المحقّق آیه اللّه محمّد باقر الملکیّ قدس سره أنّ المراد من المفاتح فی المقام هو المدخل والمورد وإطلاق الباب علی العلم غیر عزیز فی الأدلّه(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۲۶/۱۱۶ عن مصباح الأنوار .

۲- توحید الإمامیّه : ۲۵۸ .

ص: ۷۹

ولکن الظاهر أنّ المراد من «المفاتـح» فی المقام هو الخزائن فإنّ لفظ «الخزائن» یتناسب مع حقیقه العلم ولا یعنی ذلک أنّا ننکر إطلاق الباب علی العلم ولکن الأنسب فی المقام هو الخزائن واللّه تعالی العالم .

و کیفما کان ، فالظاهر من الآیه المبارکه أنّ أمر العلم بیـد اللّه تعالی ، فله أن یعطی من شاء ما شاء من العلم ، وله أن یمنع من شاء من العلم .

هذا ومضافاً إلی علمه تعالی بالغیب وکینونه خزائنه عنده ، فإنّه تعالی عالم بالجزئیّات ممّا فی البرّ والبحر وما تسقط من ورقه إلاّ یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلاّ فی کتاب مبین .

و الظاهر من الأخبار التی مرّت أنّ اللّه تعالی جعل العلم بکلّ مخلوق فی السـماء والأرض والسـقط والجنین وحیاه الأشخاص ومماتهم وغیر ذلک فی الکتاب المبین ، وجعل الکتاب المبین عنـد الإمام المبین (بحسب خبر المفضّل) فإنّ أئمه الهدی علیهم السـلام یعلمون ما فی السماء وما فی الأرض وبهذا الاعتبار أی باعتبار تحمّلهم للکتاب المبین یصحّ إطلاق الکتاب المبین علیهم .

وأمّـا الوجه فی کونه علیه السـلام «مبینـاً» هو دلالـه تحمّله للعلم الوهبی الإلـهی علی إمـامته وولاـیته أو دلاله الأدلّه الکثیره علی إمامته وولایته ومنها تحمّله للعلم الوهبی الإلهیّ .

و منها قوله تعالی : « وَمَا مِنْ غَائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَالأَرْضِ إلاَّ فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۱) .

عن الإمام أبی الحسن الأوّل علیه السلام قال : قلت له : جعلت فداک أخبرنی عن النبیّ صلی الله علیه و آله ورث النبیّین کلّهم ؟

قال : نعم .

قلت : من لدن آدم حتّی انتهی إلی نفسه .

قال : ما بعث اللّه نبیّاً إلاّ ومحمّد صلی الله علیه و آله أعلم منه .

قال : قلت إنّ عیسی ابن مریم کان یحیی الموتی بإذن اللّه .

۱- النّمل : ۷۵ .

ص: ۸۰

قال : صدقت ، وسلیمان بن داود کان یفهم منطق الطّیر ، وکان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقدر علی هذه المنازل .

قال : فقال إنّ سلیمان بن داود قال للهدهد حین فقده وشک فی أمره فقال : « ما لِیَ لا أری الهدهد أم کان من الغائبین » حین فقده ، فغضب علیه فقال : « لأعذّبنّه عذاباً شدیداً أو لأذبحنّه أو لیأتینّی بسلطان مبین »(۱) وإنّما غضب لأنّه کان یدلّه علی الماء، فهذا وهو طائر قد أعطی ما لم یعط سلیمان وقد کانت الریح والنمل والإنس والجنّ والشیاطین والمرده له طائعین ولم یکن یعرف الماء تحت الهواء وکان الطیر یعرفه ، وإنّ اللّه یقول فی کتابه: « ولو أنّ قرآنا سیّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو کلّم به الموتی »(۲) وقد ورثنا نحن هذاالقرآن الذی فیه ما تسیّر به الجبال وتقطّع به البلدان وتحیا به الموتی، ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإنّ فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر إلاّ أن یأذن اللّه به مع ما قد یأذن اللّه ممّا کتبه الماضون جعله اللّه لنا فی أمّ الکتاب . إنّ اللّه یقول : « وما من غائبه فی السّماء والأرض إلاّ فی کتاب مبین »(۳) ثمّ قال : « ثمّ أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا »(۴) فنحن الذین اصطفانا اللّه عزّوجلّ، وأورثنا هذا الذی فیه تبیان کلّ شیء(۵) .

أقول : یظهر من هذا الخبر الشریف سعه علم أهل البیت علیهم السلام ، وأنّهم ورثوا الکتاب المبین الذی فیه کلّ شیء ومن الواضح أنّ ما کتب فی الکتاب هو العلم المحمول .

ومن جمله ما یدلّ علی العلم المحمول ، الأخبار الدالّه علی أنّ العرش علم قد حمّله اللّه تعالی بعض أولیائه ، وکذا الکرسیّ وقد ذکرها شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فلا نأتی بها تفصیلاً إلاّ أنّنا نذکر بعضها .

قال اللّه تعالی : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ

۱- النمل : ۲۰ ۲۱ .

۲- الرعد : ۳۱ .

۳- النمل : ۷۵ .

۴- فاطر : ۳۲ .

۵- الکافی : ۱/۲۲۶ .

ص: ۸۱

وَمَا فِی الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ یَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ »(۱) .

عن حفص قال : سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ؟

قال : علمه(۲) .

أقول : هذا الخبر الشریف صریح فی أنّ المراد من الکرسیّ فی هذه الآیه المبارکه هو العلم الإلهیّ .

عن الفضیل بن یسار قال : سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه جلّ وعزّ : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ؟

فقال : یا فضیل کلّ شیء فی الکرسیّ ، السماواتُ والأرضُ وکلُّ شیء فی الکرسیّ(۳) .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه محمّد باقر الملکیّ قدس سره ما هذا نصّه :

هذه الروایات تدلّ علی ما استظهرناه من الآیه الکریمه من أنّ المراد من الکرسیّ فی الآیه المبارکه هو العلم الذی وسع السماوات والأرض وما فیهما . وهذا الکرسیّ الرفیع الوسیع محیط بما علم به من السماوات والأرض إحاطه عیان وانکشاف ، لا علی نحو الانطباع والعلم الحصولیّ . ولیس قوله تعالی : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ولا الروایات الوارده فی تفسیرها ، مسوقه لبیان کینونه الأشیاء فی الکرسیّ بنحو من أنحاء الوجود ، کما ذکرناه فی البحث عن الکتاب المبین وتفسیره . والظاهر أنّ الآیه الکریمه مسوقه لتمجیده تعالی بأنّ

۱- البقره : ۲۵۵ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، التوحید : ۳۲۷ .

۳- الکافی : ۱/۱۳۲ .

ص: ۸۲

کرسیّه وسع السماوات والأرض ، والروایات مسوقه لبیان حقیقه الکرسیّ وأنّه علم محیط بالسماوات والأرض(۱) . انتهی کلامه .

أقول : لا ـ شکّ فی دلاله حدیث حفص فی أنّ المراد من الکرسیّ هو العلم الإلهیّ إلاّ ـ أنّ استظهار ذلک من خبر الفضیل وأمثاله صعب لاحتمال أن یکون للکرسیّ إطلاقات عدّه فی الآیات القرآنیّه ، فلاحظ الخبر الآتی :

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : جاءت زینب العطّاره الحولاء إلی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله وبناته وکانت تبیع منهنّ العطر . فجاء النبیّ صلی الله علیه و آله وهی عندهنّ . فقال : إذا أتیتنا طابت بیوتنا .

فقالت : بیوتک بریحک أطیب یا رسول اللّه .

قال : إذا بعت فأحسنی ولا تغشّی فإنّه أتقی وأبقی للمال .

فقالت : یا رسول اللّه ، ما أتیت بشیء من بیعی وإنّما أتیت أسألک عن عظمه اللّه عزّ وجلّ .

فقال : جلّ جلال اللّه ، سأحدّثک عن بعض ذلک . ثمّ قال : إنّ هذه الأرض بمن علیها عند التی تحتها کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، وهاتان بمن فیهما ومن علیهما عند الّتی تحتها کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والثالثه حتّی انتهی إلی السابعه وتلا هذه الآیه « خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ »(۲) والسبع الأرضین بمن فیهنّ ومن علیهنّ علی ظهر الدیک کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والدیک له جناحان جناح فی المشرق وجناح فی المغرب ورجلاه فی التخوم والسبع والدیک بمن فیه ومن علیه علی الصخره کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والصخره بمن فیها ومن علیها علی ظهر الحوت کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت بمن فیه ومن علیه علی البحر المظلم کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر المظلم علی الهواء الذاهب کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر

۱- توحید الإمامیّه : ۲۹۹ .

۲- الطلاق : ۱۲ .

ص: ۸۳

المظلم والهواء علی الثری کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، ثمّ تلا هـذه الآیه « له ما فی السـماوات وما فی الأرض وما بینهما وما تحت الثری »(۱) ثمّ انقطع الخبر عند الثری والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر المظلم والهواء والثری بمن فیه ومن علیه عند السماء الأولی کحلقه فی فلاه قیّ ، وهذا کلّه وسـماء الدنیا بمن علیها ومن فیها عند التی فوقها کحلقه فی فلاه قیّ ، وهاتان السماءان ومن فیهما ومن علیهما عنـد التی فوقهمـا کحلقه فی فلاـه قیّ ، وهـذه الثلاـث بمن فیهنّ ومن علیهنّ عنـد الرابعه کحلقه فی فلاه قیّ ، حتّی انتهی إلی السـابعه وهنّ ومن فیهنّ ومن علیهنّ عنـد البحر المکفوف عن أهـل الأـرض کحلقه فی فلاـه قیّ ، وهـذه السـبع والبحر المکفوف عند جبـال البرد کحلقه فی فلاـه قیّ ، وتلاـ هـذه الآیه « وینزّل من السّـماء من جبال فیها من برد »(۲) وهذه السـبع والبحر المکفوف وجبال البرد عند الهواء الذی تحار فیه القلوب کحلقه فی فلاه قیّ ، وهذه السبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور کحلقه فی فلاه قیّ ، وهـذه السـبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عنـد الکرسـیّ کحلقه فی فلاه قیّ ، ثمّ تلا هـذه الآیه « وسع کرسـیّه السماوات والأرض ولا یوءده حفظهما وهو العلیّ العظیم »(۳) وهذه السبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والکرسـیّ عند العرش کحلقه فی فلاه قیّ ، وتلا هذه الآیه « الرّحمن علی العرش استوی »(۴) [و فی روایه الحسن] الحجب قبل الهواء الذی تحار فیه القلوب(۵) .

فإنّ الظاهر من هذا الخبر الشـریف أنّ الکرسیّ هو مادّی وقد أحاط بجمیع الأشیاء إلاّ العرش إحاطه مکان ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون .

ویشهد علی تعدّد إطلاقات العرش والکرسیّ الخبر التالی ، فلاحظ :

عن المفضّل بن عمر قال : سألت الإمام أباعبداللّه علیه السلام عن العرش والکرسی ما

۱- طه : ۶ .

۲- النور : ۴۳ .

۳- البقره : ۲۵۵ .

۴- طه : ۵ .

۵- الکافی : ۸/۱۵۳ .

ص: ۸۴

هما ؟

فقال : العرش فی وجه هو جمله الخلق والکرسیّ وعاوءه ، وفی وجه آخر هو العلم الذی أطلع اللّه علیه أنبیاءه ورسله وحججه والکرسیّ هو العلم الذی لم یطلع علیه أحداً من أنبیائه ورسله وحججه علیهم السلام (۱) .

فإنّ الظاهر منه أنّ للعرش إطلاقان :

أحدهما : جمله الخلق ویکون الکرسیّ حینئذ وعاءه ، وهذا کما تری ظاهر فی العرش غیر العلمیّ .

ثانیهما : العلم الذی أطلع اللّه تعالی علیه أنبیاءه ورسله وحججه .

ویظهر من هذا الخبر الشریف أیضاً أنّ الکرسیّ قد یطلق علی العلم المخزون المکنون الذی لم یطلع اللّه تعالی علیه أحداً من أنبیائه ورسله وحججه علیهم السلام .

وکیفما کان ، لا یمکن استظهار الإحاطه العلمیّه للکرسیّ علی السماوات والأرض من أمثال قوله علیه السلام «کلّ شیء فی الکرسیّ ، السماوات والأرض وکلّ شیء فی الکرسیّ»(۲) إذ من المحتمل أن یکون المراد من الإحاطه فی خصوص هذا الخبر الشریف وأمثاله الإحاطه المکانیّه .

آیات العرش

قال اللّه تعالی : « فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِیَ اللّه ُ لَاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ »(۳) .

و قال تعالی : « إِنَّ رَبَّکُمُ اللّه ُ الَّذِی خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِیعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِکُمُ اللّه ُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ »(۴) .

۱- بحارالأنوار : ۵۵/۲۸ ، معانی الأخبار : ۲۹ .

۲- الکافی : ۱/۱۳۲ ح۳ .

۳- التوبه : ۱۲۹ .

۴- یونس : ۳ .

ص: ۸۵

و قال تعالى : « الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى »(۱) .

و قال تعالى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ »(۲) .

و قال تعالى : « قُلْ مَن رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ »(۳) .

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام فى قول اللّه عزّ وجلّ « وسع كرسيّه السماوات والأرض » فقال : السماوات والأرض وما بينهما فى الكرسىّ ، والعرش هو العلم الذى لا يقدر أحد قدره(۴) .

أقول : الخبر الشريف صريح فى أنّ العرش علم لا يستطيع أحد أن يقدّره .

عن حنان بن سدير قال : سألت الإمام أبا عبداللّه عليه السلام عن العرش والكرسىّ فقال : إنّ للعرش صفات كثيره مختلفه ، له فى كل سبب وضع فى القرآن صفه على حده . فقوله « ربّ العرش العظيم » يقول الملك العظيم وقوله « الرّحمن على العرش استوى » يقول على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفوفيه فى الأشياء ، ثمّ العرش فى الوصل متفرّد من الكرسىّ لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما فى الغيب مقرونان ، لأنّ الكرسىّ هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلّها ، والعرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّه وصفه الإراده وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء ، فهما فى العلم بابان مقرونان لأنّ مُلك العرش سوى ملك الكرسىّ ، وعلمه أغيب من علم الكرسىّ ، فمن ذلك قال « ربّ العرش العظيم » أى صفته أعظم من صفه الكرسى وهما فى ذلك مقرونان .

قلت : جعلت فداك ، فلم صار فى الفضل جار الكرسىّ ؟

قال : إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّه فيه ، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيّتها

۱- طه : ۵ .

۲- الأنبياء : ۲۲ .

۳- المؤمنون : ۸۶ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، التوحيد : ۳۲۷ .

ص: ۸۶

وحدّ رتقها وفتقها ، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصرف وبمثل صرف العلماء ويستدلّوا على صدق دعواهما لأنّه يختص برحمته من يشاء وهو القوى العزيز ، فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى « ربّ العرش عمّا يصفون » وهو وصف عرش الوحدانيّه ، لأنّ قوماً أشركوا كما قلت لك قال تبارك وتعالى « ربّ العرش » ربّ الوحدانيّه عمّا يصفون ، وقوماً وصفوه بِيَدَين فقالوا يد اللّه مغلوله وقوماً وصفوه بالرجلين فقالوا وضع رجله على صخره بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء ، وقوماً وصفوه بالأنامل فقالوا إنّ محمّداً صلى الله عليه و آله قال إنّي وجدت برد أنامله على قلبي ، فلمثل هذه الصفات قال « ربّ العرش عمّا يصفون » يقول ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه وللّه المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهّم فذلك المثل الأعلى ، ووصف الذين لم يوءتوا من اللّه فوائد العلم ، فوصفوا ربّهم بأدنى الأمثال وشبّهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به ، فلذلك قال وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً فليس له شبه ولا مثل ولا عدل وله الأسماء الحسنى التي لا يسمّى بها غيره وهي التي وصفها في الكتاب فقال « فادعوه بها وذروا الّذين يلحدون في أسمائه »(۱) جهلاً ـ بغير علم ، فالذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك ، وهو لا ـ يعلم ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن ، فلذلك قال « وما يوءمن أكثرهم باللّه إلاّ وهم مشركون » فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها . يا حنان ، إنّ اللّه تبارك وتعالى أمر أن يتّخذ قوم أولياء فهم الذين أعطاهم اللّه الفضل وخصّهم بما لم يخصّ به غيرهم ، فأرسل محمّداً صلى الله عليه و آله فكان الدليل على اللّه بإذن اللّه عزّ وجلّ حتّى مضى دليلاً هادياً ، فقام من بعده وصيّه عليه السلام دليلاً هادياً على ما كان هو دلّ عليه من أمر ربّه من ظاهر علمه ، ثمّ الأئمّه الراشدون عليهم السلام (۲) .

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه المحقّق محمّد باقر الملكيّ قدس سره ما هذا نصّه :

قوله عليه السلام : «العرش في الوصل متفرّد من الكرسيّ لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان» .

۱– الأعراف : ۱۸۰ .

۲– التوحيد : ۵۰ .

ص: ۸۷

أقول : ذكر عليه السلام وجه تفرّد العرش من الكرسىّ ، أى افتراقه ، ووجه اقترانهما واشتراكهما أيضاً .

أما وجه اشتراكهما ، فإنّ العرش والكرسىّ كليهما من أكبر الغيوب وكليهما غيبان وفى الغيب مقرونان . أى : أنّ كلاًّ منهما علم وعيان حقيقى يعلم بهما الغيب . وحيث إنّ ما علم بهما أمر حادث ، فلا محاله يكون العلم والإحاطه منقسماً بالمعلومات قبل مرتبه الوقوع وفى مرتبه كونها غيباً على الإطلاق ، ويكون العرش والكرسىّ بابين لهذه الغيوب ، وإن شئت فقل مفتاحين لها .

وأمّا وجه افتراقهما ، فإنّ ما علم بالكرسىّ هو الغيب الذى منه مطلع البدع والإيجاد وعالم الشهاده كلها . فالكرسىّ علم بعالم الشهاده قبل مرتبه إيجاده وفى مرتبه إيجاده أيضاً ، فهو محيط بعالم الشهاده فقط . وأمّا العرش فهو محيط به وبما سواه من الأمور التى ليس الكرسىّ حاوياً وكاشفاً لها ، بل تكون هذه فضلاً وزيادةً للعرش . ويدلّ على ذلك قوله عليه السلام : «والعرش هو الباب الذى يوجد فيه علم الكيف ... فهما فى العلم بابان مقرونان ، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسىّ ، وعلمه أغيب من علم الكرسىّ»(۱) . انتهى كلامه رفع مقامه .

أقول : هذا الخبر الشريف صريح فى أنّ المراد من العرش والكرسىّ هو العلم .

و أمّا ما دلّ صريحاً على أنّ المراد منها هو العلم المحمول :

قوله اللّه تعالى : « وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ »(۲) .

و قوله تعالى : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

۱- توحيد الإماميه : ۳۰۳ ۳۰۴ .

۲- الحاقّه : ۱۷ .

ص: ۸۸

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ »(۱) .

فعن صفوان بن يحيى قال : سألنى أبو قرّه المحدّث أن أدخله على الإمام أبى الحسن الرّضا عليه السلام فاستأذنته ، فأذن لى ، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثمّ قال له : أفتقرّ أنّ اللّه محمول ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : كلّ محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول اسم نقص فى اللّفظ والحامل فاعل وهو فى اللّفظ مدحه ، وكذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى وأسفل ، وقد قال اللّه « وللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها »(۲) ولم يقل فى كتبه إنّه المحمول بل قال إنّه الحامل فى البرّ والبحر والممسك السّماوات والأرض أن تزولا ، والمحمول ما سوى اللّه ولم يسمع أحد آمن باللّه وعظمته قطّ قال فى دعائه يا محمول .

قال أبو قرّه : فإنّه قال « ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانيه » وقال « الّذين يحملون العرش » .

فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو اللّه والعرش اسم علم وقدره وعرش فيه كلّ شىء ثمّ أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حمله علمه ، وخلقاً يسبّحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه ، وملائكه يكتبون أعمال عباده ، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ، واللّه على العرش استوى كما قال ، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش واللّه الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس وفوق كلّ شىء وعلى كلّ شىء ، ولا يقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشىء فيفسد اللّفظ والمعنى .

قال أبو قرّه : فتكذّب بالروايه التى جاءت أنّ اللّه إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكه الّذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرّون سجّداً فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرنى عن اللّه تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا

۱- غافر : ۷ .

۲- الأعراف : ۱۸۰ .

ص: ۸۹

هو غضبان عليه ، فمتى رضى وهو فى صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه . كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتّغيير من حال إلى حال وأنّه يجرى عليه ما يجرى على المخلوقين . سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ، ولم يتغيّر مع المتغيّرين ، ولم يتبدّل مع المتبدّلين ، ومن دونه فى يده وتدبيره ، وكلّهم إليه محتاج ، وهو غنىّ عمّن سواه(۱) .

بيان : هذا الخبر الشريف صريح فى أنّ العرش اسم علم وقدره ، فهو صفه للعلم والقدره وقد جمع هذا العرش كلّ شىء فإنّه كشف لكلّ شىء وقد حمّله اللّه تعالى خلقاً من خلقه واستعبدهم بذلك .

عن محمّد بن مسلم قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول : قول اللّه تعالى « الّذين يحملون العرش ومن حوله » يعنى محمّداً وعليّاً والحسن والحسين وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى صلوات اللّه عليهم أجمعين(۲) .

أقول : من المحتمل أن يكون المراد من هذا الخبر الشريف بيان ل «من حوله» وهم الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام إلى آخر الخبر الشريف ، إلاّ أنّ الخبر الآتى يبيّن أنّ المراد من الذين يحملون العرش هم الرسول وأوصياؤه ، فيكون هذا الخبر الشريف أيضاً دالاًّ على المراد فلاحظ :

عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله « وكذلك حقّت كلمه ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار »(۳) يعنى بنى أميه ، « الّذين يحملون العرش » يعنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله والأوصياء من بعده ، يحملون علم اللّه « ومن حوله » يعنى الملائكه ، « يسبّحون بحمد ربّهم ويوءمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا » أى شيعه آل محمّد « ربّنا وسعت كلّ شىء رحمه وعلما فاغفر للّذين تابوا » من ولايه فلان وفلان وبنى أميه ، « واتّبعوا سبيلك » أى ولايه ولى « وقهم عذاب الجحيم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم

۱- الكافى : ۱/۱۳۰ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۹۰ ، تأويل الآيات : ۶۹۱ .

۳- غافر : ۶ .

ص: ۹۰

وذرّيّاتهم إنّك أنت العزيز الحكيم » يعنى من تولى عليّاً عليه السـلام فذلك صـلاحهم ، « وقهم السّيّئات ومن تق السّـيّئات يومئذ فقد رحمته » يعنى يوم القيـامه ، « وذلـك هو الفوز العظيم » لمن نجّاه اللّه من هوءلاـء يعنى من ولاـيه فلاـن وفلاـن . ثم قال : « إنّ الـذين كفروا » يعنى بنى أميـه « ينـادون لمقـت اللّـه أكـبر مـن مقتكم أنفسـكم إذ تـدعون إلى الإيمـان » يعنى إلى ولاـيه علىّ عليه السـلام « فتكفرون »(۱) .

وإن أبيت أن يكون الخبر الثـانى مقوّماً لظهور الخبر الأوّل والتزمت بظهور الخبر الأوّل ببيان المراد من « من حوله » فلا ريب فى ظهور الخبر الثانى بل نصّه فى المراد .

عن أبى حمزه عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : حمله العرش والعرش العلم ثمانيه أربعه منّا وأربعه ممّن شاء اللّه(۲) .

عن أميرالموءمنين عليه السلام إلى أن قال : فالّذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم اللّه علمه الخبر(۳) .

فتحصّل من ذلك أنّ العرش والكرسىّ على حسب بعض الإطلاقات هما العلم المحمول الذى حمّله اللّه تعالى أولياؤه .

هـذا ، وقـد أفـاد شـيخنا الملكىّ قـدس سـره بـأنّه لاـ يبعـد أن تكون الصـحف النوريّه من العرش والكرسـىّ والكتـاب المبين والكتاب المكنون التى هى انكشاف حقيقى وعلم حمّله اللّه تعالى الحمله الكرام هى مرتبه تعيّن واحـد من الأنظمه المعلومه للّه تعالى بالعلم بلا معلوم فإحصاؤه تعالى كلّ شىء فى إمام مبين عين تعيّن تحديده العلمى فى مرتبه الإيجاد .

قال قدس سره ما هذا نصّه :

الآيات والأخبار التى أوردناها فى البحث عن علمه تعالى ، قد دلّت وقامت على أنّ علمه تعالى بما سواه ليس على سبيل الحضور

۱- بحارالأنوار : ۲۴/۲۱۰ ، تفسير القمىّ : ۲/۲۵۵ .

۲- الكافى : ۱/۱۳۲ .

۳- الكافى : ۱/۱۲۹ .

ص: ۹۱

بـالصور ، ولا على سبيل الحصول بـذيها ، ولا على سبيل الحكم بالجزئيات المتجـدّده المتصـرّمه وغير ذلك ممّا ذكرنا هناك . بل هو تعـالى علم وكشف وعيـان بـذاته لجميع ما سواه فى عرض سواء فى شـدّه غير متناهيه كليّاتها وجزئياتها ، أعيانها وحوادثها ، ولا معلوم خارجاً بوجه .

والذات المقدّسه والعلم الغيرى المتناهى آبٍ عن التعيّن والتحديد بشىء من هذه الأنظمه . وإيجاد شىء منها ، لابدّ أن يكون عن تعيّن وتقدير خارجاً عن ذاته تعالى ، فيستحيل تحديد ذاته سبحانه بأنّه علم بالنظام الواحد الأحسن . فإنّه مع بطلانه مستلزم للتوالى الفاسده الكثيره .

فلاـ يبعـد أن يقـال : إنّ الصـحف النـورانيّه الـتى ذكرناهـا من العرش والكرسـىّ والكتـاب المـبين والكتـاب المكنـون ، الـتى هى علم وانكشاف حقيقى وحمل اللّه تعالى ذلك العلم لعدّه خاصه من عباده المقرّبين ، هى مرتبه تعيّن واحد من هذه الأنظمه الحسنى .

وإحصاوءه تعالى كلّ شـىء فى إمام مبين ، عين تعيين الموجودات بهـذا الكتاب وعين تعيينه وتحديـده العلمىّ فى مرتبه الإيجاد . وقد عرفت ما عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ العرش هو العلم الذى لا يقدر أحد قدره»(۱) . انتهى كلامه .

أقول : يمكن الإستشـهاد والمساعده على ما أفاده بما ورد من أنّ قلوب أئمّه الهدى عليهم السلام وكر لإراده اللّه تعالى وأوعيه لمشيّته . فلمّـا كان المعلوم عنـده بالعلم بلا معلوم غير متناه وكان ثبت المشـيّه فى قلوب المعصوم عليهم السـلام إخباراً لما يريـد أن يوقعه فى الخارج ، يكون الثابت فى قلوبهم الطاهره تعيّناً لأحد تلك الأنظمه الحسنى

۱- توحيد الإماميه : ۳۱۱ ۳۱۲ .

ص: ۹۲

لتوجد وتتحقّق فی الخارج .

وبعباره أخری : إنّ العرش والکرسیّ والکتاب المبین والکتاب المکنون هو العلم المحمول بصریح الأخبار المبارکه المفسّره للآیات القرآنیّه ، فمن تحمّل هذا العلم یکون متحمّلاً لمشیّه اللّه تعالی ووکراً لإرادته . ومعنی ثبت ذلک فی قلوبهم الطاهره هو بیان ما یرید وقوعه فی الخارج ، ولذا تکون تلک الصحف النوریّه تعیّناً لأحد الأنظمه الحسنی المعلومه للّه تعالی بالعلم بلا معلوم ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون . وإلیک بعض ما دلّ علی أنّهم وکر لإراده اللّه تعالی وأوعیه لمشیّته :

ورد فی زیاره مولانا الإمام الحسین بن علیّ علیهماالسلام : إراده الربّ فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم(۱) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : لو أذن لنا أن نُعلم الناس حالنا عند اللّه ومنزلتنا منه لما احتملتم .

فقال له : فی العلم ؟

فقال : العلم أیسر من ذلک . إنّ الإمام وکر لإراده اللّه عزّ وجلّ لا یشاء إلّا من(۲) یشاء اللّه(۳) .

عن أبی نعیم محمّد بن أحمد الأنصاری قال : وجّه قوم من المفوّضه والمقصّره کامل بن إبراهیم المدنی إلی الإمام أبی محمّد علیه السلام . قال کامل : فقلت فی نفسی أسأله لا یدخل الجنه إلّا من عرف معرفتی وقال بمقالتی .

قال : فلمّا دخلت علی سیدی أبی محمّد علیه السلام نظرت إلی ثیاب بیاض ناعمه علیه فقلت فی نفسی : ولیّ اللّه وحجّته یلبس الناعم من الثیاب ویأمرنا نحن بمواساه الإخوان وینهانا عن لبس مثله !

فقال متبسّماً : یا کامل وحسر ذراعیه فإذا مسح أسود خشن علی جلده ، فقال : هذا

۱- الکافی : ۴/۵۷۷ .

۲- ورد «من» فی بحارالأنوار والأنسب أن یکون «ما» .

۳- بحارالأنوار : ۲۵/۳۸۵ ، عن منهج التحقیق إلی سواء الطریق .

ص: ۹۳

للّه ، وهذا لكم .

فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخى . فجاءت الريح فكشفت طرفه ، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقه قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها فقال لى : يا كامل بن إبراهيم ، فاقشعررت من ذلك وألهمت أن قلت لبّيك يا سيدى .

فقال : جئت إلى ولىّ اللّه وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّه إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك ؟

فقلت : إى واللّه .

قال : إذن واللّه يقلّ داخلها واللّه إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيّه .

قلت : يا سيّدى ومن هم ؟

قال : قوم من حبّهم لعلىّ عليه السلام يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله . ثمّ سكت صلوات اللّه عليه عنّى ساعه ، ثمّ قال : وجئت تسأله عن مقاله المفوّضه ، كذبوا ، بل قلوبنا أوعيه لمشيّه اللّه فإذا شاء شئنا واللّه يقول « وما تشاوءن إلّا أن يشاء اللّه » . ثمّ رجع الستر إلى حالته ، فلم أستطع كشفه ، فنظر إلىّ أبومحمّد عليه السلام متبسّماً فقال : يا كامل ، ما جلوسك قد أنبأك بحاجتك الحجّه من بعدى . فقمت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك . قال أبو نعيم : فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدّثنى به(۱) .

العلم المحمول فى الروايات

اشاره

و أمّا ما دلّ من الأخبار على العلم المحمول فكثير ، وإليك بعضه :

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ اللّه عزّ وجلّ أخبر محمّداً صلى الله عليه و آله بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۳۳۶ ، الغيبه للشيخ الطوسىّ : ۲۴۶ .

۲- الكافى : ۱/۱۴۸ .

ص: ۹۴

أقول : لعلّ المراد من هذا الخبر الشریف بعد دلاله الأدلّه الکثیره علی إنبائهم بما کان وما یکون من دون تفریق بین المحتوم وغیره بل إخبارهم بتحمّل الغیر المحتوم من العلم أیضاً لدلاله قولهم علیهم السلام : «لولا آیه فی کتاب اللّه عزّوجلّ لأخبرتکم بما کان وما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه»(۱) فإنّهم لو کانوا متحمّلین للمحتوم من العلم دون غیره لما کان وجه لعدم الإنباء بما کان وما یکون إلی یوم القیامه استناداً إلی إمکان البداء فیه بل کانوا ینبئون بما کان وما یکون إلی یوم القیامه لتحمّلهم للعلم المحتوم الذی لا بداء فیه أنّ اللّه تعالی استثنی علی الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله فیما سوی ذلک فی إمکان البداء فیه ، لا فی إنبائه به .

قال العلّامه المجلسیّ قدس سره فی ذیل الخبر «قوله علیه السلام «و استثنی علیه» أی بأن قال إلّا بأن أُرید غیره أو أمحوه»(۲) .

ویحتمل أن یکون المراد من المحتوم هو خصوص ما شیء وأُرید وقُدّر وقُضی ، وبناء علی ذلک یکون المراد من «استثنی علیه فیما سواه» ما لم یُشأ ولم یُرَد والاحتمال الأوّل أقوی .

عن الحارث بن المغیره وعدّه من أصحابنا منهم عبد الأعلی وأبو عبیده وعبد اللّه بن بشر الخثعمیّ سمعوا أبا عبداللّه علیه السلام یقول : إنّی لأعلم ما فی السماوات وما فی الأرض ، وأعلم ما فی الجنّه ، وأعلم ما فی النّار ، وأعلم ما کان وما یکون ، قال : ثمّ مکث هنیئه ، فرأی أنّ ذلک کبر علی من سمعه منه ، فقال : علمت ذلک من کتاب اللّه عزّ وجلّ إنّ اللّه عزّ وجلّ یقول : «فیه تبیان کلّ شیء»(۳) (۴).

قال أمیرالموءمنین علیه السلام إلی أن قال : علم الأنبیاء فی علمهم وسرّ الأوصیاء فی

۱- بحارالأنوار : ۱۰/۱۱۷ ح ۱ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۳۴۱ ، التوحید : ۳۰۴ .
۲- مرآه العقول : ۲/۱۴۲ .
۳- الظاهر أنّ المراد من الآیه هو قوله تعالی : « تبیاناً لکلّ شیء » ولعلّ ما ورد فی نصّ الخبر هو إمّا من غلط الراوی وإمّا من غلط النسّاخ .
۴- الکافی : ۱/۲۶۱ .

ص: ۹۵

سرّهم وعزّ الأولياء فی عزّهم كالقطره فی البحر والـذرّه فی القفر ، والسـماوات والأرض عنـد الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برّها من فاجرها ورطبها ويابسـها لأنّ اللّه علّم نبيّه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السرّ المصون الأوصياء المنتجبون ، ومن أنكر ذلـک فهـو شـقیّ ملعون يلعنه اللّه ويلعنه اللاّـعنون وكيف يفرض اللّه على عبـاده طـاعه من يحجب عنه ملكوت السـماوات والأرض ؛ الخبر(۱) .

حارثه بن قدامه قال : حدّثنی سلمان قال : حدثنی عمّار وقال أخبرک عجباً قلت : حدّثنی يا عمّار .

قال : نعم ، شـهدت علیّ بن أبی طالب عليه السـلام وقد ولج على فاطمه عليهاالسـلام ، فلمّا أَبْصَـرَتْ به نادتْ : ادن لأحدّثک بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلی يوم القيامه حين تقوم الساعه .

قـال عمار : فرأيت أميرالموءمنين عليه السـلام يرجع القهقری فرجعت برجوعه إذ دخل على النبی صـلی الله علیه و آله فقال له : اُدن يا أبا الحسن ، فدنا . فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : تُحدّثنی أم أُحدّثک ؟

قال : الحديث منک أحسن يا رسول اللّه .

فقال : كأنّی بک وقد دخلت على فاطمه وقالت لک كيت وكيت ، فرجعت .

فقال علیّ عليه السلام : نور فاطمه من نورنا ؟

فقال صلی الله علیه و آله : أو لا تعلم ؟!

فسجد علیّ شكراً للّه تعالی .

قال عمّار : فخرج أميرالموءمنين عليه السـلام وخرجت بخروجه فولج على فاطمه عليهاالسـلام وولجت معه فقالت : كأنّک رجعت إلی أبی صلی الله علیه و آله فأخبرته بما قلته لک .

قال : كان كذلک يا فاطمه .

فقالت : اعلم يا أبا الحسن أنّ اللّه تعالی خلق نوری وكان يسبّح اللّه جلّ جلاله ، ثمّ

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۱۷۳ ، مشارق أنوار اليقين للبرسی : ۱۸۷ .

ص: ۹۶

أودعه شجره من شجر الجنّه فأضاءت ، فلمّا دخل أبی الجنّه أوحی اللّه تعالی إلیه إلهاماً أن اقتطف الثمره من تلک الشجره وأدِرْها فی لهواتک ففعل ، فأودعنی اللّه سبحانه صلب أبی صلی الله علیه و آله ثمّ أودعنی خدیجه بنت خویلد فوضعتنی ، وأنا من ذلک النور ، أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن ، یا أبا الحسن الموءمن ینظر بنور اللّه تعالی(۱) .

أقول : مرّ الخبر ومرّ بیان شطر منه .

مراتب وقوع الشیء فی الخارج

الظاهر من الأخبار أنّه لابدّ لوقوع الشیء فی الخارج من مروره بمراتب ، وهی : المشیّه والإراده والقدر والقضاء ، وکلّ واحد من هذه المراتب فعل حادث من أفعال اللّه تعالی ، والظاهر منها أنّ المشیّه تکون بمعنی ابتداء الفعل والذکر الأوّل ، والإراده تکون بمعنی الثبوت والعزیمه علی ما شاءه ، والقدر هو الهندسه من الطول والعرض والبقاء والآجال والأرزاق ، والقضاء هو المرتبه الأخیره قبل وقوع الفعل ویکون الأقر

ص: ۱۴۴

خزائنی إذا أردت شیئاً أن أقول له کن فیکون(۱) .

یدلّ الخبر علی أنّ خزائن اللّه تعالی قدرته علی ما یشاء ، فإن أراد شیئاً سیکون ذلک الشیء بلا أدنی ریب ، کما اتّضح ذلک من الآیات المبارکات الدالّه علی أنّه تعالی علی کلّ شیء قدیر وأنّه یفعل ما یشاء .

نعم ، إنّ المستحیل لا یکون وهذا لیس نقصاً فی قدرته تعالی ، ولذا لا یفعل اللّه تعالی المستحیل الواقعی ولکن مع ذلک لا بدّ من الإشاره إلی أنّ المستحیل الواقعی لا یکون لا ما ظنناه مستحیلاً ، فاجتماع النقیضین مستحیل وهو لا یکون ولکن قد نظنّ أنّ الشیئین متناقضان إلاّ أنّهما لیسا کذلک ، کما فی قصّه إخماد حراره النار التی أُلقی فیها خلیل اللّه إبراهیم علیه السلام ، فإنّ الحراره لیست ذاتیّه للنار ، ولذا لا امتناع عقلاً فی انفصالها عن النار . فالتفت لهذا الأمر کی لا تحدّد قدره اللّه تعالی بحسب عقلک ، فتکون من الغاوین .

عن علیّ بن الحسن بن علیّ بن فضال عن أبیه عن أبی الحسن الرضا علیه السلام قال : قلت له : یا ابن رسول اللّه ، لم خلق اللّه عزّ وجلّ الخلق علی أنواع شتّی ولم یخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال : لئلّا یقع فی الأوهام أنّه عاجز فلا تقع صوره فی وهم ملحد إلاّ وقد خلق اللّه عزّ وجلّ علیها خلقاً ولا یقول قائل هل یقدر اللّه عزّ وجلّ علی أن یخلق علی صوره کذا وکذا إلاّ وجد ذلک فی خلقه تبارک وتعالی فیعلم بالنظر إلی أنواع خلقه أنّه علی کلّ شیءٍ قدیر(۲) .

ثمّ إنّ شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره أفاد فی خاتمه بحث قدره اللّه ما لا یخلو عن فائده . وإلیک نصّ عبارته :

فتحصّل من جمیع ما ذکرنا أنّ الآیات الکریمه والروایات المبارکه

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۳۵ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۵۱۱ .

۲- عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۷۵ ح ۱ .

ص: ۱۴۵

تـدلّ بحیث لا دافع لـدلالتها ، علی إطلاق قـدرته تعالی وعـدم تحدیـدها بالنظام الواحد الأصلح فیکون تبدیل قوم مکان قوم آخرین علی مـذهب أرباب الشـرائع من الشوءون الجدیـده التی یبتدئ بها . فإنّه تعالی کل یوم فی شأن حادث بالحقیقه ، یضع المسـتکبرین ، ویرفع المستضـعفین ، ویهلـک ملوکاً ، ویسـتخلف آخرین . ولاـ فرق فی ذلک بین أجزاء النظام قلیلها وکثیرها . فقـد خلق السـماوات والأرض بالحقّ لغرض وغایه حکیمه أرادها . فلو بدّل شـیئاً من أجزائها وأشخاصـها ، فهو أیضاً لغرض وغایه أرادها منزّهاً ومقدّساً عن الباطل واللّغو والعبث(۱) . انتهی کلامه رفع مقامه .

إذا عرفت ذلـک یتّضـح لـک أنّ اللّه تعـالی علی کـلّ شـیء قـدیر ولاـ یصـعب علیه شـیء فهو لما یشاء قـدیر وله المالکیّه التامّه علی الکائنـات فمـا شـاء منها أبقی وما شاء أفنی کما أنّ له القـدره علی اللاکائنات فما شاء أن یخلق ممّا علمه بالعلم بلا معلوم خلق وما لم یشأ لم یخلق کما أنّ عموم قدرته یقتضی إمکان إعطاء الملکیّه لمن یشاء من عباده .

۱- توحید الإمامیّه : ۳۳۱ .

ص: ۱۴۶

ص: ۱۴۷

آیات المشیّه

وممّا یدلّ علی سعه قدرته تعالی ونفوذ أمره ، ما دلّ من الآیات علی أنّه یفعل ما یشاء ، وإلیک بعض تلک الأدلّه :

۱ « أَولَمْ یَهْدِ لِلَّذِینَ یَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ونَطْبَعُ عَلی قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ »(۱) .

فإنّ الظاهر منها هو أنّ للّه تعالی أن یشاء تعذیبهم بذنوبهم عدلاً ، کما أنّ له أن یترحّم علیهم فیعاملهم بفضله.

۲ « وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلی أَعْیُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّی یُبْصِرُونَ »(۲) .

الظاهر منها هو أنّ اللّه تعالی له أن یطمس علی قلوبهم ، کما أنّ له أن لا یطمس ، وهـذا یدلّ علی أنّ الفعلین أعنی معاملتهم بالفضـل ومعاملتهم بالعدل حکیمان حسنان فی غایه الحسن والحکمه.

۳ « ولَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلی مَکانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِیًّا ولا یَرْجِعُونَ »(۳) .

الظاهر منها أنّه تعالی لو شاء لمسخهم بحیث لا یستطیعون المضیّ ، ولا یرجعون إلی حالتهم الأُولی .

۴ « لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَکَّهُونَ »(۴) .

۵ « وتِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلی قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ

۱- الأعراف : ۱۰۰ .

۲- یس : ۶۶ .

۳- یس : ۶۷ .

۴- الواقعه : ۶۵ .

ص: ۱۴۸

عَلِيمٌ »(۱) .

۶ « فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِك كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِینِ الْمَلِک إِلاَّ أَنْ یَشاءَ اللّه نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وفَوْقَ كُلِّ ذی عِلْمٍ عَلِیمٌ »(۲) .

أقول: الظاهر منها أنّ رفع الدرجات متوقّف علی مشیّه اللّه تعالی . فكما أنّ رفعه متوقّف علی مشیّته وهو حکیم ، کذلک عدم الرفع.

۷ « حَتَّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّیَ مَنْ نَشاءُ ولا یُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ »(۳) .

۸ « ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَیْناهُمْ ومَنْ نَشاءُ وأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِینَ »(۴) .

أقول: الظاهر من هاتین الآیتین هو أنّ النجاه لیس بواجب علیه تعالی بل الأمر له إن شاء أنجی وإن شاء ترک . نعم ، لمّا وعد النجاه لعدّه مخصوصه لا یخلف المیعاد ، ولذا قال تعالی « ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَیْناهُمْ ».

۹ « وَ كَذلِک أَوْحَیْنا إِلَیْک رُوحا مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتابُ ولاَ الْإِیمانُ ولكِنْ جَعَلْناهُ نُورا نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وإِنَّك لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ »(۵) .

الآیه المبارکه صریحه فی أنّ الهدایه بید اللّه تعالی یهدی من یشاء ، فلیست الهدایه واجبه علیه وله المالکیه المطلقه الذاتیّه.

۱۰ « إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَهً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ »(۶) .

یظهر من الآیه المبارکه أنّ إنزال آیه تظلّ الأعناق لها خاضعه بمکان من الإمکان وهی رهن لمشیّته تعالی.

۱۱ « أَفَلَمْ یَرَوْا إِلی ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ والْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ

۱- الأنعام : ۸۳ .

۲- یوسف : ۷۶ .

۳- یوسف : ۱۱۰ .

۴- الأنبیاء : ۹ .

۵- الشوری : ۵۲ .

۶- الشعراء : ۴ .

ص: ۱۴۹

الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ »(۱) .

الظاهر من هذه الآیه المبارکه هو أنّ للّه تعالی أن یشاء فی خسف الأرض وإسقاط السماء کسفاً ، وله أن لا یشاء ذلک.

۱۲ « وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ ولا هُمْ يُنْقَذُونَ »(۲) .

الظاهر من هذه الآیه المبارکه أنّ للّه تعالی أن یشاء فی إغراق القوم بحیث لا یکون لهم صریخ ولا هم ینقذون.

ثمّ لا بدّ من الإشاره إلی أنّ بعض ما مضی من الآیات المبارکات کان بصیغه الجمع ، وقد ذکرنا فی أبحاثنا أنّه قد وردت أخبار تدلّ علی أنّ ما ورد بصیغه الجمع فی الآیات یکون المراد منه الرسول وآله علیهم السلام ، وبذلک تعرف مدی شرفهم فإنّهم علیهم السلام وکر لمشیّته تعالی ومورد لإرادته ، کما أنّه تعالی قد أذن لهم التصرّف فی بعض الأُمور من غیر أن یکونوا مستقلّین فی الأمر ، فتأمّل جیّداً.

و لا یخفی أنّ الآیات الدالّه علی قدره اللّه تعالی بفعل ما یشاء کثیره جدّاً ولا یمکننا ذکرها فی هذا الوجیز ، إلّا أنّا نشیر إلی بعضها من غیر شرح لها لوضوح دلالتها علی المراد . فلاحظ :

« بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّه بَغْيا أَنْ يُنَزِّلَ اللّه مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ »(۳) .

« ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ولاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ واللّه يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »(۴) .

« سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ للّه الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۵) .

۱- یس : ۹ .

۲- یس : ۴۳ .

۳- البقره : ۹۰ .

۴- البقره : ۱۰۵ .

۵- البقره : ۱۴۲ .

ص: ۱۵۰

« زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياهُ الدُّنْيا ويَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ واللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ »(۱) .

« كـانَ النَّاسُ أُمَّهً واحِـدَهً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْـذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتـابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ومَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْيا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ واللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۲) .

« وَ قـالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَـدْ بَعَثَ لَكُمْ طـالُوتَ مَلِكا قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ولَمْ يُؤْتَ سَـعَهً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وزادَهُ بَسْطَهً فِى الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ واللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ »(۳) .

« فَهَزَمُوهُمْ بِـإِذْنِ اللّه وقَتَلَ داوُدُ جـالُوتَ وآتـاهُ اللّهُ الْمُلْـكَ والْحِكْمَهَ وعَلَّمَهُ مِمَّا يَشـاءُ ولَوْ لا ـ دَفْعُ اللّه النَّاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَـدَتِ الْأَرْضُ ولكِنَّ اللّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ »(۴) .

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّه كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ واللّه يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ واللّه واسِعٌ عَلِيمٌ »(۵) .

« يُؤْتِى الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرا كَثِيرا وما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ »(۶) .

« لَيْسَ عَلَيْكَ هُـداهُمْ ولكِنَّ اللّه يَهْـدِى مَنْ يَشاءُ وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِـكُمْ وما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّه وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ »(۷) .

« للّه ما فِى السَّماواتِ وما فِى الْأَرْضِ وإِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِـكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِـبْكُمْ بِهِ اللّه فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ واللّه عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »(۸) .

۱- البقره : ۲۱۲ .

۲- البقره : ۲۱۳ .

۳- البقره : ۲۴۷ .

۴- البقره : ۲۵۱ .

۵- البقره : ۲۶۱ .

۶- البقره : ۲۶۹ .

۷- البقره : ۲۷۲ .

۸- البقره : ۲۸۴ .

ص: ۱۵۱

« هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »(۱) .

« قَدْ کانَ لَکُمْ آیَهٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا فِئَهٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللّه وأُخْری کافِرَهٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ واللّه یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِک لَعِبْرَهً لِأُولِی الْأَبْصارِ »(۲) .

« فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نَباتا حَسَنا وکَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقا قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَک هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّه إِنَّ اللّه یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ »(۳) .

« قالَ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وقَدْ بَلَغَنِیَ الْکِبَرُ وامْرَأَتِی عاقِرٌ قالَ کَذلِک اللّه یَفْعَلُ ما یَشاءُ »(۴) .

« قالَتْ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ ولَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ قالَ کَذلِک اللّه یَخْلُقُ ما یَشاءُ إِذا قَضی أَمْرا فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ »(۵) .

« ما کانَ اللّه لِیَذَرَ الْمُؤْمِنِینَ عَلی ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ حَتَّی یَمِیزَ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیِّبِ وما کانَ اللّه لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ ولکِنَّ اللّه یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ فَآمِنُوا بِاللّه ورُسُلِهِ وإِنْ تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا فَلَکُمْ أَجْرٌ عَظِیمٌ »(۶) .

« إِنَّ اللّه لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَک بِهِ ویَغْفِرُ ما دُونَ ذلِک لِمَنْ یَشاءُ ومَنْ یُشْرِک بِاللّه فَقَدِ افْتَری إِثْما عَظِیما »(۷) .

« أ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُزَکُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّه یُزَکِّی مَنْ یَشاءُ ولا یُظْلَمُونَ فَتِیلاً »(۸) .

« إِنَّ اللّه لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَک بِهِ ویَغْفِرُ ما دُونَ ذلِک لِمَنْ یَشاءُ ومَنْ یُشْرِک بِاللّه فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِیدا »(۹) .

« لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّه هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ قُلْ فَمَنْ یَمْلِک مِنَ اللّه شَیْئا إِنْ أَرادَ أَنْ

۱- آل عمران : ۶ .

۲- آل عمران : ۱۳ .

۳- آل عمران : ۳۷ .

۴- آل عمران : ۴۰ .

۵- آل عمران : ۴۱ .

۶- آل عمران : ۱۷۹ .

۷- النساء : ۴۸ .

۸- النساء : ۴۹ .

۹- النساء : ۱۱۶ .

ص: ۱۵۲

یُهْلِکَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وأُمَّهُ ومَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعا ولله مُلْکُ السَّماواتِ والْأَرْضِ وما بَیْنَهُما یَخْلُقُ ما یَشاءُ واللّه عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ » (۱) .

« وَ قالَتِ الْیَهُودُ والنَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اللّه وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ یُعَذِّبُکُمْ بِذُنُوبِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ ویُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ ولله مُلْکُ السَّماواتِ والْأَرْضِ وما بَیْنَهُما وإِلَیْهِ الْمَصِیرُ » (۲) .

« أ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّه لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ والْأَرْضِ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ ویَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ واللّه عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ » (۳) .

« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّه بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ ویُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّه ولا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه واسِعٌ عَلِیمٌ » (۴) .

« وَ قالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللّه مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ ولُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ یَداهُ مَبْسُوطَتانِ یُنْفِقُ کَیْفَ یَشاءُ ولَیَزِیدَنَّ کَثِیرا مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْیانا وکُفْرا وأَلْقَیْنا بَیْنَهُمُ الْعَداوَهَ والْبَغْضاءَ إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ کُلَّما أَوْقَدُوا نارا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّه ویَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَسادا واللّه لا یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ » (۵) .

« وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَتُحاجُّونِّی فِی اللّه وقَدْ هَدانِ ولا أَخافُ ما تُشْرِکُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئا وَسِعَ رَبِّی کُلَّ شَیْءٍ عِلْما أ فَلا تَتَذَکَّرُونَ » (۶) .

« ذلِکَ هُدَی اللّه یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ولَوْ أَشْرَکُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما کانُوا یَعْمَلُونَ » (۷) .

« وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَیْهِمُ الْمَلائِکَهَ وکَلَّمَهُمُ الْمَوْتی وحَشَرْنا عَلَیْهِمْ کُلَّ شَیْءٍ قُبُلًا ما کانُوا

۱- المائده : ۱۷ .

۲- المائده : ۱۸ .

۳- المائده : ۴۰ .

۴- المائده : ۵۴ .

۵- المائده : ۶۴ .

۶- الأنعام : ۸۰ .

۷- الأنعام : ۸۸ .

ص: ۱۵۳

لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّه ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ »(۱) .

« وَرَبُّك الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَهِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّهِ قَوْمٍ آخَرِينَ »(۲) .

« قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللّه كَذِبا إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللّه مِنْها وما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّه رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْما عَلَى اللّه تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ »(۳) .

« قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّه واصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ والْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ »(۴) .

« وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ويَتُوبُ اللّه عَلى مَنْ يَشاءُ واللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(۵) .

« ثُمَّ يَتُوبُ اللّه مِنْ بَعْدِ ذلِك عَلى مَنْ يَشاءُ واللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ »(۶) .

« وَاللّه يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ ويَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۷) .

« وَإِنْ يَمْسَسْك اللّه بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وإِنْ يُرِدْك بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »(۸) .

« وَكَذلِك مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ ولا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »(۹) .

« اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ وفَرِحُوا بِالْحَياهِ الدُّنْيا وما الْحَياهُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَهِ إِلَّا مَتاعٌ »(۱۰) .

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَهٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّه يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِی إِلَيْهِ

۱- الأنعام : ۱۱۱ .

۲- الأنعام : ۱۳۳ .

۳- الأعراف : ۸۹ .

۴- الأعراف : ۱۲۸ .

۵- التوبه : ۱۵ .

۶- التوبه : ۲۷ .

۷- يونس : ۲۵ .

۸- يونس : ۱۰۷ .

۹- يوسف : ۲۱ .

۱۰- الرّعد : ۲۶ .

ص: ۱۵۴

مَنْ أَنابَ »(۱) .

« وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ للّه الْأَمْرُ جمِيعا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّه لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعا ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَهٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِىَ وَعْدُ اللّه إِنَّ اللّه لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ »(۲) .

« يَمْحُوا اللّه ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ »(۳) .

« وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّه مَنْ يَشاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(۴) .

« قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ولكِنَّ اللّه يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه وعَلَى اللّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »(۵) .

« وَلَوْ شاءَ اللّه لَجَعَلَكُمْ أُمَّهً واحِدَهً ولكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشاءُ ولَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(۶) .

« إِنَّ رَبَّک يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرا بَصِيرا »(۷) .

« إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللّه واذْكُرْ رَبَّک إِذا نَسِيتَ وقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدا »(۸) .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ ومَنْ فِى الْأَرْضِ والشَّمْسُ والْقَمَرُ والنُّجُومُ والْجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ومَنْ يُهِنِ اللّه فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللّه يَفْعَلُ ما يَشاءُ »(۹) .

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ومَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ ولَوْ لا فَضْلُ اللّه عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدا ولكِنَّ اللّه يُزَكِّى

۱- الرّعد : ۲۷ .

۲- الرّعد : ۳۱ .

۳- الرّعد : ۳۹ .

۴- إبراهيم : ۴ .

۵- إبراهيم : ۱۱ .

۶- النّحل : ۹۳ .

۷- الإسراء : ۳۰ .

۸- الكهف : ۲۴ .

۹- الحجّ : ۱۸ .

ص: ۱۵۵

مَنْ يَشاءُ واللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(۱) .

« اللّه نُورُ السَّماواتِ والْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِی زُجاجَهٍ الزُّجاجَهُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ ولا غَرْبِيَّهٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِیءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلی نُورٍ يَهْدِی اللّه لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللّه الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللّه بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ »(۲) .

« لِيَجْزِيَهُمُ اللّه أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ واللّه يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ »(۳) .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يُزْجِی سَحابا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاما فَتَرَی الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ ويَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ »(۴) .

« وَاللّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّهٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِی عَلی بَطْنِهِ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِی عَلی رِجْلَيْنِ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّه ما يَشاءُ إِنَّ اللّه عَلی كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ »(۵) .

« لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ واللّه يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۶) .

« إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ ولكِنَّ اللّه يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »(۷) .

« وَرَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ سُبْحانَ اللّه وتَعالی عَمَّا يُشْرِكُونَ »(۸) .

« وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللّه عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ »(۹) .

« يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ »(۱۰) .

۱- النّور : ۲۱ .

۲- النّور : ۳۵ .

۳- النّور : ۳۸ .

۴- النّور : ۴۳ .

۵- النّور : ۴۵ .

۶- النّور : ۴۶ .

۷- القصص : ۵۶ .

۸- القصص : ۶۸ .

۹- القصص : ۸۲ .

۱۰- العنكبوت : ۲۱ .

ص: ۱۵۶

« اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَهُ إنَّ اللّه بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ »(۱) .

« بِنَصْرِ اللّه يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »(۲) .

« أولَمْ يَرَوْا أنَّ اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إنَّ فِى ذلِك لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۳) .

« اللّه الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ ويَجْعَلُهُ كِسَفا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإذا أصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »(۴) .

« اللّه الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفا وشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ »(۵) .

« قُلْ إنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ولكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ »(۶) .

« قُلْ إنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَهُ وما أنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ »(۷) .

« الْحَمْدُ للّه فاطِرِ السَّماواتِ والْأرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَهِ رُسُلًا أُولِى أجْنِحَهٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ ما يَشاءُ إنَّ اللّه عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »(۸) .

« أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنا فَإنَّ اللّه يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُك عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إنَّ اللّه عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ »(۹) .

« وَما يَسْتَوِى الْأحْياءُ ولَا الْأمْواتُ إنَّ اللّه يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وما أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ »(۱۰) .

« اللّه نَزَّلَ أحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللّه ذلِك هُدَى اللّه يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ ومَنْ يُضْلِلِ اللّه فَما لَهُ مِنْ

۱- العنكبوت : ۶۲ .

۲- الرّوم : ۵ .

۳- الرّوم : ۳۷ .

۴- الرّوم : ۴۸ .

۵- الرّوم : ۵۴ .

۶- سبأ : ۳۶ .

۷- سبأ : ۳۹ .

۸- فاطر : ۱ .

۹- فاطر : ۸ .

١٠- فاطر : ٢٢ .

ص: ۱۵۷

هادٍ »(۱) .

« أولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إنَّ فِى ذلِک لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۲) .

« رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ »(۳) .

« وَلَوْ شاءَ اللّه لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ والظّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ »(۴) .

« لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »(۵) .

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا والَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْک وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّه يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ »(۶) .

« اللّه لَطِيفٌ بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ »(۷) .

« وَلَوْ بَسَطَ اللّه الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ ولكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ »(۸) .

« للّه مُلْک السَّماواتِ والْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثا ويَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرانا وإِناثا ويَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّه إِلاَّ وَحْيا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ »(۹) .

« فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها ذلِک ولَوْ يَشاءُ اللّه لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ولكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ

۱- الزّمر : ۲۳ .

۲- الزّمر : ۵۲ .

۳- غافر : ۱۵ .

۴- الشّورى : ۸ .

۵- الشّورى : ۱۲ .

۶- الشّورى : ۱۳ .

۷- الشّورى : ۱۹ .

۸- الشّورى : ۲۷ .

۹- الشّورى : ۴۹ ۵۱ .

ص: ۱۵۸

بِبَعْضٍ والَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّه فَلَنْ یُضِلَّ أَعْمالَهُمْ »(۱) .

« وَللّه مُلْک السَّماواتِ والأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ ویُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وکانَ اللّه غَفُورا رَحِیما »(۲) .

« هُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا وصَدُّوکُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرام والْهَدْیَ مَعْکُوفا أنْ یَبْلُغَ مَحِلَّهُ ولَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ ونِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِیبَکُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّهٌ بِغَیْرِ عِلْمٍ لِیُدْخِلَ اللّه فِی رَحْمَتِهِ مَنْ یَشاءُ لَوْ تَزَیَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابا أَلِیما »(۳) .

« وَکَمْ مِنْ مَلَک فِی السَّماواتِ لا تُغْنِی شَفاعَتُهُمْ شَیْئا إلاَّ مِنْ بَعْدِ أنْ یَأْذَنَ اللّه لِمَنْ یَشاءُ ویَرْضی »(۴) .

« سابِقُوا إلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وجَنَّهٍ عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ والأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّه ورُسُلِهِ ذلِک فَضْلُ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیم »(۵) .

« لِئَلَّا یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتابِ أَلاَّ یَقْدِرُونَ عَلی شَیْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّه وأَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیم »(۶) .

« وَما أَفاءَ اللّه عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ ولا رِکابٍ ولکِنَّ اللّه یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ واللّه عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »(۷) .

« ذلِک فَضْلُ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیم »(۸) .

« وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إلاَّ مَلائِکَهً وما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ ویَزْدادَ الَّذِینَ آمَنُوا إیمانا ولا یَرْتابَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ والْمُؤْمِنُونَ ولِیَقُولَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْکافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّه بِهذا مَثَلاً کَذلِک یُضِلُّ اللّه مَنْ یَشاءُ ویَهْدِی مَنْ یَشاءُ وما یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّک إلاَّ هُوَ وما هِیَ إلاَّ ذِکْری لِلْبَشَرِ »(۹) .

۱- محمّد صلی الله علیه و آله : ۴ .

۲- الفتح : ۱۴ .

۳- الفتح : ۲۵ .

۴- النّجم : ۲۶ .

۵- الحدید : ۲۱ .

۶- الحدید : ۲۹ .

۷- الحشر : ۶ .

۸- الجمعه : ۴ .

۹- المدثّر : ۳۱ .

ص: ۱۵۹

« وَما یَذْکُرُونَ إِلّاَ أَنْ یَشاءَ اللّه هُوَ أَهْلُ التَّقْوی وأَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »(۱) .

« یُدْخِلُ مَنْ یَشاءُ فِی رَحْمَتِهِ والظَّالِمِینَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذابا أَلِیما »(۲) .

والحاصل من جمیع هذه الآیات هو عدّه أُمور:

۱ الفضل بیده تعالی ینزل منه ما یشاء علی من یشاء.

۲ الرحمه بیده تعالی یختصّ بها من یشاء.

۳ الهدایه بیده تعالی یهدی من یشاء ویضلّ من یشاء.

۴ الرزق بیده تعالی یرزق من یشاء ویقتر الرزق علی من یشاء.

۵ العلم والحکمه بیده تعالی یؤتیهما من یشاء ویمنعهما من یشاء.

۶ مضاعفه الحسنات بیده تعالی فیضاعف لمن یشاء.

۷ له أن یعفو عمّن یشاء ویعذّب من یشاء بسبب ذنوبه التی اقترفها بالقدره الوهبیّه الإلهیّه.

۸ له أن یؤیّد بنصره من یشاء.

۹ له أن یجتبی من رسله من یشاء.

۱۰ إنّ أمر التزکیه بیده تعالی فیزکّی من یشاء.

۱۱ الإنفاق بیده تعالی ینفق ما یشاء.

۱۲ إفناء الخلق وإعدامهم بیده تعالی « إن یشأ یذهبکم ویستخلف من بعدکم ما یشاء ».

۱۳ الأرض للّه تعالی یورثها من یشاء.

۱۴ الرحمه بیده تعالی فیرحم من یشاء.

۱۵ المحو والإثبات للتقدیرات بیده تعالی یمحو ما یشاء ویثبت وعنده أُمّ الکتاب.

۱۶ الهدایه للنور بیده تعالی « یهدی اللّه لنوره من یشاء ».

۱– المدثّر : ۵۶ .

۲– الإنسان : ۳۱ .

ص: ۱۶۰

۱۷ المطر بيده تعالى « يصيب به من يشاء ».

۱۸ الإسماع والإفهام بيده تعالى « إنّ اللّه يسمع من يشاء ».

۱۹ له أن يهب لمن يشاء ذكوراً ويهب لمن يشاء إناثاً ويجعل من يشاء عقيماً.

۲۰ له أن يأذن في شفاعه الشافعين.

۲۱ الذكر بيده تعالى « و ما يذكرون إلاّ أن يشاء اللّه هو أهل التقوى وأهل المغفره ».

إلى غير ذلك من الاُمور المهمّه المذكوره في هذه الآيات المباركات.

إذا أتقنت ما ذكرناه ، تعرف الأُمور المترتّبه على هذه المعارف الشامخه . وإليك بعضها:

الأمر الأوّل: أنّ للّه تعالى الحريّه التامّه في أن يختار ما يشاء ، فلا حدّ لمختاريّته تعالى ، فإنّه تعالى يختار ما يشاء عن علم وقدره ولا يختار ما لا يشاؤه عن علم وقدره . فالإلتزام بنظام العليّه والمعلوليّه المذكوره في كلمات العلماء البشريّين ، هو إثبات للنقص في الخالق ، جلّت ساحه قدسه عن ذلك.

الأمر الثاني: أنّ اللّه تعالى غير مجبور في اختيار نظامٍ واحدٍ ، بل له أن يختار ما يشاء لعدم انحصار الحكمه في أمر واحد ، فحصر مختار اللّه تعالى في نظام واحد إنكار لسعه علمه تعالى وسعه حكمته وسعه قدرته .

الأمر الثالث: من تتبع هذه الآيات المباركات يجد هذا المعنى وهو «أنّ للّه تعالى أن يعامل الخلق بعدله كما أنّ له أن يعاملهم بفضله» فإن هداهم وغفر لهم خطاياهم ورزقهم ورحمهم وتفضّل عليهم وأحسن إليهم يكون ذلك فضلًا ، وإن عذّبهم بسبب ذنوبهم ومنعهم سيبه وأفناهم وغير ذلك من الأُمور المذكوره في الآيات يكون ذلك عين العدل . فالأمر إليه ، يعامل من يشاء بعدله ، ويعامل من يشاء بفضله.

الأمر الرابع: من عرف الأمر الثالث يبزغ نور الخوف والرجاء في قلبه ، فيخاف اللّه تعالى لعدله ، ويرجوه لكرمه وجوده .

ص: ۱۶۱

الفصل السابع :

البداء

البـداء لغه بمعنى نشوء الرأى كما فى القاموس «بـدا له فى الأمر بـدوّاً وبـداءً نشأ له فيه رأى» ، وفى المنجد بدا له فى أمر : «خطر له فيه رأى» ولذا لا يكون البداء بمعنى الظهور فى قبال الخفاء ، بل يكون بمعنى حدوث الرأى .

والظاهر من الأدلّه أنّ البـداء هو نشوء الرأى للّه تعالى مطلقاً سواءً كان هـذا الرأى بعد رأى آخر أو كان ابتداءً ، كما يلاحظ ذلك من الخبر الشريف :

جـابر بن يزيـد الجعفى قـال : قـال الإمـام أبو جعفر محمّـد بن علىّ الباقر عليه السـلام : يا جابر ، كان اللّه ولا شـىء غيره ولا معلوم ولا مجهـول . فـأوّل مـا ابتـدأ من خلق خلقه أن خلق محمّـداً صـلى الله عليه و آله وخلقنـا أهـل الـبيت معه من نوره وعظمته . فأوقفنـا أظلّه خضـراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ، يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشـمس ، نسبّح اللّه تعـالى ونقـدّسه ونحمـده ونعبـده حقّ عبـادته ، ثمّ بـدا للّه تعـالى عزّ وجـلّ أن يخلق المكان فخلقه ، وكتب على المكان : لا إله إلاّ اللّه ، محمّد رسول اللّه ، علىّ أميرالموءمنين ووصيّه ، به أيّدته ونصرته ؛ الخبر(۱) .

فإنّ اللّه تعالى بدا له فى خلق المكان بعد أن لم يكن له رأى فى خلقه .

ثمّ إنّ المراد منه فى الأـدلّه هو أنّ للّه تعـالى أن يحـدث له الرأى ابتـداءً بخلق ما لم يكن بوجه من الوجوه ، وذلك بأن يشاءه ويريـده ويقدّره ويقضـيه ويمضـيه كى يقع فى الخارج ، فإنّ ذلك بداءً وابتداءً بلا سـبق مثال وسـبق شيئيّه لما أراده . وله تعالى أن يبدو له فى إحدى تلك المراحل فلا يمضى ما شاءه أو لا يمضيه فى مرحله المشيّه

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۱۷ عن كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسىّ .

ص: ۱۶۲

وما بعدها من المراحل ، فلیس مشیّه الشیء وإرادته وتقدیره وقضاؤه ممّا یجبره علی إحداث الشیء خارجاً ، بل له تعالی أن یغیّر ما شاءه وأراده وقدّره وقضاه ما لم یقع فی الخارج ، فإنّه تعالی مبسوط الیدین وقادر علی ما یشاء ، فإن شاء تغییر مشیّته الأُولی فعل ، وإن شاء إمضاءها فعل ، لا یسئل عن فعله أبداً .

قال شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المیرزا حسن علیّ المروارید قدس سره ما هذا نصّه :

والظاهر أنّ المراد منه (أی من البداء) فی الآیات والرّوایات المبارکات أنّ اللّه تعالی وإن خلق الأشیاء بمشیّته وإرادته ، وقدّرها إلی یوم القیامه بل قضی بها وکتبها ، ولکنّه مع ذلک لم یفرغ من الأمر ، بل له الرأی والمشیئه فی المحو والإثبات ، والزیاده والنقص ، والتقدیم والتأخیر ، والتغییر والتبدیل ، وأنّها لیست عن الجهل ، بل عن علم بما کان کما کان ، وبما یکون کما یکون(۱) .

وأفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه علیّ النمازیّ الشاهرودیّ قدس سره ما هذا نصّه :

ثمّ إنّه تعالی عیّن ما أراد خلقه إلی یوم القیامه بمشیّته وإرادته غیر الأزلیه وتقدیره وقضائه . وکتب جمیع ذلک قبل الخلق ، وجعل علم ذلک الکتاب عند رسوله وخلفائه .

وحیث إنّ ذلک کلّه کان برأیه وأمره من غیر وجوب ، یکون له الأمر والرأی فی إنفاذ ما أراد وقدّر وقضی ، أو تغییره وتبدیله ومحوه وإثباته علی ما یشاء قبل کیانه الخارجیّ ، ولذلک کان خلفاوه یقولون : لولا آیه فی کتاب اللّه لأخبرناکم بما یکون إلی یوم القیامه وهی قوله : « یَمْحُوا اللّه ُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِت »(۲) ، کما تقدّم(۳) .

ومعرفه البداء الذی هو آیه عظمه اللّه تعالی تتوقّف علی أُمور :

۱- تنبیهات حول المبدأ والمعاد : ۱۹۵ .

۲- الرعد : ۳۹ .

۳- مستدرک سفینه البحار : ۱/۲۹۸ .

ص: ۱۶۳

۱ معرفه علمه والإقرار بسعه علمه تعالى وأنّه عالم إذ لا معلوم ، وعالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه الحكيمه وجميع الأنظمه غير الحكيمه .

۲ معرفه قدرته تعالى على خلق ما يشاء ممّا علمه بالعلم بلا معلوم . نعم إنّه تعالى لا يفعل الفعل غير الحكيم عن قدره ولذا يمجّد .

۳ معرفه أنّ المعيِّن لأحد تلك الأنظمه هو رأيه القدّوس وبدائه .

۴ معرفه أنّ لتحقّق الشيء مراحل بحسب الأخبار فلا يكون شيء في السماء والأرض إلّا بعد مضيّ هذه المراحل ، فلاحظ الأخبار التاليه :

عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلّا بسبع : بقضاء وقدر وإراده ومشيئه وكتاب وأجل وإذن . فمن زعم غير هذا ، فقد كذب على اللّه أو ردّ على اللّه عزّ وجلّ(۱) .

عن معلّى بن محمّد قال : سئل العالم عليه السلام : كيف علم اللّه ؟

قال : عَلِم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى ، فأمضى ما قضى وقضى ما قدّر وقدّر ما أراد . فبعلمه كانت المشيئه ، وبمشيئته كانت الإراده ، وبإرادته كان التّقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء . والعلم متقدّم على المشيئه ، والمشيئه ثانيه ، والإراده ثالثه ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء . فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم في المعلوم قبل كونه ، والمشيئه في المنشإ قبل عينه ، والإراده في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواسّ من ذوي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودرج من إنس وجنّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواسّ ، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء . واللّه يفعل ما يشاء ، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئه عرّف صفاتها وحدودها

۱- الكافي : ۱/۱۴۹ .

ص: ۱۶۴

وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإراده ميّز أنفسها فى ألوانها وصفاتها ، وبالتقدير قدّر أقواتها وعرّف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للنّاس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم(۱) .

ولمّا كان لتحقّق الشىء مراحل فلا يقع الشىء خارجاً إلّا بعد مضىّ هذه المراحل وللّه تعالى البداء قبل وقوع القضاء بالإمضاء ، ففى مرحله المشيّه ، للّه تعالى أن يبدو له ويبدل مشيّته بمشيّه أُخرى وفى مرحله الإراده والتقدير وغيرهما كذلك ، فلا ملزم على اللّه تعالى فى تحقيق ما شاءه أوّلاً بل له البداء فيما شاء حتّى وإن كان القضاء مبرماً كما ورد فى الدعاء «الدعاء يردّ القضاء وقد أبرم إبراما»(۲) وورد أيضاً «وقضائك المبرم الذى تحجبه بأيسر الدعاء»(۳) فهو تعالى يفعل ما يشاء . وبما أنّ الحكمه غير منحصره فى تقدير خاصّ ، يكون فعله حكيماً دائماً لعدم انحصار الحكمه كما عرفت .

نعم ، إذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء لانتفاء موضوعه ، فإنّ الشىء قد تحقّق فى الخارج وبعد ذلك يكون ما شاء أيضاً حيث إنّه تعالى قادر على إفناء المتحقّق فى الخارج وتبديله بشىء آخر كما ورد فى الآيه المباركه « إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ »(۴) .

لا يقال : أنّ اللّه تعالى عالم بمشيّته ولذا يعلم ما سيحدث فى الخارج أخيراً ولذا لا يكون البداء بمعنى نشوء الرأى ، بل يكون بمعنى الظهور بعد الخفاء .

لأنّه يقال : أنّ علمه تعالى بالشىء قبل كونه كعلمه به بعد كونه ، فتحقّق الشىء وعدمه لا يوءثّر فى علم اللّه تعالى فإنّ العلم غير المحمول لا يتأثر بالخارج أبداً .

وأمّا العلم المحمول فهو نفس التقدير والثبت فى قلب المعصوم عليه السلام ، وهذا الثبت يمكن أن يُمحى بمشيّه أُخرى ولا ضير فى ذلك .

۱- الكافى : ۱/۱۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۵۹/۲۲۸ ، طبّ الأئمّه : ۶۸ .

۳- بحارالأنوار : ۹۹/۵۵ .

۴- فاطر : ۱۶ .

ص: ۱۶۵

توضیح المطلب : إنّ الفلاسفه عرّفوا العلم بانطباع صور الأشیاء فی النفس المجرده عن الماده أو قبول النفس تلک الصور ، وقسّموا العلم إلی العلم الحضوریّ والعلم الحصولیّ ، وعرّفوا الحضوریّ بحضور المعلول عند علّته أو وجود المعلوم عند العالم ، ولذا لا یکون العلم عندهم إلّا من الصفات ذوی الإضافه فلا تحقّق للعلم إلّا بوجود المعلوم ، هذا بخلاف ما استفدناه من الأدلّه من أنّ العلم حقیقه نوریّه خارجه عن ذواتنا یفیضه اللّه تعالی علی ذواتنا تاره فتصبح عالمه ، ویقبضها أُخری فترجع النفس إلی جهلها الذاتیّ .

وهذا النور لا- یحتاج فی کشفه إلی وجود المعلوم بمعنی أنّه یکشف المعلوم قبل واقعیّته فیکشف الشیء الذی لا تحقّق له بنحو من الأنحاء أن لو کان کیف کان یکون (أی یکشف التقدیریّات مع أنّها لا تحقّق لها بوجه من الوجوه) وکذلک یکشف الأُمور الماضیه مع أنّها قد تصرّمت بتصرّم الزمان ، ویکشف المستقبل مع أنّه لم یأت بعد ، ویکشف العدم المضاف فی ظرف واقعیّته فیکشف کذب لا واقعیّتکم مثلاً ویکشف العدم المضاف فی ظرف واقعیه نقیضه کما فی کشفه کذب وجود المتناقضین ، ولذا یحکم العاقل بامتناع ذلک وکذبه مع أنّ النقیضین لا یجتمعان فی الخارج .

وواضح أنّ الحکم متأخّر رتبه عن العلم وإلّا (أی إن کان العلم لا یکشف إلّا المعلوم) لزم اجتماع النقیضین فی الخارج لتوقّف الحکم بالإمتناع علی الوقوع خارجا ، وهذا بخلاف مذهب الفلاسفه المنکرین للعلم بلا معلوم .

وقد وجّهوا أقوالهم بتوجیهات أبرد من الثلج فقالوا إنّ کشف العلم للمعدوم لیس إلّا- من جهه کون المعدوم له حظّ من الوجود ، فالمعدومات لها حظّ من الوجود ولذا یکشفها العلم ولکن لا یخفی ما فیه ، حیث إنّ الوجود یناقض العدم . فإذا کانت المعدومات موجوده ، فإنّها لا تکون معدومه بالضروره ، فهذا التوجیه أشبه شیء بالتعمیه .

والدلیل علی ما ذکرنا هو الوجدان الشاهد بکون العلم یکشف المعلومات

ص: ۱۶۶

واللامعلومـات والموجودات واللاموجودات ، بل لو لا العلم الكاشف للمعلوم قبل تحققّه لما اسـتطاع المهنـدس أن يبنى البناء لأنّ بناء البنايه يجب أن يسـتند إلى العلم وإلاّ للزم القول بأنّ البنّاء لا علم له بالبناء ، فبناء هـذه البنايات الناطاحت للسـحاب لا يسـتند إلى العلم لأنّ العلم لا يكشفها إلاّ بعد تحققّها ، وهذا ممّا تضحكك منه الثكلى !

والحاصل إنّ علم البنّاء القـدير بالبناء غير المبنىّ وتقـديره البناء على أنحاء مختلفه بل إمكان تبديل خارطه البناء إلى أنحاء متعدّده قبل تحقّق البناء ، خير شاهد على العلم بلا معلوم .

ممّا ذكرنا ينفتـح باب فهم البـداء . فالمهندس الحاذق يسـتطيع أن يرسم خرائط متعدّده وقبل أن يشـرع بالبناء له أن يبدّل الخارطه إلى أنحـاء كثيره فـإنّه عـالم برسم خرائـط متعـدّده على حسب سـعه علمه إذ إنّه يعلم كيفيّه بنـاء البيت ذى الطابق الواحـد ويعلم كيفيّه بناء العماره ذات الطوابق الكثيره . وقبل شـروعه بالبناء ، عليه أن يرسم خارطه البناء ويعيّن علمه بمعلوم وتقدير واحد كى يبنيه . وبعد رسم الخـارطه ، له أن يبـدلها بـأُخرى ، وهكـذا إلى أن يقع المعلوم خارجـاً فلا بـداء حينئـذ ، هـذا بالنسـبه إلى العلم بلا معلوم فى المخلوق وإمكان البداء بالنسبه إلى الإنسان .

وأمّـا بالنسـبه إلى اللّه تعـالى فـإنّه عـالم لا يجهل ، فعلمه بالمعلومات قبل كونها كعلمه بها بعـد كونها ، فوجود المعلوم لا يغيّر علم اللّه تعالى كما أنّ عدمه لا يحدّده ، فإنّه عالم بجميع المخلوقات واللامخلوقات (الذى ليس لها تقرّر فى مكان) بصور غير متناهيه .

وبعبـاره أخرى : لاـ يعقـل أخـذ الزمان فى علمه تعالى فإنّه من أفحش الأغلاط لأنّه محيط بالزّمان والزمانيّات ولا يحيط الزمان به ، ولا تعيّن فى علمـه الـذاتىّ لأـنّ التعيّن بالمشـيّه ورتبه العلم متقـدّمه عليهـا كمـا ورد فى الخـبر «لم يزل اللّه عزّ وجـلّ ربّنـا والعلم ذاته ولا معلوم»(۱) وفى آخر «كان ربّاً إذ لا مربوب وإلها إذ لا مألوه وعالماً إذ لا معلوم

۱- بحارالأنوار : ۵۴/۱۶۱ ، الكافى : ۱/۱۰۷ .

ص: ۱۶۷

وسميعاً إذ لا مسموع»(۱) بل إنّه يعلم التقديريّات أيضاً كما فى قوله تعالى « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »(۲) ففى البحار «عن الحسين بن بشار عن الإمام أبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : سألته ؛ أيعلم اللّه الشىء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلّا ما يكون ؟

فقال : إنّ اللّه تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء . قال عزّ وجلّ « إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون »(۳) وقال لأهل النار « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون »(۴) فقد علم عزّ وجلّ أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه»(۵) بل إنّه تعالى علم كلّه وقدره كلّه كما فى قول الإمام الباقر عليه السلام «إنّ اللّه نور لا ظلمه فيه وعلم لا جهل فيه وحياه لا موت فيه»(۶) .

وهذا يدلّ على أنّه كشف للمعلومات واللامعلومات فى شدّه غير متناهيه ، بل إنّه تعالى عالم بالمستحيلات كما يلوح من قوله تعالى « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا »(۷) ولذا (أى لعلمه بالمعلومات واللامعلومات والكون واللاكون ولعلمه بالتقديريّات والمستحيلات) لابدّ من أن يكون له الرأى والإراده فى خلق أحد العوالم .

توضيح ذلك : إنّ للّه تعالى علمين : علم محمول وعلم مخزون مكنون كما ورد «عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام أنّه قال : إن للّه عزّ وجلّ علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البدا ، وعلماً علّمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه»(۸) .

۱- بحارالأنوار : ۵۴/۱۶۵ ، الكافى : ۱/۱۳۸ .

۲- الأنعام : ۲۸ .

۳- الجاثيه : ۲۹ .

۴- الأنعام : ۲۸ .

۵- بحارالأنوار : ۴/۷۸ ، التوحيد : ۱۳۶ .

۶- بحارالأنوار : ۴/۸۴ ، التوحيد : ۱۳۸ .

۷- الأنبياء : ۲۲ .

۸- بحارالأنوار : ۴/۹۵ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ۱/۱۷۹ .

ص: ۱۶۸

«وعن أميرالموءمنين عليه السلام : إنّ للّه علمين علم استأثر به فى غيبه فلم يطلع عليه نبيّاً من أنبيائه ولا ملكاً من ملائكته وذلك قول اللّه تعالى « إنّ اللّه عنده علم السّاعه وينزّل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ما ذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت »(۱) وله علم قد أطلع عليه ملائكته . فما أطلع عليه ملائكته فقد أطلع عليه محمّداً وآله ، وما أطلع عليه محمّداً وآله فقد أطلعنى عليه . يعلمه الكبير منّا والصغير إلى أن تقوم الساعه»(۲) .

والظاهر أنّ العلم المخزون هو علمه الذاتىّ الذى لا تعيّن فيه ولا حدّ له وغير المحدود بنظام دون نظام ، والعلم المحمول هو العلم الذى حمّله الملائكه والأنبياء والأئمه صلوات اللّه عليهم . ولابدّ للتعيّن من تعيينه المعلوم بالرأى .

وواضح أنّ علمه الذاتىّ المعبّر عنه بالعلم المكفوف الذى لا نهايه له آب عن التعيّن ، ولذا يكون تعيّن المعلوم بتحميل العلم قلب الرسول والإمام كما هو ظاهر العباره الوارده فى زياره سيّدالشهداء عليه السلام : «إراده الربّ فى مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»(۳) وكما هو ظاهر قولهم عليهم السلام «إنّ اللّه جعل قلب وليّه وكراً لإرادته فإذا شاء اللّه شئنا»(۴) وكما يدلّ عليه قول الحجّه عليه السلام «قلوبنا أوعيه لمشيّه اللّه فإذا شاء اللّه شئنا»(۵) فقلوب أهل البيت ألواح لمحو التقديرات وإثباتها فكلّما أراد اللّه تعالى تعيينه من تلك الأنظمه اللامتناهيه لابدّ له من التعيّن العلمىّ .

والتعيّن يكون بتحميل الإمام علمه . فتعيين أحد تلك الأنظمه اللامتناهيه يكون بتحميله الإمام الذى هو الكتاب المبين الذى أحصى اللّه تعالى فيه علم كلّ شىء . وقبل أن يتحقّق الشىء فى الخارج (أى بعد تعيّنه العلمىّ وقبل تحقّقه فى الخارج)

۱- لقمان : ۳۴ .

۲- بحارالأنوار : ۲۶/۱۰۲ ، بصائر الدرجات : ۱۱۱ .

۳- بحارالأنوار : ۹۸/۱۵۳ ، كامل الزيارات : ۲۰۰ .

۴- بحارالأنوار : ۲۶/۲۵۶ ، تفسير فرات الكوفى : ۵۲۹ .

۵- بحارالأنوار : ۲۵/۳۳۷ ، الغيبه للشيخ الطوسى : ۲۴۶ .

ص: ۱۶۹

للّه تعالی أن يمحو منه ما يشاء ويثبت منه ما يشاء وله أن يمحوه بأجمعه ويثبت شيئاً آخر بدلاً منه . كما أنّ له أن يمضيه . فإذا بدا للّه تعالی فی إبداله أو تقديمه وتأخيره فعل ذلك بالعلم المكفوف ، ولذا لا يبدو للّه تعالی من جهل ومن زعم ذلک فقد كفر ، لأنّ اللّه تعالی كشف وعيان بذاته لجميع ما سواه فی عرض واحد سواء ، المقدّر منه أو غير المقدّر . فإذا بدا له فی شیء ، غيّره بعلمه اللامتناهی وأبدل المقدّر بآخر معلوم بالعلم المكفوف ، ولذا قلنا أنّه تعالی لا يبدو له من جهل .

إن قلت : هل كان يعلم اللّه تعالی أنّ الشیء الكذائی سيقع لا محاله أم لا ؟

قلت : أنّ اللّه تعالی عالم بالأشياء قبل تحقّقها وعالم بالأنظمه المختلفه الحسنی فی شدّه غير متناهيه . فإن كان المراد من السوءال أنّه هل يعلم اللّه تعالی المقدّر ؟ قلنا إنّه تعالی يعلم الغير مقدّر أيضاً . وإن كان المراد من السوءال هل يعلم وقوعه ؟ قلنا مآل ذلك إلی التقدير ، فإنّ الشیء ما لم يقدّر لم يوجد . فسوءالكم يعود إلی الصوره التاليه : هل قدّر تعالی وقوع الحدث الكذائیّ ؟ والجواب واضح لأنّ اللّه تعالی قدّره ، ولكن له أن يبدّله بتقدير آخر .

وقد أجاب عن السوءال التالی بعض مشايخنا العظام أعلی اللّه مقامهم بأنّ أخذ الزمان فی علمه غلط واضح ، لأنّه تعالی محيط بالزمان والمكان فلا يصحّ أن يقال بأنّه هل كان يعلم وقوع الشیء خارجاً . ولعلّه استفاد ذلك من قوله عليه السلام «كان اللّه ولا شیء غيره ولم يزل اللّه عالما بما كون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كونه»(۱) فالزمان لا يوءثّر فی علم اللّه تعالی .

وبعباره أُخری : لابدّ من التفريق بين العلم غير المحمول والعلم المحمول ، فإنّ الأوّل منهما كشف لما كان وما هو كائن وما لم يكن ، بل هو كشف لجميع التقديريّات بشدّه غير متناهيه فلا حدّ ولا حصر لهذا العلم ، وأمّا الثانی فهو التقدير بعينه ويمكن أن يتبدّل التقدير الأوّل بتقدير ثانٍ فإنّ ذلك لا يضرّ بعلمه تعالی بل هو دليل علی

۱- بحارالأنوار : ۴/۸۶ ح۲۳ و ۵۴/۱۶۱ ح۹۷ ، التوحيد : ۱۴۵ .

ص: ۱۷۰

سعه قدرته ونفوذ أمره وسعه علمه تعالی ، فتأمّل جیّداً .

إن قلت : لماذا لم یقدّر التقدیر الثانی من أوّل الأمر ؟

قلت : لحِکَم قـد تخفی علینا بعضـها ولکن لا یخفی أنّ فی ذلک (أی تبـدیل التقـدیر الأوّل بثانٍ) إظهاراً لسلطانه ومملکته وأنّه تعالی غیر مغلول الید بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء ویعزّ من یشاء ویذلّ من یشاء ویقدّم ما یشاء ویوءخّر ما یشاء ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء ، فیوجب ذلک الخوف والرجاء ، فالجمیع (حتّی أقرب المقرّبین) یقفون بین یـدیه موقف العبـد الذلیل لأنّ له أن یعزّ منهم من یشاء ویذلّ منهم من یشاء . فالجانی المذنب لا یعدم رجاءه ، والمحسن الموءمن لا یأمن سخطه .

ولعلّ هـذا هو السـرّ فی بکاء الأئمّه علیهم السـلام وتضـرّعاتهم العجیبه لأنّهم کانوا یجـدون عدم محدودیّه قدرته تعالی ، ولذا ورد فی الخبر بأنّه «ما عظّم اللّه عزّ وجلّ بمثل البداء»(۱) ، ولولا البداء لما بقی للدعاء وجه لأنّه یوءول إلی الفراغ من الأمر وعدم إمکان تبدیله ، فالسـعید تبقی سـعادته والشـقی لا یسـعد أبداً ، وهذا مخالف لضروره الأدیان الإلهیّه القائمه علی الدعاء والتضّرع والسوءال من الربّ تعالی .

وقد ورد فی الدعاء «وإن کنت عندک فی اُمّ الکتاب شقیّاً فاجعلنی سعیداً»(۲) أی امح شقاوتی المقدّره واکتب لی السعاده . فتأمّل فی ما ذکرنا کی تنفتح لک آفاق معرفه الربّ تعالی ومعرفه کمالاته .

والحاصل : إنّ من حِکَم البداء وقوف العبد مقام الخائف الراجی وهو الموجب لتزکیه النفس ورفعتها .

ومنها أیضاً الإعتقاد بتأثیر أعماله وأفعاله الإختیاریّه فی سعادته الدنیویّه والاُخرویّه وشقاوتها .

فتحصّل من ذلک إمکان تبدیل التقدیر الأوّل وعدم إخلال ذلک بشیء من

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۷ ، التوحید : ۳۳۳ .

۲- بحارالأنوار : ۸۳/۱۴۶ و ۲۶۷ و ۸۴/۹۹ ، مصباح المتهجّد : ۸۳ .

ص: ۱۷۱

كمالات الربّ تعالى ، بل عدم الإعتقاد بإمكان ذلك يوجب النقص فى كمالات الربّ تعالى لاستلزامه عدم القدره على تبديل ما كان وهذا كما ترى عين النقص .

نعم ، البداء لا يقع مخالفاً للحكمه أو على المستحيل إلّا أنّ الحكمه لا تنحصر فى مصداق واحد بل قد يكون لها مصاديق متعدّده وجميع أفعاله تعالى تدور مدار العدل والفضل كما أنّ المستحيل الواقعىّ لا يقع وهذا واضح ، إلّا أنّه قد يغفل العاقل فيظنّ الممكن مستحيلاً والمستحيل ممكنا ، كما عرفت .

هذا ولابدّ من الإشاره إلى أنّ النسخ يكون من سنخ البداء إلّا أنّه يقع على الأحكام فينسخ الحكم الأوّل ويبدّل بحكم جديد ، وهذا لا يضرّ بملاكات الأحكام فإنّه كما يكون للحكم الأوّل ملاك كذلك يكون للحكم الثانى أيضا ؛ وبعباره أُخرى الحكمه والملاك لا ينحصران فى حكم واحد بل قد يتعدّدان ، ولذا لا ضير فى الإلتزام بالنسخ حقيقه فى الأحكام .

أفاد شيخنا المحقّق آيه اللّه محمّدباقر الملكىّ قدس سره :

قوله تعالى : «ما ننسخ»

قال فى لسان العرب ۳/۶۱ : النسخ : إبطال الشىء وإقامه آخر مقامه ... ابن الأعرابى : النسخ تبديل الشىء من الشىء وهو غيره . ونسخ الآيه بالآيه : إزاله مثل حكمها . والنسخ : نقل الشىء من مكان إلى مكان وهو هو ... الفراء وأبو سعيد : مسخه اللّه قردا ونسخه قردا بمعنى واحد .

أقول : كلّ واحد من المعانى المذكوره قد استعمل فيها لفظ النسخ ولا يهمّنا تحقيق أنّ ذلك بحسب الوضع أو بضرب من العنايه .

والظاهر أنّ الأصل المأخوذ فى الموارد المذكوره كلّها من المعانى اللّغويّه واتّسع استعمال اللّفظ فيها بالعنايه المأخوذه فى الموضوع له ، فعلى عهده الفقيه تعيين المعنى المراد فى كلّ واحد من الموارد

ص: ۱۷۲

بحسب القرائن . قال تعالی :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِکَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِیٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنسَخُ اللَّهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ »(۱) .

و « هذَا کِتَابُنَا یَنطِقُ عَلَیْکُم بِالْحَقِّ إِنَّا کُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا کُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(۲) .

و « وَلَمَّا سَکَتَ عَن مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِی نُسْخَتِهَا هُدیً وَرَحْمَهٌ لِّلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ »(۳) .

قوله تعالی : «من آیه» أی : من علامه . والآیه مطلقه تشمل کلّ ما یصدق علیه العلامه سواء کانت تشریعیّهً أو تکوینیّهً ، فالتشریعیّه مثل الآیه الدالّه علی حکم من الأحکام فتکون حاکیه عن جعله وثبوته ، والتکوینیّه مثل ما یدلّ علی وجود الصانع أو علی شیء من نعوته وأسمائه جلّ ثناؤه من الأعیان .

ویظهر من آلاء الرحمن : ۱۱۴ ، أنّ المراد من الآیه فی المقام هو ما فی الکتب الإلهیّه السابقه لإطلاق الآیه والآیات علیها فی عدّه من آیات القرآن الکریم ، قال تعالی : « لَیْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ أُمَّهٌ قَائِمَهٌ یَتْلُونَ آیَاتِ اللّه آنَاءَ اللَّیْلِ وَهُمْ یَسْجُدُونَ »(۴) وغیرها من الآیات .

أقول : إطلاق الآیه والآیات علی تلک الکتب لا یوجب تقیید الآیه بها ولا انحصارها فیها . ولعلّ منشأ هذا أنّه زعم جواز نسخ حکم من أحکام الشرائع السابقه بالقرآن وعدم جواز نسخ شیء من أحکام القرآن بالقرآن . ولا دلیل علی هذا ، فإنّ الدّین الّذی اختاره وارتضاه سبحانه لأنبیائه هو الإسلام . قال تعالی :

۱- الحجّ : ۵۲ .

۲- الجاثیه : ۲۹ .

۳- الأعراف : ۱۵۴ .

۴- آل عمران : ۱۱۳ .

ص: ۱۷۳

« لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »(۱) .

و « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّه ِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّه ِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ »(۲) .

فالدّين الذى جاء به الأنبياء الكرام واحد ، غير أنّ اللّه سبحانه جعل لكلّ واحدٍ من أنبيائه شرعه ومنهاجا . قال تعالى :

« لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا »(۳) .

فليس نسخ حكم فى الشريعه السابقه بشىء من أحكام الشريعه اللّاحقه إلّا كنسخ حكم فى الشريعه الواحده بشىء من تلك الشريعه بعينها .

قوله تعالى : «أو ننسها»

أقول : هذا عطف على قوله : «ننسخ» ومجزوم بما جزم به المعطوف عليه . وهو من باب الإفعال بمعنى الإذهاب من الذكر والحفظ ، وإنساء الآيه إذهابها من الذكر وجعلها نسيا منسيّا بين الناس بحيث لا يذكرها ولا يعرفها أحد من الناس .

وليس فى الآيه الكريمه ما يدلّ على إنسائه تعالى شيئا من آياته عن ذكر النبىّ وحفظه ، وليس سياق الآيه الكريمه فى بيان شىء من ذلك ، وإنّما الظاهر منها بيان مالكيّته تعالى ملكا تكوينيّا وتشريعيّا على الإطلاق ونفوذ قدرته وسلطانه فيما يملكه ويتصرّفه ويحكم بما يشاء ويريد ، طبق الحكمه البالغه والتدبير العلمى على ما سيأتى توضيحه فى ذيل الآيه إن شاء اللّه . هذا أوّلاً ؛

وثانيا ، إنّ هذه الآيه الكريمه فى سوره البقره وهى مدنيّه . وقوله

۱- البقره : ۱۳۶ .

۲- آل عمران : ۱۹ .

۳- المائده : ۴۸ .

ص: ۱۷۴

تعالی : « سَنُقْرِئُکَ فَلَا تَنسَی ، إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَی ، وَنُيَسِّرُکَ لِلْيُسْرَی »(۱) ، فی سوره الأعلی وهی نازله بمکّه فی أوائل أمره صلی الله علیه و آله ، وهذا صریح فی أنّ قراءته صلی الله علیه و آله إنّما هی باللّه وبفعله تعالی وبعنایته الخاصّه به صلی الله علیه و آله وهو بقرینه قوله تعالی : «لا تنسی» الّذی هو صریح فی نفی النسیان عنه صلی الله علیه و آله علی نحو الإستمرار والدوام ، یدلّ علی إفاضته تعالی العلم بالقراءه وبذکرها وحفظها إلیه صلی الله علیه و آله .

فإن قلت : فما تقول فی الإستثناء بقوله : «إلاّ ما شاء اللّه» أی : إلاّ ما شاء اللّه أن لا یقرئه تعالی وینسی ؟

قلت : الآیه الکریمه فی سیاق الإمتنان والحنان علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله والإستثناء بالوجه المذکور خلاف صریح السیاق . وصریح فی تنزیل الأمر منزله الأمور العادیه وتنزیل شخص رسول اللّه صلی الله علیه و آله منزله الأشخاص العادیه ، بل العنایه فی هذا الإستثناء هو أنّه سبحانه لیس مغلول الید ، وأنّ کرامته تعالی علی رسوله کانت قبل مرتبه العطاء أو فی مرتبه فعلیّه العطاء ، لیست علی نحو الإیجاب علیه تعالی بل هی تفضّل منه تعالی علیه صلی الله علیه و آله .

فإن قلت : إنّ أقصی ما تدلّ علیه هذه الآیه من عصمته صلی الله علیه و آله عن النسیان ، إنّما هو بعد نزول سوره الأعلی فلا تشمل قبل نزولها .

قلت : کلاّ ، إنّ الآیه الکریمه لیست فی مقام الإخبار عمّا یفعل علی رسوله من الکرامه فی المستقبل . ولیست أیضا فی مقام المیعاد له صلی الله علیه و آله من صیانته وعصمته بإفاضته تعالی العلم الذی عبّر عنه بروح القدس علیه صلی الله علیه و آله وبیان تیسیره للیسری . وواضح أنّ الأفعال المذکوره فی مرحله الإمتنان سواء کانت بلفظ الماضی أو المضارع یراد بها تحقّق

۱- الأعلی : ۶ ۸ .

ص: ۱۷۵

الفعل من غير تقييد بالزّمان وجريانه على نحو الإستمرار والدوام ، فالماضى مثل قوله تعالى :

« إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ »(۱) .

والمضارع مثل قوله تعالى :

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »(۲) .

و « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما »(۳) .

وحيث إنّ الفعل المذكور فى مقام الإمتنان ، يراد به تحقّق الفعل فقط من دون عنايه إلى الزمان ، فإذا دخلت عليه السين تفيد تأكيد هذا المعنى .

هذا كلّه على قراءه «نُنْسِها» من باب الإفعال من نَسِىَ يَنْسَى وأمّا على قراءه «نَنْسَئْهَا» بإثبات الهمزه فى آخرها ، كما قال فى التبيان ۱/۳۹۲ : «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «نَنْسَأْها» بفتح النون والسين إثبات الهمزه الساكنه بعد السين » فمعناها التأخير أى : تأخير الآيه المنسوخه عن الوقت المضروب له قليلاً أو كثيرا ثمّ إذا شاء نسخه .

قد تحصّل من جميع ما ذكرنا أنّ الآيه الكريمه مطلقه تشمل جميع ما تمسّ عليه يد الخلقه والجعل من الأعيان والآيات التكوينيّه أو الأحكام التشريعيّه المجعوله . وكذلك مطلقه بالنسبه إلى الآيات المنسيّه سواء كانت المنسيّه تكوينيّةً أو تشريعيّه .

۱- المائده : ۱۱۰ .

۲- البقره : ۲۵۷ .

۳- الأحزاب : ۵۶ .

ص: ۱۷۶

وقوله تعالی : «نأت بخیر منها أو مثلها» جواب للشرط المذکور فی صدر الآیه ومجزوم بما جزم به الشرط .

قال ابن هشام فی المغنی ۱/۳۹۸ فی البحث عن معـانی ما : النوع الثانی ، الشرطیّه وهی نوعان : غیر زمانیّه ، نحو : « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّه ُ »(۱) و « ما ننسخ من آیه ... » .

فالمعنی : نأتی بشـیء خیر فی الحکمه والمصـلحه من المنسوخ والمنسـیّ أو نأتی بشـیء خیر من جنس المنسوخ ومن سـنخه بناءً علی تجرید أفعل من التفاضل .

وقوله تعالی : « أو مثلها » : أی ما تشابه المنسوخ والمنسیّ ویساویهما فی الحکمه والمصلحه .

ولاـ یخفی أنّ ما ذکرنا من الإطلاق ، إطلاق بـدلی . أی : من الآیات ما یجوز ویمکن أن یکون منسوخا أو منسـیّا . وهـذا الإطلاق فی معرض التقییـد لأـنّ من آیـاته ، مـا لاـ یجزی فیه النسـخ والنسـیان مثل الأحکام الثابته ؛ کوجوب التقوی وتحریم الفجور . فعلی عُهـده المفسّـِر والفقیه ، الفحص والطلب عن المخصّـِصات والمقیّدات المتّصله والمنفصله والتفقّه فیها من الکتاب والسنّه وکذلک المقیّدات العقلیّه والتدبّر والتأمّل فیها .

ثمّ إنّه لاـ دلیل ولا ظهور فی الآیه الکریمه علی کون الناسـخ فی طول المنسوخ والمنسـیّ ومقیّـِدا بزمان بعـد زمان المنسوخ ومشـروطا لنسخه ، بل الآیه الکریمه مطلقه من هذا الحیث أیضا .

ومن الممکن بحسب الواقع والثبوت أن تکون للآیه المنسوخه والمنسیّه أمثال ونظائر فی عرضها أیضا متساویا بعضها فی الحکمه

۱– البقره : ۱۹۷ .

ص: ۱۷۷

والمصلحه مع بعض آخر ، فله تعالى أن يأتى بواحده أخرى بعد رفع الأولى . والكلام فى تخصيص كلّ منها بزمان دون زمان مثل الكلام فى اختيار الأمور المترجّحه المتساويه ، ولا دليل على انحصار المثل بأن يكون فى طول المنسوخ منحصرا بفرد واحد ، فالمعتمد فى ذلك هو ظهور الآيه وإطلاقها .

ثمّ إنّه لا دليل على أنّ هذا التبديل والتحويل والإتيان بالخير والمثل بدل المنسوخ والمنسىّ مستند إلى المشيئه الأزليّه كى يكون الإتيان بالمثل إظهارا وإبرازا لزوال المنسوخ والمنسىّ وانمحاءً بانتهاء أمدها ، لأنّه على هذا لا يكون الإتيان بالناسخ شروعا وابتداءً فى الناسخ بدل المنسوخ والمنسىّ بل يكون إيجادا لما كان ثابتا فى الأزل بالمشيئه الأزليّه . فعلى هذا لا يكون النسخ بمعنى التغيير والإزاله والإبطال بل يكون معناه إظهارا لزوال عين أو حكم ، وكذلك لا يكون هناك إتيان شىء لم يكن ، بل هو إيجاد لما كان ثابتا فى الأزل ، وهذا عين الإلتزام بمقاله اليهود .

فإن قلت : إنّ المقطوع من الكتاب والسنّه أنّ الحوادث الجاريه فى العالم كلّها لابدّ أن تكون عن تقدير سابق .

قلت : نعم ، لابدّ فى كلّ حادثه من مشيئه وإراده وقدر وقضاءٍ سابق ، إلّا أنّ المقطوع من الكتاب والسنّه أنّ هذه الحقائق كلّها حادثه بالحدوث الحقيقىّ لم يكن بوجهٍ ثمّ كان ، فالنسخ المسبوق بها لا يكون إلّا حادثاً بالحقيقه لأنّه جارٍ عن مشيئه وإراده وقدر وقضاءٍ حادث مملوك للّه سبحانه بالمالكيه الذاتيّه ، فيشاء سبحانه من جهه أنّه مالك لمشيئته ، وهكذا فى إرادته وقدره وقضائه .

قوله تعالى : « ألم تعلم أنّ اللّه على كلّ شىء قدير » .

ص: ۱۷۸

أقول : الإستفهام تقريرىّ . وواضح أنّ الجواب إقرار وإثبات أى : نعلم ونشهد على أنّه تعالى على كلّ شىء قدير . وهذه الجمله المباركه فى مرحله التعليل لما تقدّم فى صدر الآيه من جواز نسخ آيه وإذهابها أو تأخيرها عن الوقت المضروب عليها وإتيان آيه خير من المنسوخه والمنسيّه أو مثلها . وهذه الجمله تقرير لسعه اقتداره تعالى على التبديل والتحويل بإزاله آيه ومحوها وإثبات آيه أخرى مكانها .

وفيها احتجاج على إبطال قول اليهود : إنّ الحوادث تجرى طبق النظام المقدّر المقضىّ فى الأزل ، وليس المراد إلاّ ـ إجراء ما كان مكتوبا فى الأزل طبق ما كتب لا يقدر على تحويل شىء ممّا فى هذا الكتاب ولا يقدر على كتابه جديده لم تكتب فى الكتاب الأزلى .

قوله تعالى : « ألم تعلم أنّ اللّه له ملك السّماوات والأرض » .

هذا تعليل آخر لما تقدّم فى صدر الآيه الكريمه من جواز إزاله آيه وإثبات آيه أخرى مكانها . والفرق بين هذا وسابقه ، أنّ السابق لبيان سعه اقتداره تكوينا على تبديل آيه مكان آيه سواء كانت تكوينيّه أو تشريعيّه واستحاله أن يمتنع عليه تعالى شىء من ذلك بخلاف هذا ، فإنّ هذا تذكره وتثبيت لشمول مالكيّته تعالى لكلّ شىء ملكا حقيقيّا ذاتيّا تشريعيّا وتكوينيّا وليس تصرّفه سبحانه فى جميع السماوات والأرض وما فيها ومن فيها إلاّ ـ تصرّف ذى حقّ فى حقّه ، فيفعل تعالى ما يشاء ويحكم ما يريد فى نظام التكوين والتشريع طبق المصلحه والحكمه.

وقوله تعالى : « ما لكم من دون اللّه من ولىّ ولا نصير » .

بمنزله التقريع على عموم قدرته وملكه تعالى وشمولها لجميع من سواه وما سواه سبحانه . والظاهر أنّ المراد من الولىّ والنصير ، من له

ص: ۱۷۹

الولایه الحقّه تکوینا وتشریعا فی القیام بأمرهم وإصلاح شؤونهم فی دینهم ودنیاهم وینصرهم علی ذلک .

والخطاب فی قوله : « ألم تعلم أنّ اللّه ... » و « ألم تعلم أنّ اللّه له ملک ... » و «ما لکم من دون اللّه ... » لیس خطابا مولویّا کی یسأل عن وجه تخصیص الخطاب فی الأوّلین برسول اللّه صلی الله علیه و آله وعن وجه تعمیمه بالمؤمنین بالثالث ، فإنّ الخطاب فی الموارد الثلاثه للتنبیه والتذکیر بحقیقه تکوینیّه ، إلاّ أنّ فی الأوّلین تشریفا خاصّا برسول اللّه صلی الله علیه و آله حیث جعله صلی الله علیه و آله شاهدا علی سعه اقتداره وشمول ملکه علی کلّ شیء ، وشاهدا علی بطلان مقاله الیهود ومن یتبعهم . وفی الخطاب إبراز العطوفه والحنان علیهم بأنّه ولیّهم وناصرهم(۱) .

أقول : ومن ذلک یظهر ما فی کلام المحقّق الخوئیّ قدس سره من أنّ المراد من النسخ هو انتهاء أمد الحکم بحیث لا تکون مصلحه بعد انتهائه ، فالحکم مقیّد بزمن خاصّ وهو معلوم للّه تعالی ومجهول للناس ولا یکون ارتفاعه إلاّ بعد ذلک الزمان لحلول أجله الواقعیّ الذی أنیط به ولذا لا یکون المراد من النسخ رفع الحکم الثابت فی الواقع ، فالخصوصیّات کالزمان دخیله فی استمرار الحکم وعدمه هذا بحسب مقام الثبوت وأمّا بحسب مقام الإثبات فیکون الناسخ بمنزله الخاصّ المنفصل الکاشف لعدم الإراده الجدیّه لاستمرار الحکم لما بعد انتهاء زمنه وبهذا الکلام سعی قدس سره لرفع الشبهه التی أوردها الیهود علی القول بالنسخ(۲) . والوجه فی ذلک هو أنّ المصلحه لا تنحصر فی أمر واحد ، بل قد یکون للشیء الواحد مصالح متعدّده فی عرض سواء فله تعالی الاتیان بواحده بعد رفع الأولی فلا یکون الناسخ فی طول المنسوخ ومقیّداً بزمان بعد زمانه ، فلیس النسخ بمعنی رفع أمر ثابت فی الشریعه بارتفاع أمده وزمانه .

۱- مناهج البیان : ۱/۳۰۰ ۳۰۶ .

۲- محاضرات فی أصول الفقه : ۴/۴۹۴ ۴۹۵ .

ص: ۱۸۰

ص: ۱۸۱

أدلّه البداء فی الآیات

الآیه الأُولی :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِکَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجا وَذُرِّیَّهً وَمَا کَانَ لِرَسُولٍ أن یَأْتِیَ بِآیَهٍ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتَابٌ ، یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۱) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال فی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت »قال : فقال : وهل یُمحی إلاّ ما کان ثابتاً وهل یثبت إلاّ ما لم یکن(۲) .

عن جمیل بن دراج عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام فی قوله « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » قال : هل یثبت إلاّ ما لم یکن وهل یمحو إلاّ ما کان(۳) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام : یا ذا المنّ لا ـ منّ علیک ، یا ذا الطول لا ـ إله إلاّ أنت ، ظهر اللاّجئین ، ومأمن الخائفین ، وجار المستجیرین ، إن کان عندک فی أمّ الکتاب أنّی شقیّ أو محروم أو مقتَّر علیّ رزقی فامح من أمّ الکتاب شقائی وحرمانی وإقتار رزقی ، واکتبنی عندک سعیداً موفّقاً للخیر موسّعاً علیّ رزقک فإنّک قلت فی کتابک المنزل علی نبیّک المرسل صلواتک علیه وآله « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » وقلت « ورحمتی وسعت کلّ شیء »(۴) وأنا شیء فلتسعنی رحمتک یا أرحم الرّاحمین وصلّی اللّه علی محمّد وآل محمّد ، وادع بما بدا لک . فإذا فرغت من الدّعاء فاسجد وقل فی سجودک : اللّهمّ أغننی بالعلم وزیّنّی بالحلم وکرّمنی بالتّقوی وجمّلنی بالعافیه یا ولیّ

۱- الرّعد : ۳۸ و ۳۹ .

۲- الکافی : ۱/۱۴۶ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ح۵۳ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۶ .

۴- الأعراف : ۱۵۶ .

ص: ۱۸۲

العافیه عفوک عفوک من النّار(۱) .

قال أبو هاشم الجعفری : سأل محمد بن صالح الأرمنی الإمام أبا محمّد علیه السلام عن قوله تعالی : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » فقال : هل یمحو إلاّ ما کان وهل یثبت إلاّ ما لم یکن .

فقلت فی نفسی : هذا خلاف قول هشام بن الحکم إنّه لا یعلم بالشیء حتّی یکون .

فنظر إلیّ فقال : تعالی الجبّار الحاکم العالم بالأشیاء قبل کونها .

قلت : أشهد أنّک حجه اللّه(۲) .

أقول : یظهر من هذه الأخبار أنّ المحو یکون حقیقیّاً فإنّه تعالی یمحو ما کان مثبتاً حقیقه ویبدله بمشیّه جدیده لم تکن سابقاً ، ولذا لا تتلاءم هذه الأدلّه مع کون البداء بمعنی «الإبداء» فإنّ ذلک هو إظهار ما خفی ، لا نشوء الرأی الذی هو ظاهر هذه الأدلّه .

عن أمیر الموءمنین علیه السلام أنّه قال : لو لا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان وبما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه ، وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۳) .

الظاهر أنّ عدم الإنباء بما یکون إلی یوم القیامه إنّما هو لأجل إمکان تغییر ما کان مقدّراً ، وإلاّ فإنّ الإمام علیه السلام یعلم المقدّرات بإذن اللّه تعالی .

عن الإمام أبی الحسن الرضا علیه السلام قال : قال علیّ بن الحسین وعلیّ بن أبی طالب قبله ومحمّد بن علیّ وجعفر بن محمّد علیه السلام : کیف لنا بالحدیث مع هذه الآیه « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » . فأمّا من قال بأنّ اللّه تعالی لا یعلم الشیء إلاّ بعد کونه ، فقد کفر وخرج عن التوحید(۴) .

۱- تهذیب الأحکام : ۵/۷۲ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۹۰ ، الخرائج والجرائح : ۲/۶۸۹ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۷ ، التوحید : ۳۰۴ ، الإحتجاج : ۱/۲۵۸ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۱۱۵ ، الغیبه للشیخ الطوسیّ : ۴۳۰ .

ص: ۱۸۳

الظاهر أنّ الوجه فى عدم التحديث هو إمكان محو ما كان مثبتاً فى قلوبهم الطاهره وإثبات ما لم يكن ، فإنّه تعالى كلّ يوم هو فى شأن .

نعم ، من الأُمور ما يكون محتوماً ولا تغيير فيه لا لأجل عدم إمكانه ، بل لأجل بعض الحكم والمصالح .

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بيّن بأنّ علمه تعالى سابق للمعلوم وليس العلم بعد وجود المعلوم ، فإنّ القائل بثبوت العلم للّه تعالى بعد وجود المعلوم لا قبله ، كافر إذ كلامه يستلزم انفصال العلم عنه تعالى فإنّه تعالى علم كلّه وعالم بجميع التقديريّات أزلاً أبداً ، وعموم هذا الكلام أعنى علمه تعالى للمعلوم قبل كونه يدلّ على أنّ البداء لا يكون عن جهل . وسيأتى توضيح ذلك إن شاء اللّه تعالى .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : كان علىّ بن الحسين عليه السلام يقول : لو لا آيه فى كتاب اللّه لحدّثتكم بما يكون إلى يوم القيامه .

فقلت : أيّه آيه ؟

قال عليه السلام : قول اللّه « يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب »(۱) .

عن الأصبغ بن نباته قال : لمّا جلس علىّ عليه السلام فى الخلافه وبايعه الناس ، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامه رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، لابساً برده رسول اللّه ، متنعّلاً نعل رسول اللّه ، متقلّداً سيف رسول اللّه ، فصعد المنبر فجلس عليه متمكّناً ، ثمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثمّ قال : يا معاشر الناس ، سلونى قبل أن تفقدونى ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، هذا ما زقّنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله زقّاً زقّاً . سلونى ، فإنّ عندى علم الأولين والآخرين أما واللّه لو ثُنّيت لى وساده فجلست عليها ، لأفتيت أهل التوراه

بتوراتهم حتّى تنطق التوراه فتقول صدق علىّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فىّ ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتّى ينطق الإنجيل فيقول صدق علىّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فىّ ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول صدق علىّ ما

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسير العيّاشىّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۱۸۴

کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ ، وأنتم تتلون القرآن لیلًا ونهاراً ، فهل فیکم أحد یعلم ما نزل فیه ، ولولا آیه فی کتاب اللّه عزّ وجلّ لأخبرتکم بما کان وما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه ، وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » ؛ الخطبه(۱) .

عن العلاء عن محمّد قال : سئل أبو جعفر علیه السلام عن لیله القدر ، فقال : تنزل فیها الملائکه والکتبه إلی سماء الدنیا فیکتبون ما هو کائن فی أمر السنه وما یصیب العباد فیها ، قال وأمر موقوف للّه تعالی فیه المشیئه یقدّم منه ما یشاء ویوءخر ما یشاء ، وهو قوله تعالی « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۲) .

أقول : یظهر من هذا الخبر الشریف أنّ الملائکه تنزل الی سماء الدنیا فتکتب ما هو کائن فی أمر السنه أی ما یُکتب لهذه السنه وأنّها سنه مطر وهطل أو سنه جفاف وجدب مثلاً وکذا تکتب ما یصیب العباد ، إلاّ أن فی هذه المکتوبات أُموراً موقوفه للّه تعالی فله أن یوءخّر منها ما شاء وله أن یقدّم منها ما شاء کتقدیم أجل زید لقطعه الرحم ، أو إنسائه وتأخیره لصلته الرحم فلیست جمیع الأُمور من المحتومات بل منها ما یکون موقوفاً علی مشیّه اللّه تعالی .

ثمّ اعلم أنّ عدم التغییر فی غیر الموقوف لیس لأجل عدم إمکانه بمعنی خروجه عن قدره اللّه تعالی ، کیف واللّه تعالی علی کلّ شیء قدیر ، بل عدم تغییره لأجل بعض الحِکَم والمصالح کاستلزام التغییر لخلف الوعد إن کان منجّزاً أو القبیح کالظلم ، وهکذا ، فلا تغفل .

عن أبی حمزه الثمالی عن الإمام أبی جعفر الباقر علیه السلام : إن اللّه عزّ وجلّ عرض علی آدم أسماء الأنبیاء وأعمارهم ، قال : فمرّ بآدم اسم داود النبی ، فإذا عمره فی العالم أربعون سنه .

۱- بحارالأنوار : ۱۰/۱۱۷ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۳۴۱ ، التوحید : ۳۰۴ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۰۲ ، الأمالی للشیخ الطوسی : ۶۰ .

ص: ۱۸۵

فقال آدم : یا ربّ ، ما أقلّ عمر داود وما أكثر عمرى . یا ربّ ، إن أنا زدت داود من عمرى ثلاثین سنه أتثبت ذلک له ؟

قال نعم یا آدم .

قال : فإنّی قد زدته من عمرى ثلاثین سنه فأنفِذْ ذلک له وأثبِتْها له عندک واطرحها من عمرى .

قال أبو جعفر علیه السلام : فأثبت اللّه عزّ وجلّ لداود فی عمره ثلاثین سنه وكانت له عند اللّه مثبته فذلک قول اللّه عزّ وجلّ : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الكتاب » ، قال : فمحا اللّه ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم یکن عنده مثبتاً . قال فمضى عمر آدم فهبط ملک الموت لقبض روحه . فقال له آدم : یا ملک الموت إنّه قد بقی من عمرى ثلاثون سنه .

فقال له ملک الموت : یا آدم ألم تجعلها لابنک داود النبیّ وطرحتها من عمرک حین عرض علیک أسماء الأنبیاء من ذریّتک وقد عرضت علیک أعمارهم وأنت یومئذ بوادى الدخیاء ؟

قال : فقال له آدم : ما أذكر هذا .

قال : فقال له ملک الموت : یا آدم لا تجحد ، ألم تسأل اللّه عزّ وجلّ أن یثبتها لداود ویمحوها من عمرک ، فأثبتها لداود فی الزبور ومحاها من عمرک فی الذكر ؟

قال آدم : حتّى أعلم ذلک .

قال أبو جعفر علیه السلام : وكان آدم صادقاً لم یذكر ولم یجحد ، فمن ذلک الیوم أمر اللّه تبارک وتعالى العباد أن یكتبوا بینهم إذا تداینوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسیان آدم وجحوده ما جعل على نفسه(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی تغییر التقدیر الأوّل حقیقه وهذا هو المراد من البداء الوارد فی الأدلّه ، فإنّ آدم علیه السلام وهب لابنه داود بعض عمره وأثبت اللّه تعالى

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۲ ، علل الشرائع : ۲/۵۵۳ .

ص: ۱۸۶

ذلک لـداود ونقص من عمر آدم علیه السـلام . وقـد اسـتدلّ الإمام الباقر علیه السـلام بهذه القضـیّه علی معنی البداء وأنّه تغییر للتقدیر السابق حقیقه ولیس إبداءً وإظهاراً لتقدیر مخفیّ عن الخلائق .

عن الإمام أبی عبـد اللّه علیه السـلام أنّه قال فی قول اللّه عزّ وجلّ : « وقالت الیهود ید اللّه مغلوله » ، لم یعنوا أنّه هکذا ولکنّهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا یزیـد ولا ینقص ، فقال اللّه جلّ جلاله تکـذیباً لقولهم : « غلّت أیـدیهم ولعنوا بما قالوا بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء » ألم تسمع اللّه عزّ وجلّ یقول : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۱) .

أقول : اسـتدلّ الإمام علیه السـلام علی بسط ید اللّه تعالی فی التقدیرات بقوله تعالی « یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۲) فـإنّه تعـالی مبسوط الیـدین لاـ یلجئه أمر إلی اختیار أحـد الطرفین دون الآخر ، فله أن یمضـی فی البریّه عـدله کما له أن یترحّم علیهم ویستعمل فیهم ید الفضل کما ستعرف إن شاء اللّه تعالی ذلک عند التعرّض للمراد من «الیدان» فی الآیه المبارکه .

عن الإمام أبی عبـد اللّه علیه السـلام فی هذه الآیه « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت » قال : فقال : وهل یمحو اللّه ما کان وهل یثبت إلّا ما لم یکن(۳) .

عن أبی حمزه الثمالی قال : قلت للإمام أبی جعفر علیه السـلام : إنّ علیّاً علیه السلام کان یقول إلی السبعین بلاء وکان یقول بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاء .

فقـال أبو جعفر علیه السـلام : یـا ثابت ، إنّ اللّه تعالی کان وقّت هـذا الأمر فی السـبعین ، فلمّا قتل الحسـین اشـتدّ غضب اللّه علی أهل الأرض فأخّره إلی أربعین ومائه سـنه ، فحدّثناکم فأذعتم الحدیث وکشفتم قناع السرّ ، فأخّره اللّه ولم یجعل له بعد ذلک وقتاً عندنا و « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » .

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۴ ، التوحید : ۱۶۷ ، معانی الأخبار : ۱۸ .

۲- الرّعد : ۳۹ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحید : ۳۳۳ .

ص: ۱۸۷

قال أبو حمزه : وقلت ذلك لأبى عبد اللّه عليه السلام ، فقال : قد كان ذلك(۱) .

بيان : لعلّ المراد من السبعين هو سنه سبعين للهجره وقد جعل اللّه بعد تلك السنه الفرج للشيعه ، ولكن لمّا قتل سيد الشهداء عليه السلام أنسأ اللّه زمن الفرج ، وبعدما أذاع الشيعه السرّ ،

ص: ۲۳۱

قال اللّه تعالى : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّه ُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »(۱) .

وقال تعالى : « وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إنَّ الْهُدَى هُدَى اللّه ِ أن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّه ِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّه ُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »(۲) .

وقال تعالى : « لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ».(۳) .

وقال تعالى : « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاهِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَهِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ »(۴).

أدلّه البداء فى الأخبار

اشاره

أمّا الأخبار الوارده فى مسأله البداء بالمعنى الّذى ذكرناه نشوء الرأى فهى فوق التواتر ، وقد مضى بعضها فى تفسير الآيات ومرّ شرحها وبيانها ، ونشير إلى بعضها الآخر . ومن أراد الإستقصاء فعليه التتبع التّام مع الدقّه فى مفادها .

عن سليمان الطلحى قال : قلت للإمام أبى جعفر عليه السلام أخبرنى عمّا أخبرت به الرسل عن ربّها وأنهت ذلك إلى قومها أ يكون للّه البداء فيه ؟

قال : أما إنّى لا أقول لك إنّه يفعل ولكن إن شاء فعل .(۵)

أقول : لعلّ الراوى ظنّ أنّه لا بدّ من البداء له فأجابه الإمام عليه السلام أنّ ذلك إلى مشيّته إن شاء كان وإلّا لم يكن . إذ روح البداء هو إمكان التغيير لا وقوعه ، ولذا لا معنى للإخبار بوقوع البداء حتما ، فتأمّل جيّدا .

عن الفضل بن أبى قره قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه عليه السلام يقول : أوحى اللّه إلى إبراهيم أنّه سيولد لك . فقال لساره فقالت : أألد وأنا عجوز ؟

۱- البقره : ۱۰۵ .

۲- آل عمران : ۷۳ .

۳- الحديد : ۲۹ .

۴- ابراهيم : ۲۷ .

۵- بحارالأنوار : ۴/۱۲۲ ، الأصول الستّه عشر : ۱۱۰ .

ص: ۲۳۲

فأوحی اللّه إليه : أنّها ستلد ويعذّب أولادها أربعمائه سنه بردّها الكلام علیّ .

قال : فلمّا طال علی بنی إسرائيل العذاب ، ضجّوا وبكوا إلی اللّه أربعين صباحاً فأوحی اللّه إلی موسی وهارون يخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائه سنه .

قال : وقال أبو عبداللّه عليه السلام : هكذا أنتم لو فعلتم لفرج اللّه عنّا ، فأمّا إذا لم تكونوا ، فإنّ الأمر ينتهی إلی منتهاه(۱) .

هذا الخبر الشريف صريح فی وقوع البداء فی الأُمم السابقه وإمكان وقوعه لهذه الأُمّه فمن دعا اللّه تعالی ردّ اللّه عنه البلاء ، فلو توجّهت أُمّه برمّتها إلی اللّه تعالی لرفع اللّه العذاب عن تلك الأُمّه ولأصبح الفرج كلّياً .

عن الفضيل قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول : من الأمور أمور محتومه جائيه لا محاله ، ومن الأمور أمر موقوفه عند اللّه يقدّم منها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء يثبت منها ما يشاء ، لم يطلع علی ذلك أحداً يعنی الموقوفه ، فأمّا ما جاءت به الرسل فهی كائنه لا يكذّب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته(۲) .

الظاهر أنّ المراد من قوله عليه السلام «ما جاءت به الرسل» هو ما جاءت به علی وجه الحتم أو إذا كان من الميعاديّات لا مطلقاً لإمكان وقوع البداء فی غير المحتوم كما لا يخفی .

قال رجل للإمام أبی جعفر عليه السلام : يا ابن رسول اللّه ، لا تغضب علیّ .

قال : لماذا ؟

قال : لما أريد أن أسألك عنه .

قال : قل .

قال : ولا تغضب .

قال : ولا أغضب .

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسير العيّاشیّ : ۲/۱۵۴ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۹ ، تفسير العيّاشیّ : ۲/۲۱۷ .

ص: ۲۳۳

قال : أرأيت قولك فى ليله القدر وتنزّل الملائكه والرّوح فيها إلى الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد علمه أو يأتونهم بأمر كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يعلمه وقد علمت أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله مات وليس من علمه شىء إلّا وعلىّ عليه السلام له واع ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : ما لى ولك أيّها الرّجل ومن أدخلك علىّ ؟

قال : أدخلنى عليك القضاء لطلب الدّين .

قال : فافهم ما أقول لك . إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا أسرى به لم يهبط حتّى أعلمه اللّه جلّ ذكره علم ما قد كان وما سيكون وكان كثير من علمه ذلك جُمَلًا يأتى تفسيرها فى ليله القدر وكذلك كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام قد علم جُمَل العلم ويأتى تفسيره فى ليالى القدر كما كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله .

قال السّائل : ء وما كان فى الجُمَل تفسير ؟

قال : بلى ، ولكنّه إنّما يأتى بالأمر من اللّه تعالى فى ليالى القدر إلى النبىّ وإلى الأوصياء افعل كذا وكذا لأمر قد كانوا علموه أُمروا كيف يعملون فيه .

قلت : فسّر لى هذا .

قال : لم يمت رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلّا حافظاً لجُمْله العلم وتفسيره .

قلت : فالذى كان يأتيه فى ليالى القدر علم ما هو ؟

قال : الأمر واليسر فيما كان قد علم .

قال السّائل : فما يحدث لهم فى ليالى القدر علم سوى ما علموا ؟

قال : هذا ممّا أمروا بكتمانه ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلّا اللّه عزّ وجلّ .

قال السّائل : فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء ؟

قال : لا ، وكيف يعلم وصىّ غير علم ما أوصى إليه .

قال السّائل : فهل يسعنا أن نقول إنّ أحداً من الوصاه يعلم ما لا يعلم الآخر ؟

قال : لا ، لم يمت نبىّ إلّا وعلمه فى جوف وصيّه وإنّما تنزّل الملائكه والرّوح فى ليله القدر بالحكم الّذى يحكم به بين العباد .

ص: ۲۳۴

قال السّائل : وما كانوا علموا ذلك الحكم ؟

قال : بلى ، قد علموه ولكنّهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتّى يوءمروا فى ليالى القدر كيف يصنعون إلى السّنه المقبله .

قال السّائل : يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : من أنكره فليس منّا .

قال السّائل : يا أبا جعفر أرأيت النّبىّ صلى الله عليه و آله هل كان يأتيه فى ليالى القدر شيء لم يكن علمه ؟

قال : لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا . أمّا علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبىّ ولا وصىّ إلاّ والوصىّ الّذى بعده يعلمه ، أمّا هذا العلم الّذى تسأل عنه فإنّ اللّه عزّ وجلّ أبى أن يُطْلِع الأوصياء عليه إلاّ أنفسهم .

قال السّائل : يا ابن رسول اللّه ، كيف أعرف أنّ ليله القدر تكون فى كلّ سنه ؟

قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سوره الدّخان فى كلّ ليله مائه مرّه ، فإذا أتت ليله ثلاث وعشرين ، فإنّك ناظر إلى تصديق الّذى سألت عنه(۱) .

أقول : لقد صعب على السائل الذى دخل على الإمام عليه السلام من غير إذن كما هو ظاهر الخبر الشريف معرفه ازدياد علم الرسول وآله عليهم السلام ، فلذا سأل الإمام عن ذلك وكرّر سوءاله فلم يجبه الإمام عليه السلام عن هذا السوءال وقال بأنّ علم ذلك مختصّ بالأوصياء عليهم السلام .

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أجاب عن هذا القسم من مسأله الراوى وهى أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وإن كان يعلم ما كان وما سيكون الى يوم القيامه إلاّ أنّه كان يعلم ذلك جُمَلًا ، وتفصيله ينزل عليه وعلى الأوصياء فى ليله القدر ، ولذا يزداد علمهم .

عن ضريس الكناسىّ قال : كنت عند الإمام أبى عبداللّه عليه السلام وعنده أبو بصير ، فقال أبو عبداللّه عليه السلام : إنّ داود ورث علم الأنبياء ، وإنّ سليمان ورث داود ، وإنّ محمّداً صلى الله عليه و آله

۱- الكافى : ۱/۲۵۱ .

ص: ۲۳۵

ورث سليمان ، وإنّا ورثنا محمّداً صلى الله عليه و آله ، وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى .

فقال أبو بصير : إنّ هذا لهو العلم .

فقال الإمام : يا أبا محمّد ، ليس هذا هو العلم ، إنّما العلم ما يحدث بالليل والنّهار يوماً بيوم وساعةً بساعه(۱) .

بيان : العلم الحادث بالليل والنهار هو العلم بالبدائيّات ، فإنّه تعالى كلّ يوم هو فى شأن ، وبما أنّ قلوب الأئمه عليهم السلام وكر مشيّته تعالى ، يكون حدوث المشيّه له تعالى موجباً لازدياد علمهم عليهم السلام .

عن أبي بصير قال : دخلت على الإمام أبى عبداللّه عليه السلام فقلت له : جعلت فداك ، إنّى أسألك عن مسأله هاهنا أحد يسمع كلامى ؟

قال : فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال : يا أبا محمّد ، سل عمّا بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك ، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب .

قال : فقال : يا أبا محمّد ، علّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام ألف باب ، يفتح من كلّ باب ألف باب .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : فنكت ساعه فى الأرض ثمّ قال : إنّه لعلم ، وما هو بذاك .

قال : ثمّ قال : يا أبا محمّد ، وإنّ عندنا الجامعه ، وما يدريهم ما الجامعه ؟

قال : قلت : جعلت فداك ، وما الجامعه ؟

قال : صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإملائه ، من فلق فيه ، وخطّ علىّ بيمينه ، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج النّاس إليه حتّى الأرش فى الخدش ، وضرب بيده إلىّ فقال : تأذن لى يا أبا محمّد ؟

۱- الكافى : ۱/۲۲۵ .

ص: ۲۳۶

قال : قلت : جعلت فداك ، إنّما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال : فغمزنى بيده وقال : حتّى أرش هذا كأنّه مغضب .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : إنّه لعلم ، وليس بذاك . ثمّ سكت ساعه ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر ؟

قال : قلت : وما الجفر ؟

قال : وعاء من أدم فيه علم النّبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل .

قال : قلت : إنّ هذا هو العلم .

قال : إنّه لعلم ، وليس بذاك ثمّ سكت ساعه ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمه علیهاالسلام ، وما يدريهم ما مصحف فاطمه علیهاالسلام ؟

قال : قلت : وما مصحف فاطمه علیهاالسلام ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات ، واللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : إنّه لعلم ، وما هو بذاك ثمّ سكت ساعه ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم السّاعه .

قال : قلت : جعلت فداك هذا واللّه هو العلم .

قال : إنّه لعلم ، وليس بذاك .

قال : قلت : جعلت فداك ، فأىّ شىء العلم ؟

قال : ما يحدث باللّيل والنّهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشّىء بعد الشّىء إلى يوم القيامه(۱) .

۱- الكافى : ۱/۲۳۸ .

ص: ۲۳۷

قوله عليه السلام «إنّه لعلم وليس بذاك» فيه إشاره إلى شرف علم ما يحدث بالليل والنهار وهو علم البدائيّات الذى يحدث للّه تعالى فيها البداء ، فيكون قلب الإمام عليه السلام مهبطاً لمشيّه اللّه تعالى .

عن إسحاق بن عمّار عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام قال : فى تسع عشره من شهر رمضان يلتقى الجمعان .

قلت : ما معنى قوله يلتقى الجمعان ؟

قال : يجمع فيها ما يريد من تقديمه وتأخيره وإرادته وقضائه(۱) .

أقول : لعلّ المراد من ذلك هو أنّ إبرام قضائه يكون فى تلك الليله ، كما هو ظاهر الخبر الآتى ، فلاحظ :

عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام قال : فى ليله تسع عشره من شهر رمضان التّقدير ، وفى ليله إحدى وعشرين القضاء ، وفى ليله ثلاث وعشرين إبرام ما يكون فى السّنه إلى مثلها ، للّه جلّ ثناوءه يفعل ما يشاء فى خلقه(۲) .

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ للّه تبارك وتعالى علمين : علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه ، وعلماً استأثر به ، فإذا بدا للّه فى شىء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمّه الذين كانوا من قبلنا(۳) .

قوله عليه السلام «فإذا بدا للّه فى شىء منه أعلمنا ذلك» أى إذا نشأ له تعالى رأى بإثبات شىء من علمه المستأثر ، أعلمنا به .

عن أبى بصير عن الإمام أبى جعفر عليه السلام فى قول اللّه « ولن يوءخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها »(۴) قال : إنّ عند اللّه كتباً موقوفه يقدّم منها ما يشاء ويوءخّر ، فإذا كان ليله القدر

۱- بحارالأنوار : ۹۴/۱ ، تفسير العيّاشىّ : ۲/۶۴ .

۲- الكافى : ۴/۱۶۰ .

۳- الكافى : ۱/۲۵۵ .

۴- المنافقون : ۱۱ .

ص: ۲۳۸

أنزل فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها ، فذلک قوله « ولن يوءخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها » إذا أنزله وكَتَبه كتّاب السماوات وهو الذى لا يوءخّره(۱) .

أقول : يظهر من ذلک أنّ ما كتبه كتّاب السماوات والأرض فى ليله القدر وأنزله ، يكون من المبرم الذى لا يوءخّره .

عن إسحاق بن عمار عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : كان فى بنى إسرائيل نبىّ وعده اللّه أن ينصره إلى خمس عشره ليله . فأخبر بذلک قومه فقالوا : واللّه إذا كان ليفعلنّ وليفعلنّ ، فأخّره اللّه إلى خمس عشره سنه وكان فيهم من وعده اللّه النصره إلى خمس عشره سنه ، فأخبر بذلک النبىّ قومه فقالوا : ما شاء اللّه . فعجّله اللّه لهم فى خمس عشره ليله(۲) .

أقول : هذا الخبر الشريف صريح فى أنّ اللّه تعالى قد يغيّر رأيه القدّوس ومشيّته بأدنى الأُمور ، فينبغى للموءمن العارف باللّه تعالى أن تشتدّ مراقبته لنفسه وأفعاله ، واللّه ولىّ التوفيق .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : بينا داود على نبيّنا وآله وعليه السلام جالس وعنده شابّ رثّ الهيئه يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملک الموت فسلّم عليه وأحدّ ملک الموت النظر إلى الشاب .

فقال داود على نبينا وآله وعليه السلام : نظرت إلى هذا .

فقال : نعم ، إنّى أمرت بقبض روحه إلى سبعه أيّام فى هذا الموضع .

فرحمه داود فقال : يا شابّ ، هل لک امرأه ؟

قال : لا ، وما تزوّجت قطّ .

قال داود : فأت فلاناً رجلاً ـ كان عظيم القدر فى بنى إسرائيل فقل له : إنّ داود يأمرک أن تزوّجنى ابنتک وتدخلها الليله وخذ من النفقه ما تحتاج إليه وكن عندها ، فإذا مضت

۱- بحارالأنوار : ۵/۱۳۹ ، تفسير القمّىّ : ۲/۳۷۰ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۲ ، الإمامه والتبصره : ۱۹۴ .

ص: ۲۳۹

سبعه أيّام فوافنى فى هذا الموضع .

فمضى الشابّ برساله داود على نبيّنا وآله وعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعه أيّام ثمّ وافى داود يوم الثامن . فقال له داود : يا شابّ ، كيف رأيت ما كنت فيه ؟

قال : ما كنت فى نعمه ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه .

قال داود : اجلس ، فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه . فلمّا طال ، قال : انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك ، فإذا كان يوم الثامن فوافنى هاهنا .

فمضى الشابّ ثمّ وافاه يوم الثامن وجلس عنده ، ثمّ انصرف أسبوعاً آخر ، ثمّ أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود فقال داود صلوات اللّه عليه : ألست حدّثتنى بأنّك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعه أيام ؟

قال : بلى .

فقال : قد مضت ثمانيه وثمانيه وثمانيه .

قال : يا داود ، إنّ اللّه تعالى رحمه برحمتك له ، فأخّر فى أجله ثلاثين سنه(۱) .

أقول : من الواضح أنّ مشيّه اللّه تعالى تعلّقت بموت الغلام ولكنّه تعالى كلّ يوم هو فى شأن ، فبدّل مشيّته بأُخرى وأنسأ فى أجل الشابّ .

عن أبى بصير قال : قلت له : ألهذا الأمر أمد تريح إليه أبداننا وننتهى إليه ؟

قال : بلى ، ولكنكم أذعتم فزاد اللّه فيه(۲) .

يظهر من هذا الخبر الشريف ازدياد أمد البلاء بسبب إذاعه السرّ ، ويظهر منه أنّ الرخاء مكتوب للشيعه ومقدّر معلوم الأجل .

روى أن الإمام الصادق عليه السلام قال : ما بدا للّه بداء كما بدا له فى إسماعيل أبى إذ أمر

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۱ ، القصص للجزائرى : ۳۴۹ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۳ ، الغيبه للشيخ الطوسى : ۴۳۱ .

ص: ۲۴۰

أباه بذبحه ، ثمّ فداه بذبح عظیم(۱) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ علی أنّ اللّه تعالی شاء ذبح إسماعیل علیه السلام علی ید أبیه إبراهیم علیه السلام ، إلاّ أنّه تعالی بدا له ففداه بذبح عظیم ، فلا یصحّ ما احتمله أو ذکره بعض الأعاظم قدس سرهم من أنّه علیه السلام کان مأمورا بمقدّمات الذبح .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : سألته عن القائم علیه السلام فقال : کذب الوقّاتون ، إنّا أهل بیت لا نوقّت(۲) .

أقول : لعلّ عدم التوقیت ناش من عدم التقدیر فی الوقت فإنّ قلوب الأئمه علیهم السلام وکر لمشیّته تعالی ، ومع ذلک لا یوقّتون وهذا یشیر إلی عدم التقدیر بالنسبه إلی وقت ظهور القائم عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف . واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : قلت : لهذا الأمر وقت ؟

فقال : کذب الوقّاتون ، کذب الوقّاتون ، کذب الوقّاتون . إنّ موسی علیه السلام لمّا خرج وافداً إلی ربّه واعدهم ثلاثین یوماً ، فلمّا زاده اللّه علی الثلاثین عشراً ، قال قومه قد أخلفنا موسی فصنعوا ما صنعوا ، فإذا حدّثناکم الحدیث فجاء علی ما حدّثناکم به ، فقولوا صدق اللّه وإذا حدّثناکم الحدیث فجاء علی خلاف ما حدّثناکم به ، فقولوا صدق اللّه ، توءجروا مرّتین(۳) .

أقول : لعلّ الوجه فی الأجر مرّتین هو التصدیق بالمشیّتین ، أعنی الأُولی التی عرض علیها البداء ، والثانیه الجدیده .

عن حبیب السجستانیّ قال : سمعت الإمام أبا جعفر علیه السلام یقول : إنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا أخرج ذریّه بنی آدم من ظهره لیأخذ علیهم المیثاق بالربوبیّه له وبالنبوّه لکلّ نبیّ ، فکان أوّل من أخذ له علیهم المیثاق بنبوّته ، محمّد بن عبداللّه صلی الله علیه و آله ، ثمّ قال اللّه عزّ وجلّ لآدم : انظر ما ذا تری ؟

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۹ ، التوحید : ۳۳۶ .

۲- الکافی : ۱/۳۶۸ .

۳- الکافی : ۱/۳۶۸ .

ص: ۲۴۱

قال : فنظر آدم عليه السلام إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملأوا السماء .

قال آدم عليه السلام : يا ربّ ما أكثر ذريّتى ولأمر ما خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟

قال اللّه عزّ وجلّ : يعبدوننى ولا يشركون بى شيئاً ويوءمنون برسلى ويتبعونهم .

قال آدم : يا ربّ ، فما لى أرى بعض الذرّ أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور أصلاً .

فقال اللّه عزّ وجلّ : وكذلك خلقتهم لأبلوهم فى كل حالاتهم .

قال آدم عليه السلام : يا ربّ ، فتأذن لى فى الكلام فأتكلّم .

قال اللّه عزّ وجلّ تكلّم ، فإنّ روحك من روحى وطبيعتك خلاف كينونتى .

قال آدم عليه السلام : فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعه واحده وجبله واحده وألوان واحده وأعمار واحده وأرزاق سواء ، لم يبغ بعضهم على بعض ولم يك بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف فى شىء من الأشياء .

قال اللّه عزّ وجلّ : يا آدم ، بروحى نطقت وبضعف طبيعتك تكلّمت ما لا علم لك به ، وأنا الخالق العليم ، بعلمى خالفت بين خلقهم ، وبمشيّتى يمضى فيهم أمرى ، وإلى تدبيرى وتقديرى صائرون ، ولا تبديل لخلقى . إنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدونى ، وخلقت الجنّه لمن عبدنى فأطاعنى منهم وأتبع رسلى ولا أبالى ، وخلقت النار لمن كفر بى وعصانى ولم يتبع رسلى ولا أبالى ، وخلقتك وخلقت ذريّتك من غير فاقه بى إليك وإليهم وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً فى دار الدنيا فى حياتكم وقبل مماتكم ، فلذلك خلقت الدنيا والآخره والحياه والموت والطاعه والمعصيه والجنّه والنار ، وكذلك أردت فى تقديرى وتدبيرى وبعلمى النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم ، فجعلت منهم الشقىّ والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغنىّ والفقير والمطيع والعاصى والصحيح والسقيم ومن به الزمانه

ص: ۲۴۲

ومن لا عاهه به ، فینظر الصحیح إلی الذی به العاهه فیحمدنی علی عافیته ، وینظر الذی به العاهه إلی الصحیح فیدعونی ویسألنی أن أعافیه ویصبر علی بلائی فأثیبه جزیل عطائی ، وینظر الغنی إلی الفقیر فیحمدنی ویشکرنی ، وینظر الفقیر إلی الغنی فیدعونی ویسألنی ، وینظر الموءمن إلی الکافر فیحمدنی علی ما هدیته ، فلذلک خلقتهم لأبلوهم فی السرّاء والضرّاء وفی ما أعافیهم وفی ما أبتلیهم وفی ما أعطیهم وفی ما أمنعهم ، وأنا اللّه الملک القادر ، ولی أن أمضی جمیع ما قدّرت علی ما دبّرت ، ولی أن أغیر من ذلک ما شئت إلی ما شئت وأقدّم من ذلک ما أخّرت وأوءخر من ذلک ما قدّمت ، وأنا اللّه الفعال لما أرید لا أسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقی عمّا هم فاعلون(۱) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ علی البداء من ناحیتین :

الأُولی : الدعاء حیث إنّ اللّه تعالی ندبهم للدعاء کی یغنی الفقیر مثلاً .

الثانیه : إنّ اللّه تعالی لم یقدّر تلک التقدیرات الفقر لشخص والغنی لآخر والعلم لرجل والجهل لثانٍ وهکذا علی نحو الحتم بل شرط علی نفسه فیها البداء ، فله أن یغیّر ما شاء کیف شاء أنّی شاء .

عن جابر الجعفیّ عن الإمام أبی جعفر عن آبائه عن أمیر الموءمنین علیه السلام فی خبر طویل قال اللّه تبارک وتعالی للملائکه : « إنّی خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون * فإذا وّیته ونفخت فیه من روحی فقعوا له ساجدین »(۲) .

قال : وکان ذلک من اللّه تقدمه فی آدم قبل أن یخلقه واحتجاجاً منه علیهم .

قال : فاغترف ربّنا تبارک وتعالی غرفه بیمینه من الماء العذب الفرات وکلتا یدیه یمین فصلصلها فی کفّه فجمدت ، فقال لها منک أخلق النبیّین والمرسلین وعبادی الصالحین والأئمّه المهتدین والدعاه إلی الجنّه وأتباعهم إلی یوم الدین ولا أُبالی ولا أُسأل عمّا أفعل وهم یسئلون . ثمّ اغترف غرفه أخری من الماء المالح الأجاج فصلصلها

۱- بحارالأنوار : ۶۴/۱۱۶ ، الکافی : ۲/۸ .

۲- الحجر : ۲۸ ۲۹ .

ص: ۲۴۳

فی كفّه فجمدت ثمّ قال لها منک أخلق الجبّارين والفراعنه والعتاه وإخوان الشياطين والدعاه إلى النار إلى يوم القيامه وأشياعهم ولا أبالی ولاـ أُسأل عما أفعل وهم يسئلون . قال وشرط فی ذلک البداء فيهم ولم يشترط فی أصحاب اليمين البداء ، ثمّ خلط المائين جميعاً فی كفّه فصلصلهما ، ثمّ كفاهما قدّام عرشه وهما سلاله من طين ، الخبر(۱) .

أقول : اشتراط البداء على نفسه للكافرين من كمال رحمته ورأفته ، وعدم اشتراطه على نفسه للموءمنين رحمه إثر رحمه ، وفی الحقيقه يكون هذا من الفضل .

ثمّ اعلم أنّنا بيّنا هذا الخبر ونظائره فی كتابنا «سدّ المفرّ على منكر عالم الذرّ» ، فراجع .

عن الإمام أبی جعفر عليه السلام قال : إنّ اللّه لم يدع شيئاً كان أو يكون إلّا كتبه فی كتاب فهو موضوع بين يديه ينظر إليه ، فما شاء منه قدّم ، وما شاء منه أخّر ، وما شاء منه محا ، وما شاء منه كان ، وما لم يشأ لم يكن(۲) .

أقول : التقديم والتأخير واضحان كما فی تقديم أجل شخص أو تأخيره ، والمحو هو محو التقدير كمن قدّر عليه الفقر ثمّ تصدّق ، فمحا اللّه عنه الفقر وكتب له الغنى .

و أمّا قوله عليه السلام «وما لم يشأ لم يكن» فالظاهر أنّه تأكيد لقوله عليه السلام «ما شاء منه محا» .

ومن المحتمل قويّا أن يكون المراد منه أنّ تحقّق كلّ شیء موقوف على مشيّه اللّه تعالى ، واللّه تعالى العالم وأولياؤه الصالحون .

عن المعلّى قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم اللّه ؟

قال : عَلِم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى ، فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيّه ، وبمشيّته كانت الإراده ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدّم على المشيّه والمشيه ثانيه والإراده ثالثه ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فللّه تبارک وتعالى البداء فی ما علم متى شاء

۱- بحارالأنوار : ۵/۲۳۷ ، تفسير القمّیّ : ۱/۳۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسير العيّاشیّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۲۴۴

وفی ما أراد لتقدیر الأشیاء . فإذا وقع القضاء بالإمضاء ، فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل کونه ، والمشیّه فی المشاء قبل عینه ، والإراده فی المراد قبل قیامه ، والتقدیر لهذه المعلومات قبل تفصیلها وتوصیلها عیاناً وقیاماً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام ، المدرکات بالحواس من ذی لون وریح ووزن وکَیْل وما دب ودرج من إنس وجن وطیر وسباع وغیر ذلک ممّا یدرک بالحواس ، فللّه تبارک وتعالی فیه البداء ممّا لا عین له ، فإذا وقع العین المفهوم المدرک فلا بداء . واللّه یفعل ما یشاء وبالعلم علم الأشیاء قبل کونها ، وبالمشیّه عرّف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإراده میّز أنفسها فی ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدیر قدّر أقواتها وعرّف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماکنها ودلّهم علیها ، وبالإمضاء شرح عِلَلها وأبان أمرها ، ذلک تقدیر العزیز العلیم(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف من عیون الأخبار التی قد ورد فیها إمکان وقوع البداء ومعناه ، وأنّ البداء لا یکون إلّا عن علم ، ومحلّ البداء ما لم یتحقّق القضاء بالإمضاء خارجاً ، فإذا وقع العین المفهوم المدرک فلا بداء لانتفاء موضوعه فإنّ المشیّه قد تمّت خارجاً فلا معنی لتبدیلها إلّا أنّه تعالی قادر علی تبدیل الواقع الخارجی بمشیّه أُخری کإعدام ما وقع فی الخارج .

حدیث التردّد

عن أبی حمزه الثمالی قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : قال اللّه تبارک وتعالی : ما تردّدت عن شیء أنا فاعله کتردّدی عن الموءمن ، فإنّی أحبّ لقاءه ویکره الموت فأزویه عنه ، ولو لم یکن فی الأرض إلّا موءمن واحد لاکتفیت به عن جمیع خلقی ، وجعلت له من إیمانه أنساً لا یحتاج معه إلی أحد(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۵/۱۰۲ ، التوحید : ۳۳۴ .

۲- بحارالأنوار : ۶/۱۶۰ ، المحاسن : ۱/۱۵۹ .

ص: ۲۴۵

عن محمّد الحلبی قال : قال الإمام أبو عبداللّه علیه السلام : قال اللّه تبارک وتعالی : لیأذن بحرب منّی مستذلُّ عبدی المؤمن ، وما تردّدت عن شیء کتردّدی فی موت المؤمن إنّی لأحبّ لقاءه ویکره الموت فأصرفه عنه ، وإنّه لیدعونی فی أمر فأستجیب له لما هو خیر له ، ولو لم یکن فی الدنیا إلاّ واحد من عبیدی مؤمن لاستغنیت به عن جمیع خلقی ولجعلت له من إیمانه أنساً لا یستوحش فیه إلی أحد(۱) .

عن أنس عن النبی صلی الله علیه و آله عن جبرئیل علیه السلام قال : قال اللّه تبارک وتعالی : من أهان لی ولیّاً فقد بارزنی بالمحاربه ، وما تردّدت فی شیء أنا فاعله مثل تردّدی فی قبض نفس المؤمن ، یکره الموت وأکره مساءته ولابدّ له منه ، وما یتقرّب إلیّ عبدی بمثل أداء ما افترضت علیه ، ولا یزال عبدی یبتهل إلیّ حتّی أحبّه ومن أحببته کنت له سمعاً وبصراً ویداً وموئلاً ، إن دعانی أجبته ، وإن سألنی أعطیته . وإنّ من عبادی المؤمنین لمن یرید الباب من العباده فأکفّه عنه لئلاّ یدخله عجب فیفسده ، وإنّ من عبادی المؤمنین لمن لم یصلح إیمانه إلاّ بالفقر ولو أغنیته لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی المؤمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالغنی ولو أفقرته لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی المؤمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالسقم ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی المؤمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالصحّه ولو أسقمته لأفسده ذلک . إنّی أدبّر عبادی بعلمی بقلوبهم فإنّی علیم خبیر(۲) .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره ما هذا نصّه :

تردّده تعالی فی قبض عبده المؤمن الذی قدّر أجله ، عباره عن ردّ ما قدّره أوّلاً وتوقّفه وتأخیره فی قبضه . فإنّه سبحانه قادر ومالک علی إمضاء ما قدّره ، وکذلک قادر علی تأخیره وصرف الموت عنه . فإنّ التردّد من باب التفعّل بمعنی قبول ردّ ما کتبه أوّلاً . ضروره أنّ الأفعال

۱- بحارالأنوار : ۶/۱۶۰ ، المحاسن : ۱/۱۶۰ .

۲- علل الشرائع : ۱/۱۲ .

ص: ۲۴۶

والأوصاف والنعوت إذا نسبت إليه تعالى ، لابدّ أن تكون على سبيل الإشتراك اللفظىّ بالتباين الصفتىّ ؛ انتهى كلامه رفع مقامه(۱) .

أقول : ما أفاده متين جـدّاً ويحتمل أن يكون المراد من التردّد فى المقام هو أن يفعل فعل المتردّد لأجل عـدم تناهى علمه تعالى وشدّه مالكيّته تعالى ومختاريّته فتأمّل جيّداً .

ولابدّ من الإشاره إلى جهات هامّه فى فهم هذا الخبر الشريف :

الجهه الأُولى : إنّ قوله تعالى فى الحديث القدسىّ «ما تردّدت فى شىء أنا فاعله كتردّدى ...» يدلّ على كثره وقوع البداء فى أمر موت الموءمن ، فإنّه تعالى لم يبدو له فى شىء كما يبدو له فى أمر موت الموءمن .

الجهه الثـانيه : الظـاهر أنّ اللّه تعـالى مع أنّه يحبّ لقـاء الموءمن إلاّـ أنّه لمّا كان الموءمن كارهاً للموت ، أنسأ اللّه تعالى أجل الموءمن مرّه بعـد مرّه كى يرضـى عبـده . والظـاهر أنّ لقاء اللّه تعالى هو معرفته تعالى به معرفه شـهوديّه عبّر عنها فى الأخبار بالمعاينه والوصـل واللقاء ، وهـذه المعرفه توجب الإنقطاع إلى اللّه تعالى والأُنس به فيكون تعالى بعـد تعريفه نفسه لعبده الموءمن أنيسه وصديقه ورفيقه وجليسه كمـا ورد فى الخبر «أنا جليس من ذكرنى»(۲) . ولقـاء الموءمن ربّه لاـ ينفع الربّ تعـالى ، فإنّه غنىّ عن العالمين ، إلاّ أنّه ينفع الموءمن . ولمّـا كـان الموءمن حبيب اللّه تعـالى ، أحبّ اللّه تعـالى لقـاءه كى ينتفع الموءمن من هـذا اللقـاء . وبمـا أنّ بـالموت تنقطع العلائق الـدنيويّه يتفرّغ العبـد الموءمن عن الإشـتغال بغيره تعالى تتجلّى المعرفه الفطريّه ، ولـذا عبّر عن الموت بلقاء اللّه ، هذا هو معنى لقاء اللّه تعالى .

والظـاهر من هـذه الأخبار المباركه حبّ اللّه تعالى للقاء المؤمن والمراد من حبّ اللقاء فى المقام أنّه تعالى يفعل فعل المحبّ ، فيعرّف نفسه لعبده المؤمن فيعاين العبد ربّه بقلبه ويأنس به ويناجيه ويدعوه وينعم بنور المعرفه كما هو صريح الأدلّه

۱- توحيد الإماميّه : ۳۹۹ .

۲- بحارالأنوار : ۳/۳۲۹ ، التوحيد : ۱۸۳ .

ص: ۲۴۷

الدالّه على مخاطبه اللّه تعالى لعباده فى الآخره ، ولعلّ اطلاق لقاء اللّه على الموت من هذا الباب .

وأفاد الشيخ الطبرسىّ كما عن العلاّمه المجلسىّ فى كون المراد من لقاء اللّه هو لقاء رحمته(۱) .

الجهه الثالثه : الوجه فى تردّده تعالى فى قبض روح الموءمن بل كثره التردّد هو كمال مختاريّه اللّه تعالى وكمال علمه وقدرته وحكمته ، فإنّه تعالى وإن كان لا يفعل إلاّ الحسن إلاّ أنّ الحسن غير منحصر فى فرد واحد ، فأىّ طرف اختار كان حسناً لكونه عدلاً ، أو لكونه فضلاً ، ولذا يبدو له تعالى فى شىء واحد عدّه مرّات . وروح الكلام هنا أنّ اللّه تعالى عالم بالعلم بلا معلوم بصور متعدّده لا يعلم عددها إلاّ هو بالنسبه إلى عمر الموءمن ، فهو يختار منها ما شاء ، وكلّ ما اختاره لا يكون إلاّ حسناً حكيماً ، فوجه البداء هو كمال مالكيته وقدرته وعلمه ومختاريّته .

الجهه الرابعه : إنّ صرف كراهه العبد للموت لا توجب صيروره قبض روحه قبيحاً ، بل للّه تعالى أن يقبض روح عبده الموءمن وإن كان الموءمن كارهاً للموت ، إلاّ أنّه تعالى لشدّه رأفته بعبده الموءمن لا يقبض روحه إلاّ بعد رضاه بترك الدنيا ، فلاحظ هذا الخبر الشريف :

عن ابن أبى يعفور قال : سمعت أباعبداللّه عليه السلام يقول : قال اللّه عزّ وجلّ : إنّ العبد من عبيدى المؤمنين ليذنب الذنب العظيم ممّا يستوجب به عقوبتى فى الدنيا والآخره فأنظر له فيما فيه صلاحه فى آخرته فأعجّل له العقوبه عليه فى الدنيا لأجازيه بذلك الذنب ، وأقدّر عقوبه ذلك الذنب وأقضيه وأتركه عليه موقوفاً غير ممضى ولى فى إمضائه المشيئه وما يعلم عبدى به فأتردّد فى ذلك مراراً على إمضائه ، ثمّ أمسك عنه فلا أمضيه كراهه لمساءته وحيداً عن إدخال المكروه عليه ، فأتطوّل عليه بالعفو عنه والصفح ، محبّه لمكافاته لكثير نوافله التى يتقرب بها إلىّ فى ليله ونهاره فأصرف ذلك

۱- بحارالأنوار : ۶۹/۲۸۱ .

ص: ۲۴۸

البلاء عنه وقد قدّرته وقضیته وترکته موقوفاً ولی فی إمضائه المشیئه ، ثمّ أکتب له عظیم أجر نزول ذلک البلاء وأدّخره وأوفّر له أجره ولم یشعر به ولم یصل إلیه أذاه وأنا اللّه الکریم الرؤوف الرحیم(۱) .

أقول : هذا الحدیث یدلّ علی شدّه عطفه تعالی بعبده المؤمن . قوله تعالی : «فأتردّد فی ذلک مراراً علی إمضائه ثمّ أمسک عنه فلا أمضیه» أی إنّه تعالی یمضیه ثمّ یعود عن الإمضاء لعدّه مرّات حتّی لا یمضیه أخیراً ویرحم عبده .

قال الإمام علیه السلام : قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : لا یزال الموءمن خائفاً من سوء العاقبه لا یتیقّن الوصول إلی رضوان اللّه حتّی یکون وقت نزع روحه وظهور ملک الموت له ، وذلک أنّ ملک الموت یرد علی الموءمن وهو فی شدّه علّته وعظیم ضیق صدره بما یخلّفه من أمواله وعیاله ، وما هو علیه من اضطراب أحواله فی معامیله وعیاله ، وقد بقیت فی نفسه حزازتها واقتطع دون أمانیه فلم ینلها . فیقول له ملک الموت : ما لک تتجرّع غصصک ؟

فیقول : لاضطراب أحوالی واقتطاعی دون آمالی .

فیقول له ملک الموت : وهل یجزع عاقل من فقد درهم زائف قد اعتاض عنه بألف ألف ضعف الدنیا ؟

فیقول : لا .

فیقول له ملک الموت : فانظر فوقک ، فینظر فیری درجات الجنان وقصورها التی تقصر دونها الأمانیّ ، فیقول له ملک الموت : تلک منازلک ونعمک وأموالک وأهلک وعیالک ومن کان من أهلک هاهنا وذریّتک صالحاً فهم هناک معک أفترضی به بدلاً ممّا هاهنا ؟

فیقول : بلی واللّه .

ثمّ یقول له : انظر ، فینظر فیری محمّداً وعلیّاً والطیّبین من آلهما فی أعلی علیّین

۱- الکافی : ۲/۴۴۹ ح ۱ .

ص: ۲۴۹

فيقول له : أو لا تراهم هوءلاء ساداتك وأئمّتك هم هناك جُلّاسك وآناسك أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هاهنا ؟

فيقول : بلى وربّى . فذلك ما قال اللّه تعالى : « إنّ الذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكه ألّا تخافوا »(۱) فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها ، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذرارى والعيال والأموال فهذا الذى شاهدتموه فى الجنان بدلاً منهم ، وأبشروا بالجنّه التى كنتم توعدون ، هذه منازلكم وهوءلاء ساداتكم آناسكم وجلّاسكم ، نحن أولياوءكم فى الحياه الدّنيا وفى الآخره ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم(۲) .

نعم ، له تعالى أن يبدو له فينسأ أجل الموءمن ، وهذا الخبر الشريف يشير إلى أنّ اللّه تعالى يبدو له فى أمر أجل الموءمن .

۱- فصّلت : ۳۰ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۲۶ ، تفسير الإمام العسكرىّ : ۲۳۹ .

ص: ۲۵۰

ص: ۲۵۱

الفصل الثامن :

البداء عن علم

قد عرفت بما ذكرناه فى بحث العلم وبحث البداء أنّ البداء لا يكون إلّا عن علم ، فإنّ البداء الذى هو بمعنى نشوء الرأى يكون منشأه سعه علمه بلا معلوم فإنّه تعالى عالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه بالعلم بلا معلوم ، فيختار واحداً منها ويعيّنه ، وله أن يبدّل ما اختاره قبل وقوعه فى الخارج ، وله أن يمضى مشيّته الأُولى ، كما أنّ له أن يبقى أصل النظام ويغيّر بعض الخصوصيّات فيه فإنّه بكلّ شىء عليم وهو على كلّ شىء قدير .

نعم ، قد يكون البداء ناشئاً من الجهل وهو البداء فى المخلوق فإنّه قد يهمّ بالإقدام على أمر ثمّ يتبيّن له بعض ما خفى عليه فيبدو له ويكفّ عن الإقدام ، إلاّ أنّ البداء فى اللّه تعالى لا يكون إلّا عن كمال العلم والقدره فإنّه تعالى علم كلّه وقدره كلّه ولا نهايه لعلمه وقدرته ، فتكون له المالكيّه على الخلق وعلى عدمه وعلى الإيجاد وعلى الإعدام ، وهو متصرّف فى كائناته كيف يشاء ، وهو مبسوط اليدين فله أن يعاملهم بفضله فيحمد ويشكر ، وله أن يعاملهم بعدله فيمجّد ويسبّح .

وهذا أى سعه علمه وقدرته هو معنى قوله تعالى « كلّ يوم هو فى شأن »(۱) فيعفو عمّن يشاء ويعذّب من يشاء مع أنّ كليهما كانا يستحقّان التعذيب ، إلاّ أنّ له تعالى أن يعفو عن أحدهما فيكون ذلك فضلاً ويعذّب الآخر فيكون ذلك عدلاً ، والمرجّح هو رأيه ومشيّته فإنّه يرحم من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، ويعذّب من يشاء بما يشاء كيف يشاء لا يسأل عن فعله وهم يسألون .

۱- الرحمن : ۲۹ .

ص: ۲۵۲

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه المحقّق محمّد باقر الملكيّ قدس سره ما هذا نصّه :

الروايات المباركه صريحه فى أنّ البداء منه تعالى لا يكون إلّا عن علم . ضروره أنّ البداء هو تبديل التقدير الأوّل بالتقدير الثانى منه تعالى . وحيث إنّ كلا التقديرين لا يكون إلّا عن مشيّه وإراده وقدر وقضاء ، وكلّ ذلك من أفعاله تعالى الحكيمه الحسنه المستنده إلى علمه تعالى ، فعلى هذا ، فانّ ما نسب إلى الشيعه الإماميه من أنّهم قائلون بالبداء فيه تعالى عن جهل ، خرافه واضحه وافتراء مبين . فنعم الحكم اللّه !

والبداء بهذا المعنى الذى تتلقّى الشيعه عن أئمتهم المعصومين من مفاخر علوم القرآن ، وهو آيه مجده وكبريائه وقدرته ومالكيته تعالى رغماً على قول من يقول : يد اللّه مغلوله وقد فرغ من الأمر ؛ انتهى كلامه رفع مقامه(۱) .

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : ما بدا للّه فى شيء إلّا كان فى علمه قبل أن يبدو له(۲) .

أقول : هذا الخبر الشريف يدلّ على أنّ البداء لا يكون إلّا عن علم وليس المراد منه أنّه تعالى كان عالماً بما سيختاره لرجوع ذلك إلى الإختيار نفسه ، فعلمه بما يختاره هو عين الإختيار كما عرفت سابقاً .

عن أبى بصير عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ للّه علمين : علم مكنون مخزون لا ـ يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فنحن نعلمه(۳) .

سأل حمران الإمام أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

۱- توحيد الإماميّه : ۳۹۴ .

۲- الكافى : ۱/۱۴۸ .

۳- الكافى : ۱/۱۴۷ .

ص: ۲۵۳

أحداً » فقال له أبو جعفر علیه السلام : « إلّا من ارتضی من رسول فإنّه یسلک من بین یدیه ومن خلفه رصداً »(۱) وکان واللّه محمّد ممّن ارتضاه . وأمّا قوله « عالم الغیب » فإنّ اللّه تبارک وتعالی عالم بما غاب عن خلقه بما یقدّر من شیء ویقضیه فی علمه ، فذلک یا حمران علم موقوف عنده إلیه ، فیه المشیئه فیقضیه إذا أراد ، ویبدو له فیه فلا یمضیه . فأمّا العلم الذی یقدّره اللّه ویقضیه ویمضیه ، فهو العلم الذی انتهی إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ثمّ إلینا .

وحدّثنا عبد اللّه بن محمّد عن ابن محبوب بهذا الإسناد وزاد فیه فما یقدر من شیء ویقضیه فی علمه أن یخلقه وقبل أن یقضیه إلی ملائکته ، فذلک یا حمران علم موقوف عنده غیر مقضی لا یعلمه غیره ، إلیه فیه المشیئه فیقضیه إذا أراد ... إلی آخر الحدیث(۲) .

بیان : یظهر من هذا الخبر الشریف أنّ سعه علمه تعالی هو المنشأ للبداء . فبما أنّه تعالی علم لا جهل فیه ، له أن یبدو له ، ولا یکون البداء إلّا عن علم .

عن الإمام أبی عبداللّه الصادق علیه السلام قال : من زعم أنّ اللّه یبدو له فی شیء الیوم لم یعلمه أمس فابرءوا منه(۳) .

فاتّضح بما ذکرناه زیف ما رُمیَ الشیعه بأنّهم یلتزمون بالجهل فی اللّه تعالی ، ذلک أنّ الشیعه اتّبعوا أئمّتهم علیهم السلام فی عقائدهم ، وعرفوا ما بیّنه الهداه الراشدون ، فاقتفوا آثارهم عن علم ومعرفه واستیقنوا بما بیّنوه فللّه الحمد أوّلاً وآخراً .

ومن هنا نری أنّ فقهاء الشیعه أبطلوا القول بکون البداء فی اللّه تعالی بمعنی الظهور بعد الخفاء لاستلزامه الجهل فی اللّه تعالی وإلیک بعض کلامهم قدّس اللّه أسرارهم :

قال السیّد المرتضی قدس سره :

۱- الجنّ : ۲۶ ۲۷ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۰ ، بصائر الدرجات : ۱۱۳ .

۳- کمال الدین : ۱/۶۹ .

ص: ۲۵۴

البداء فی لغه العرب هو الظهور من قوله : «بدا الشیء : إذا ظهر وبان ، والمتکلّمون تعرّفوا فی ما بینهم أن یسمّوا ما یقتضی هذا البداء باسمه ، فقالوا : إذا أمر اللّه تعالی بالشیء فی وقت مخصوص علی وجه معیّن ومکلّف واحد ، ثمّ نهی عنه ، فهو بداء ، والبداء علی ما حدّدناه لا یجوز علی اللّه تعالی لأنّه علم بنفسه ، ولا یجوز له أن یتجدّد کونه عالماً ، ولا أن یظهر له من المعلومات ما لم یکن ظاهراً .

وقد وردت أخبار آحاد لا توجب علماً ، ولا تقتضی قطعاً بإضافه البداء إلی اللّه ، وحملها محقّقو أصحابنا علی أنّ المراد بلفظه البداء فیها النسخ للشرائع ولا خلاف بین العلماء فی جواز النسخ للشرائع(۱) .

أقول: أنکر السیّد المرتضی قدس سره البداء بمعنی الظهور بعد الخفاء فی اللّه تعالی لاستلزامه الجهل فیه عزّ وجلّ.

نعم لا یمکن المساعده علی ما بیّنه من أنّ الأخبار التی دلّت علی البداء لیست إلّا أخبار آحاد لما عرفت من دلاله الآیات علی البداء مضافاً إلی الأخبار المتواتره بالتواتر المعنویّ ولکن لا علی البداء بمعنی الظهور بعد الخفاء بل علی البداء بمعنی الظهور بعد العدم ونشوء الرأی ، و ذلک لا یوجب نسبه الجهل إلی اللّه تعالی کما عرفت سابقاً من أنّ للّه تعالی علمین ، علم محمول وعلم غیر محمول ومن العلم غیر المحمول یکون البداء وفی المحمول یقع البداء ، فلمّا کان اللّه تعالی عالماً بأنظمه لا متناهیه یکون رأیه معیّناً لوقوع أحد تلک الأنظمه وله أن یغیّر ما شاء فی النظام الذی خلقه لعلمه بذلک ، فإن شاء تقدیر ثلاثین عاماً لزید فعل وله أن یزید فی ذلک أو ینقص فیه لعمله بذلک ، و هذا لا یوجب نسبه الجهل إلی اللّه تعالی کما هو واضح و قد مرّ تفصیل ذلک ولا یحتاج إلی الإعاده .

وقال الشیخ الطوسیّ قدس سره :

۱- رسائل الشریف المرتضی : ۱۱۷ مسأله ۵ ، المسأله الرازیّه .

ص: ۲۵۵

البـداء حقيقه في الظهور ، ولـذلک يقال: بدا لنا سور المدينه، وبدا لنا وجه الرأی وقال اللّه تعالی: « وَبَدَا لَهُمْ سَـيِّئاتُ ما عَمِلُوا »(۱) و « وبدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا »(۲) .

فأمّا إذا أُضـيفت هذه اللفظه إلی اللّه تعالی ، فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز ؛ فأمّا ما يجوز من ذلک ، فهو ما إذا أفاد النسخ بعينه ، ويكون إطلاق ذلـک عليه ضـرباً من التوسّع ، وعلى هـذا الوجه يحمـل جميع مـا ورد عن الصـادقين عليهماالسـلام من الأخبـار المتضمّنه لإضافه البداء إلی اللّه ، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن .

ووجه إطلاق ذلک فيه تعالی ، هو أنّه إذا كان منه ما يدلّ على النسخ ، يظهر به للمكلّفين ما لم يكن ظاهراً ، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلاً لهم ، أطلق على ذلک لفظ البداء(۳) .

أقول: كلامه قـدس سره واضـح في عـدم جواز نسبه الجهل إلی اللّه تعالی وأنّ البـداء بمعنی الظهور بعد الخفاء لا يكون بالنسـبه إليه تعالی .

نعم تفسير البـداء بالإبـداء ممّا لا يمكن المساعـده عليه لكونه خلاف ظاهر الآيات والأخبار الـدالّه على البـداء حقيقه ولكن لا بمعنی الظهور بعد الخفاء بل بمعنی نشوء الرأی وسيأتيک الردّ على تفسير البداء بالإبداء.

وقال العلّامه السيّد عبداللّه شبّر قدس سره :

للبداء معان ، بعضها يجوز عليه ، وبعضها يمتنع ، وهو بالفتح والمدّ أكثر ما يطلق في اللغه على ظهور الشيء بعد خفائه ، وحصول العلم به بعـد الجهـل ، واتّفقت الأُمّه على امتناع ذلک على اللّه سـبحانه إلّا من لا يعتـدّ به ، ومن نسب إلی الإماميّه فقـد افترى عليهم كـذباً ، والإماميّه براء

۱- الجاثيه : ۳۳ .

۲- الزمر : ۴۸ .

۳- عده الأُصول : ۲/۲۹ ، ولاحظ كتاب الغيبه للشيخ الطوسی : ۲۶۳ .

ص: ۲۵۶

منه ، وقد یطلق علی النسخ ، وعلی القضاء المجدّد ، وعلی مطلق الظهور ، وعلی غیر ذلک من المعانی(۱) .

وقال العلاّمه المجلسیّ قدس سره :

إعلم أنّه لمّا کان البداء ممدوداً فی اللغه بمعنی ظهور رأی لم یکن ، یقال : بدی الأمر بدواً : ظهر ، وبدا له فی هذا الأمر بداء أی نشأ له فیه رأی کما ذکره الجوهریّ وغیره ، فلذلک یشکل القول بذلک فی جناب الحقّ تعالی لاستلزامه حدوث علمه تعالی بشیء بعد جهله ، وهذا محال . ولذا شنّع کثیر من المخالفین علی الإمامیّه فی ذلک نظراً إلی ظاهر اللفظ من غیر تحقیق لمرامهم ، حتّی إنّ الناصبیّ المتعصّب الفخر الرازی ذکر فی خاتمه کتاب «المحصّل» حاکیاً عن سلیمان بن جریر أنّ أئمّه الرافضه وصفوا القول بالبداء لشیعتهم ، فإذا قالوا أنّه سیکون لهم أمر ثمّ لا یکون الأمر علی ما أخبروه قالوا : بدا للّه تعالی فیه (إلی أن قال بعد نقل کلام الفخر الرازی ونقده) ولا أدری من أین أخذ هذا القول الذی افتری به علیهم ، مع أنّ کتب الإمامیّه المتقدّمین علیه کالصدوق والشیخ والمرتضی وغیرهم رضوان اللّه علیهم مشحونه بالتبرّی عن ذلک(۲) .

أقول: کلامه قدس سره صریح فی نفی الجهل عن اللّه تعالی ولکن لا یمکن المساعده علی ما بیّنه من نفی البداء بمعنی الظهور بعد العدم ونشوء الرأی . إذ البداء بالمعنی الذی ذکرناه لا یوجب تغییر علمه تعالی إنّما هو تغییر فی الإراده والمشیّه ، فالتغییر لا یکون فی العلم المخزون إنّما یکون فی العلم المحمول وهذا لا یوجب نسبه الجهل إلی اللّه تعالی بل یوجب الإقرار بسعه علمه وإحاطه قدرته وکونه ذا رأی ومشیّه یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید .

۱- مصابیح الأنوار : ۱/۳۳ .

۲- مرآه العقول : ۲/۱۲۳ و ۱۲۶ .

ص: ۲۵۷

وأمّا قول الرازى فبعيد عن التحقيق ولا ينمّ منه إلاّ النصب والعداء لأئمّه الهدى عليهم السلام ، إذ البداء لا يقع فى أصول الدين وأصول المذهب كما أنّه لا يقع فى الأمور التى أخبر أئمّه الهدى عليهم السلام بأنّها ممّا لا يبدو للّه تعالى فيها ، أو فى الأمور التى يستلزم من تغييرها تكذيب اللّه تعالى وتكذيب رسله وأوليائه ، وقد بُيِّنت هذه الأمور فى أحاديث أئمّه الهدى عليهم السلام وسيأتى الكلام عن ذلك فى فصل موارد البداء .

ص: ۲۵۸

ص: ۲۵۹

الفصل التاسع :

آثار الإعتقاد بالبداء

إذا عرفت مـا ذكرنـاه لـك فى هـذه الأوراق يتّضـح لك الوجه فى أهمّيه البـداء الـذى لم يكن اللّه تعالى ليبعث نبيّاً من أنبيائه إلّا بعد الإقرار بالبـداء ، فإنّ الإقرار به من أركان النبوّه . فإنّ البداء بالمعنى الذى جاءت به الآيات والأخبار يوجب انفتاح باب الدعاء والمسأله ، ويوجب الخوف والرجاء الحقيقيّين من اللّه تعالى ، ولـذا يكون العارف بالبـداء خائفاً راجياً يخافه لـذنبه الذى ارتكبه ، فيخشـى عدل اللّه تعالى ويرجوه لكرمه وعفوه .

ولولاـ البـداء لما كان معنى للـدعاء والإسـتجابه والخوف والرجاء معاً ، كما أنّ معرفه البـداء توجب الإستزاده من الأعمال الصالحه لما يرى العبد من التأثيرات فيها ، وتوجب مراقبه النفس من ارتكاب المحارم ، فلاحظ الأدلّه التاليه :

قال اللّه تعالى : « وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »(۱) .

أقول : الظاهر من الآيه المباركه أنّ اللّه تعالى يستجيب للداعين عند دعائهم أو بعده ، لا أنّه يظهر استجابته الأزلّيه سابقاً عند الدعاء .

عن بسطام الزّيّات عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ الدّعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبراماً(۲) .

عن حمّاد بن عثمان قال : سمعته يقول : إنّ الدّعاء يردّ القضاء ينقضه كما ينقض

۱- غافر : ۶۰ .

۲- الكافى : ۲/۴۶۹ .

ص: ۲۶۰

السلک وقد أبرم إبراما(۱) .

عن عبداللّه بن سنان قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : الدعاء یردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً ، فأکثر من الدّعاء فإنّه مفتاح کلّ رحمه ونجاح کلّ حاجه ، ولا ـ ینال ما عند اللّه عزّ وجلّ إلاّ ـ بالدّعاء ، وإنّه لیس باب یکثر قرعه إلاّ یوشک أن یفتح لصاحبه(۲) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : إنّ الدعاء یردّ القضاء وإنّ الموءمن لیأتی الذنب فیحرم به الرزق(۳) .

ورد فی الدعاء بعد زیاره الإمام الرضا علیه السلام : أسألک بالقدره النافذه فی جمیع الأشیاء وقضائک المبرم الذی تحجبه بأیسر الدعاء(۴) .

أقول : هذه الأدلّه واضحه المراد فی أنّ الدعاء یردّ القضاء الحقیقیّ ، فلیس هناک إبداء بل هو بداء حقیقه .

قال أمیرالموءمنین علیه السلام : الرجاء للخالق سبحانه أقوی من الخوف ، لأنّک تخافه لذنبک وترجوه لجوده ، فالخوف لک والرجاء له(۵) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ علی وجود الخوف والرجاء فی قلب الموءمن ، وأنّ الخوف هو بسبب القبائح التی ارتکبها ، والرجاء هو لأجل الرحمه الإلهیّه . وأنّ من کان فی قلبه الخوف والرجاء ، سیرحمه اللّه تعالی ، فإنّ کرمه یجلّ عن مجازاه المقصّرین .

قال اللّه تعالی : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّه ِ إِمَّا یُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَاللّه ُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ »(۶) .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام فی قول اللّه عزّ وجلّ « وآخرون مرجون لأمر اللّه » قال :

۱- الکافی : ۲/۴۶۹ .

۲- الکافی : ۲/۴۷۰ .

۳- بحارالأنوار : ۷۰/۳۴۹ ، قرب الإسناد : ۱۶ .

۴- بحارالأنوار : ۹۹/۵۵ .

۵- شرح نهج البلاغه : ۲۰/۳۱۹ .

۶- التّوبه : ۱۰۶ .

ص: ۲۶۱

قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزه وجعفر وأشباههما من الموءمنين ، ثمّ إنّهم دخلوا فى الإسلام فوحّدوا اللّه وتركوا الشّرك ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من الموءمنين فتجب لهم الجنّه ، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار ، فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم(۱) .

أقول : قد مرّ دلاله الآيه المباركه على البداء . وبيانها الموجب لذكرها ثانيا فى المقام هو أنّها تدلّ على أنّ بعض الناس سيكونون فى حال الخوف والرجاء إلى أن يشإ اللّه تعالى لهم الرحمه أو العذاب .

أفاد سيّد الفقهاء والمجتهدين المحقّق الخوئىّ قدس سره فى بيان آثار البداء :

أنّ القول بالبداء يوجب توجّه العبد إلى اللّه تعالى وتضرّعه إليه وطلبه إجابه دعائه وقضاء حوائجه ومهمّاته وتوفيقه للطاعه وإبعاده عن المعصيه .

كلّ ذلك إنّما نشأ من الإعتقاد بالبداء وبأنّ عالم المحو والإثبات بيده تعالى « يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ »(۲) .

وهذا بخلاف القول بإنكار البداء وأنّ كلّ ما جرى به قلم التقدير لا يمكن أن يتغيّر وأنّه كائن لا محاله ، حيث إنّ لازمه أنّ المعتقد بهذه العقيده مأيوس عن إجابه دعائه وقضاء حوائجه ، فإنّ ما يطلبه العبد من ربّه لا يخلو من أن يجرى قلم التقدير بإيجاده أو لا يجرى ، فعلى الأوّل فهو موجود لا محاله ، وعلى الثانى لن يوجد أبدا ولن ينفعه الدعاء والتضرّع والتوسّل حيث يعلم بأنّ تقديره لن يتغير أبدا .

ومن الطبيعى أنّ العبد إذا يئس من إجابه دعائه وأنّه لا يؤثر فى تقديره تعالى أصلًا ، ترك التضرّع والدعاء له تعالى ، لعدم فائده فى ذلك .

۱- الكافى : ۲/۴۰۷ .

۲- الرعد : ۳۹ .

ص: ۲۶۲

وكذلك الحال فى سائر العبادات والصدقات التى ورد عن المعصومين عليهم السلام أنّها تزيد فى العمر والرزق وغير ذلك ممّا يطلبه العبد ، ولأجل هذا السرّ قد ورد فى الروايات الكثيره عن الأئمّه الأطهار عليهم السلام الاهتمام بشأن البداء(۱) .

وأفاد شيخنا الأستاذ آيه اللّه الميرزا حسن علىّ المرواريد قدس سره فى بيان آثار البداء :

وعرفانُ العبدِ هذا الكمالِ له تعالى ، يفتح عليه باب الرجاء ، والخوف ، والدعاء ، والإنابه ، والمواظبه على الطاعه ، وترك المعصيه ، والتوبه ، وابتغاء الوسيله ، والإجتهاد فى العباده ، والتضرّع إليه تعالى شأنه ، وصله الأرحام والصدقه ، وغيرها(۲) .

۱- محاضرات فى أصول الفقه : ۴/۵۰۶ .

۲- تنبيهات حول المبدأ والمعاد : ۲۰۲ .

ص: ۲۶۳

الفصل العاشر :

البداء لیس هو الإبداء

قد ذهب بعض الأعلام إلی أنّ البداء علی الحقیقه لا یعقل فی اللّه تعالی لاستلزامه الجهل فی ذاته القدّوس وهو باطل عقلًا ، ولذا لابدّ من أن یکون المراد من البداء هو الإبداء تنزیلًا ، فلاحظ العبارات التالیه :

أفاد سیّد الفقهاء والمجتهدین المحقّق الخوئیّ قدس سره ما هذا نصّه :

(البداء) قد التزم الشیعه بالبداء فی التکوینیّات وخالف فی ذلک العامّه وقالوا باستحاله البداء فیها لاستلزامه الجهل علی الحکیم تعالی : ومن هنا نسبوا إلی الشیعه ما هم براء منه وهو تجویز الجهل علیه تعالی باعتبار التزامهم بالبداء .

ولکن ، من الواضح أنّهم لم یحسنوا فی فهم ما هو مراد الشیعه من البداء ، ولم یتأمّلوا فی کلماتهم حول هذا الموضوع وإلّا لما نسبوا إلیهم هذا الإفتراء الصریح والکذب البین .

وممّن نسب ذلک إلی الشیعه ، الفخر الرازی فی تفسیره الکبیر عند تفسیر قوله تعالی : « یمحو اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أم الکتاب » قال : «قالت الرافضه : البداء جائز علی اللّه تعالی وهو أن یعتقد شیئاً ثمّ یظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده» وهذا کما تری کذب صریح علی الشیعه ، وکیف کان ، فلا یلزم من الإلتزام بالبداء الجهل علیه تعالی ، کیف فإنّ الشیعه ملتزمون به ، فمع ذلک یقولون باستحاله الجهل علیه سبحانه وتعالی .

ص: ۲۶۴

وقد ورد فی بعض الروایات أنّ من زعم أنّ اللّه عزّ وجلّ یبدو له فی شیء لم یعلمه أمس فابرأوا منه ، وفی بعضها الآخر فأمّا من قال بأنّ اللّه تعالی لا یعلم الشیء إلاّ بعد کونه ، فقد کفر وخرج عن التوحید .

وقد اتّفقت کلمه الشیعه الإمامیه علی أنّ اللّه تعالی لم یزل عالماً قبل أن یخلق الخلق بشتّی أنواعه بمقتضی الحکم العقل الفطری وطبقاً للکتاب والسنّه .

بیان ذلک أنّه لا شبهه فی أنّ العالم بشتّی ألوانه وأشکاله تحت قدره اللّه تعالی وسلطانه المطلق ، وأنّ وجود أیّ ممکن من الممکنات فیه منوط بمشیئته تعالی وإعمال قدرته ، فإن شاء أوجده ، وإن لم یشأ لم یوجده ، هذا من ناحیه .

ومن ناحیه أخری إنّ اللّه سبحانه عالم بالأشیاء بشتّی أنواعها وأشکالها منذ الأزل ، وإنّ لها بجمیع أشکالها تعییناً علمیّاً فی علم اللّه الأزلیّ ویعبّر عن هذا التعیین بتقدیر اللّه مرّه وبقضائه مرّه أخری .

ومن ناحیه ثالثه إنّ علمه تعالی بالأشیاء منذ الأزل لا یوجب سلب قدره اللّه تعالی واختیاره عنها ، ضروره أنّ حقیقه العلم بشیء ، الکشف عنه علی واقعه الموضوعیّ من دون أن یوجب حدوث شیء فیه . فالعلم الأزلیّ بالأشیاء هو کشفها لدیه تعالی علی واقعها من الإناطه بمشیئه اللّه واختیاره ، فلا یزید انکشاف الشیء علی واقع ذلک الشیء . وقد فصّلنا الحدیث من هذه الناحیه فی مبحث الجبر والتفویض بشکل موسّع .

فالنتیجه علی ضوء هذه النواحی الثلاث هی أنّ معنی تقدیر اللّه تعالی للأشیاء وقضائه بها أنّ الأشیاء بجمیع ضروبها کانت متعیّنه فی العلم الإلهی منذ الأزل علی ما هی علیه من أنّ وجودها معلّق علی

ص: ۲۶۵

أن تتعلّق المشيئه الإلهيه بها حسب اقتضاء الحكم والمصالح التی تختلف باختلاف الظروف والتی یحیط بها العلم الإلهی .

ومن ضوء هذا البیان یظهر بطلان ما ذهب إلیه الیهود من أنّ قلم التقدیر والقضاء حینما جری علی الأشیاء فی الأزل ، استحال أن تتعلّق المشیئه الإلهیّه بخلافه .

ومن هنا قالوا یـد اللّه مغلوله عن القبض والبسط والأخـذ والإعطاء ، ووجه الظهور ما عرفت من أنّ قلم التقـدیر والقضاء لا یزاحم قدره اللّه تعالی علی الأشیاء حین إیجادها حیث إنّه تعلّق بها علی واقعها الموضوعیّ من الإناطه بالمشیئه والإختیار ، فکیف ینافیها ؟!

ومن الغریب جـدّاً أنّهم (لعنهم اللّه) التزموا بسـلب القـدره من اللّه ولم یلتزموا بسـلب القدره عن العبد مع أنّ الملاک فی کلیهما واحد وهو العلم الأزلیّ فإنّه کما تعلّق بأفعاله تعالی کذلک تعلّق بأفعال العبید .

فالنتیجه إنّهم التزموا بحفظ القدره لأنفسـهم وأنّ قلم التقدیر والقضاء لا ینافیها ، وسـلب القدره عن اللّه تعالی وأنّ قلم التقدیر والقضاء ینافیها ، وهذا کما تری .

وبعد ذلک نقول : إنّ المستفاد من نصوص الباب أنّ القضاء الإلهی علی ثلاثه أنواع :

الأول : قضاؤه تعالی الذی لم یطلع علیه أحداً من خلقه حتی نبیّنا محمّد صـلی الله علیه و آله وهو العلم المخزون الذی اسـتأثر به لنفسه المعبّر عنه باللوح المحفوظ تارهً وبأمّ الکتاب تارهً أخری .

ولا ریب أنّ البداء یستحیل أن یقع فیه کیف یتصوّر فیه البداء وأنّ اللّه سبحانه عالم بجمیع الأشیاء بشتّی ألوانها منذ الأزل لا یعزب عن علمه مثقال ذرّه لا فی الأرض ولا فی السماء ، ومن هنا قد ورد فی

ص: ۲۶۶

روايات كثيره أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم لا أنّه يقع فيه :

منهـا : مـا رواه الصـدوق باسـناده عن الحسن بن محمّـد النوالى أنّ الرضا عليه السـلام قال لسـليمان المروزىّ : رويت عن أبى عن أبى عبداللّه عليه السلام أنّه قال : «إنّ للّه عزّ وجلّ علمين : علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلاّ هو من ذلك يكون البداء ، وعلماً علّمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيّك يعلمونه» .

ومنها : ما عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبداللّه عليه السلام قال : «إنّ للّه علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه» .

الثانى : قضاء الذى أخبر نبيّه وملائكته بأنّه سوف يقع حتماً ، ولا شـبهه فى أنّ هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء ، ضـروره أنّ اللّه تعالى لاـ يكـذّب نفسه ورسـله وملائكته وأولياءه ، فلا فرق بينه وبين القسم الأوّل من هـذه الناحيه . نعم يفترق عنه من ناحيه أخرى وهى أنّ هذا القسم لا ينشأ منه البداء دون القسم الأول .

وتدلّ على ذلك عدّه روايات :

منها : قوله عليه السـلام فى الروايه المتقـدّمه عن الصدوق أنّ عليّاً عليه السـلام كان يقول : «العلم علمان فعلم علّمه اللّه ملائكته ورسـله فما علّمه ملائكته ورسـله فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدّم منه ما يشاء ويوءخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء» .

ومنهـا : ما روى العيّاشـى عن الفضـيل قال : سـمعت أبا جعفر عليه السـلام يقول : من الأمور أمور محتومه جائيه لا محاله ، ومن الأمور أمور موقوفه عند اللّه يقدّم منها ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، لم

ص: ۲۶۷

يطلع على ذلک أحداً يعنى الموقوفه فأمّا ما جاءت به الرسل فهى كائنه لا يكذّب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته .

الثـالث : قضـاء اللّه الـذى أخبر نبيّه وملائـكته بوقوعه فى الخارج لا بنحو الحتم بل معلّقاً على أن لا تتعلّق مشـيئه اللّه على خلافه . وفى هـذا القسم يقع البـداء عنه بعـالم المحو والإثبـات وإليه أشـار بقوله « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنـده أم الكتاب » ، « للّه الأمر من قبل ومن بعد » . وقد دلّت على ذلک عدّه نصوص .

منهـا : مـا فى تفسـير علىّ بن إبراهيم عن عبـد اللّه بن مسـكان عن أبى عبـد اللّه عليه السـلام قال : «إذا كان ليله القـدر نزلت الملائكه والروح والكتبه إلى السـماء الـدنيا ، فيكتبون مـا يكون من قضاء اللّه تعالى فى تلک السـنه ، فإذا أراد اللّه أن يقـدّم شـيئاً أو يوءخّره أو ينقص شيئاً ، أمر الملک أن يمحو ما يشاء ثمّ أثبت الذى أراده .

قلت : وكلّ شىء هو عند اللّه مثبت فى كتاب اللّه ؟

قال : نعم .

قلت : فأىّ شىء يكون بعده ؟

قال : سبحان اللّه ، ثمّ يحدث اللّه أيضاً ما يشاء تبارک وتعالى .

ومنها : ما فى تفسيره أيضاً عن عبداللّه بن مسكان عن أبى جعفر وأبى عبداللّه وأبى الحسن عليهم السلام عند تفسير قوله تعالى : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم » أى يقـدّر اللّه كلّ أمر من الحقّ ومن الباطل وما يكون فى تلک السـنه ، وله فيه البـداء والمشـيئه ، يقدّم ما يشاء ويوءخّر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء» .

ومنها : ما فى الإحتجاج عن أميرالموءمنين عليه السلام أنّه قال : «لولا آيه فى

ص: ۲۶۸

كتاب اللّه لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامه ، وهى هذه الآيه : « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ومثله ما عن الصدوق فى الأمالى والتوحيد عن أميرالموءمنين عليه السلام .

ومنها : ما فى تفسير العياشى عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام قال : «كان علىّ بن الحسين عليه السلام يقول : لولا آيه فى كتاب اللّه لحدّثتكم بما يكون إلى يوم القيامه .

فقلت : أيّه آيه ؟

قال : قول اللّه « يمحو اللّه » الخ» .

ومنها : ما فى قرب الإسناد عن البزنطى عن الرضا عليه السلام قال : قال أبو عبد اللّه وأبو جعفر وعلىّ بن الحسين والحسين بن علىّ وعلىّ بن أبى طالب عليهم السلام «لولا آيه فى كتاب اللّه لحدّثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعه ، « يمحو اللّه » الخ» .

ومنها : ما عن العيّاشى عن ابن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السلام يقول : «إنّ اللّه يقدّم ما يشاء ويوءخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أمّ الكتاب . وقال : فكلّ أمر يريد اللّه فهو فى علمه قبل أن يصنعه ليس شىء يبدو له إلاّ وقد كان فى علمه ، إنّ اللّه لا يبدو له من جهل» .

ومنها ما رواه عن عمّار بن موسى عن أبى عبد اللّه عليه السلام سئل عن قول اللّه : « يمحو اللّه » الخ . قال : «إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو اللّه ما يشاء ويثبت ، فمن ذلك الذى يردّ الدعاء القضاء وذلك الدعاء مكتوب عليه الذى يُرَدُّ به القضاء حتّى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً» وغيرها من الروايات الدالّه على ذلك .

فالنتيجه على ضوء هذه الروايات هى أنّ البداء يستحيل أن يقع فى القسم الأوّل من القضاء المعبّر عنه باللّوح المحفوظ وبأمّ الكتاب

ص: ۲۶۹

والعلم المخزون عنـد اللّه ، بداهه أنّه کیف یتصوّر البداء فیه وأنّ اللّه سـبحانه عالم بکنه جمیع الأشـیاء بشتّی ألوانها منذ الأزل لا یعزب عن علمه مثقـال ذرّه فی الأـرض ولاـ فی السـماء . نعم هـذا العلم منشأ لوقوع البـداء یعنی أنّ انسـداد باب هـذا العلم لغیره تعالی حتّی الأنبیاء والأوصیاء والملائکه أوجب وقوع البداء فی بعض إخباراتهم .

وکذا الحال فی القسم الثانی من القضاء نظراً إلی أنّ العقل یستقلّ باستحاله تکذیب اللّه تعالی نفسه أو أنبیائه .

وأمّـا القسم الثـالث فهو مورد لوقوع البـداء ولا یلزم من الإلتزام بالبـداء فیه أی محـذور کنسـبه الجهل إلی اللّه سـبحانه وتعالی ، ولا ما ینـافی عظمته وجلاـله ، ولاـ الکـذب حیث إنّ إخباره تعالی بهـذا القضاء لنبیّه أو ولیّه لیس علی نحو الجزم والبتّ ، بل هو معلّق بعـدم مشیئته بخلافه ، فإذا تعلّقت المشـیئه علی الخلاف لم یلزم الکـذب ، فإنّ ملاک صـدق هذه القضـیّه وکذبها إنّما هو بصدق الملازمه وکذبها ، والمفروض أنّ الملازمه صادقه وهی وقوعه لو لم تتعلق المشیئه الإلهیه علی خلافه . مثلًا ، أنّ اللّه تعالی یعلم بأنّ زیداً سوف یموت فی الوقت الفلانی ویعلم بأنّ موته فیه معلّق علی عدم اعطائه الصدقه أو ما شاکلها ، ویعلم بأنّه یعطی الصدقه فلا یموت فیه ، فها هنا قضـیّتان شـرطیّتان ففی إحـداهما : قـد علّق موته فی الوقت الفلانی بعدم تصدّقه أو نحوه ، وفی الأخری قد علّق عدم موته فیه علی تصدّقه أو نحوه .

ونتیجه ذلک أنّ المشـیئه الإلهیّه فی القضیّه الأولی قد تعلّقت بموته إذا لم یتصدّق ، وفی القضیّه الثانیه قد تعلّقت بعدم موته وبقائه حیّا إذا تصدّق

ومن الواضح أنّ إخباره تعالی بالقضیّه الأولی لیس کذباً ، فإنّ

ص: ۲۷۰

المناط فی صدق القضیّه الشرطیّه وکذبها هو صدق الملازمه بین الجزاء والشرط وکذبها لا بصدق طرفیها ، بل لا یضرّ استحاله وقوع طرفیها فی صدقها . فعلمه تعالی بعدم وقوع الطرفین هنا لا یضرّ بصدق إخباره بالملازمه بینهما ، وکذا لا محذور فی إخبار النبی أو الوصی بموته فی هذا الوقت معلّقاً بتعلّق المشیئه الإلهیّه به ، فإنّ جریان البداء فیه لا یوجب کون الخبر الذی أخبر به المعصوم کاذباً لفرض أنّ المعصوم لم یخبر بوقوعه علی سبیل الحتم والجزم ومن دون تعلیق ، وإنّما أخبر به معلّقاً علی أن تتعلّق المشیئه الإلهیه به ، أو أن لا تتعلّق بخلافه .

ومن الواضح أنّ صدق هذا الخبر وکذبه إنّما یدوران مدار صدق الملازمه بین هذین الطرفین وکذبها ، لا وقوعهما فی الخارج وعدم وقوعهما فیه .

فالنتیجه فی نهایه المطاف هی أنّه لا مانع من الإلتزام بوقوع البداء فی بعض إخبارات المعصومین علیهم السلام فی الأمور التکوینیّه ولا یلزم منه محذور لا بالإضافه إلی ذاته سبحانه وتعالی ولا بالإضافه إلیهم علیهم السلام .

وقد تحصّل ممّا ذکرناه أنّ نتیجه البداء الذی تقول به الشیعه الإمامیّه وتعتقد به هی الإعتراف الصریح بأنّ العالم بأجمعه تحت سلطان اللّه وقدرته حدوثاً وبقاءً ، وأنّ مشیئه اللّه تعالی نافذه فی جمیع الأشیاء ، وأنّها بشتّی ألوانها بأعمال قدرته واختیاره . وقد تقدّم الحدیث من هذه الناحیه فی ضمن نقد نظریّتی الجبر والتفویض ، هذا من ناحیه .

ومن ناحیه أخری ، أنّ فی الإعتقاد بالبداء یتّضح نقطه الفرق بین

ص: ۲۷۱

العلم الإلهی وعلم غیره ، فإنّ غیره وإن کان نبیّاً أو وصیّاً کنبیّنا محمّد صلی الله علیه و آله لا یمکن أن یحیط بجمیع ما أحاط به علمه تعالی وإن کان عالماً بتعلیم اللّه إیّاه بجمیع عوالم الممکنات ، إلاّ أنّه لا یحیط بما أحاط به علم اللّه المخزون المعبّر عنه باللّوح المحفوظ وبأمّ الکتاب حیث أنّه لا یعلم بمشیئه اللّه تعالی لوجود شیء أو عدم مشیئته إلاّ حیث یخبره اللّه تعالی به علی نحو الحتم .

ومن ناحیه ثالثه إنّ القول بالبداء یوجب توجّه العبد إلی اللّه تعالی وتضرّعه إلیه وطلبه إجابه دعائه وقضاء حوائجه ومهمّاته وتوفیقه للطّاعه وإبعاده عن المعصیه ، کلّ ذلک إنّما نشأ من الإعتقاد بالبداء وبأنّ عالم المحو والاثبات بیده تعالی « یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۱) .

وهذا بخلاف القول بإنکار البداء ، وأنّ کلّ ما جری به قلم التقدیر لا یمکن أن یتغیّر وأنّه کائن لا محاله ، حیث إنّ لازمه أنّ المعتقد بهذه العقیده مأیوس عن إجابه دعائه وقضاء حوائجه ، فإنّ ما یطلبه العبد من ربّه لا یخلو من أن یجری قلم التقدیر بایجاده أو لا یجری . فعلی الأوّل فهو موجود لا محاله ، وعلی الثانی لن یوجد أبدا ولن ینفعه الدعاء والتضرّع والتوسّل حیث یعلم بأنّ تقدیره لن یتغیّر أبدا .

ومن الطبیعی أنّ العبد إذا یئس من إجابه دعائه وأنّه لا یؤثّر فی تقدیره تعالی أصلاً ، ترک التضرّع والدعاء له تعالی ، لعدم فائده فی ذلک .

وکذلک الحال فی سائر العبادات والصدقات التی ورد عن المعصومین علیهم السلام أنّها تزید فی العمر والرزق وغیر ذلک ممّا یطلبه

۱- الرعد : ۳۹ .

ص: ٢٧٢

العبد . ولأجل هذا السرّ قد ورد فی الروایات الکثیره عن الأئمّه الأطهار علیهم السلام الاهتمام بشأن البداء :

منها : ما رواه الصدوق فی کتاب التوحید باسناده عن أحدهما علیهماالسلام قال : «ما عبد اللّه عزّوجلّ بشیء مثل البداء» .

ومنها : ما رواه بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبداللّه علیه السلام قال : «ما عظّم اللّه عزّوجلّ بمثل البداء» .

ومنها : ما رواه بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبی عبداللّه علیه السلام قال : «ما بعث اللّه عزّوجلّ نبیّا حتّی یأخذ علیه ثلاث خصال : الإقرار بالعبودیّه ، وخلع الانداد ، وأنّ اللّه یقدّم ما یشاء ویؤخّر ما یشاء» . وقد ورد أیضا فی الروایات الکثیره من طرق أهل السنّه أنّ الصدقه والدعاء یغیّران القدر .

والنکته فی هذا الإهتمام : هو أنّ القول بعدم البداء یشترک بالنتیجه مع القول بأنّ اللّه تعالی غیر قادر علی أن یغیّر ما جری علیه قلم التقدیر ، تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا ، حیث إنّه مخالف لصریح الکتاب والسنّه وحکم العقل الفطری کما عرفت . ومن المعلوم أنّ ذلک یوجب یأس العبد من إجابه دعائه ، وهو یوجب ترکه وعدم توجهه إلی ربّه فی قضاء مهمّاته وطلباته .

إلی هنا قد استطعنا أن نخرج بالنتائج التالیه :

الأولی : أنّ ما عن العامّه من نسبه تجویز الجهل علیه سبحانه وتعالی إلی الشیعه باعتبار التزامهم بالبداء ، فقد عرفت أنّه افتراء صریح علیهم وأنّ الإلتزام بالبداء لا یستلزم ذلک ، بل هو تعظیم وإجلال لذاته تعالی وتقدّس .

الثانیه : أنّ العالم بأجمعه وبشتّی أشکاله تحت سلطان اللّه تعالی

ص: ۲۷۳

وقدرته كما أنّه تعالى عالم به بجميع أشكاله منذ الأزل . وقد عرفت أنّ هذا العلم لا ينافى ولا يزاحم قدرته واختياره . ومن هنا قلنا أنّ ما ذهب إليه اليهود من أنّ قلم التقدير والقضاء إذا جرى على الأشياء فى الأزل استحال أن تتعلّق المشيئه الإلهيه بخلافه ، خاطئ جدّاً ولا واقع موضوعى له أصلًا ، فإنّ قلم التقدير والقضاء لا ينافى قدرته ولا يزاحم اختياره .

الثالثه : أنّ قضاءه تعالى على ثلاثه أنواع :

١ قضاؤه الذى لم يطلع عليه أحدا من خلقه .

٢ قضاؤه الذى أطلع بوقوعه أنبياءه وملائكته على سبيل الحتم والجزم .

٣ قضاؤه الذى أطلع بوقوعه أنبياءه وملائكته معلّقاً على أن لا ـ تتعلّق مشيئته على خلافه ، ولا ـ يعقل جريان البداء فى القضاء الأوّل والثانى وإنّما يكون ظرف جريانه هو الثالث ، وهذا التقسيم قد ثبت على ضوء الروايات وحكم العقل الفطرى .

الرابعه : أنّه لا يلزم من الإلتزام بالبداء أى محذور كتجويز الجهل عليه سبحانه أو ما ينافى عظمته وإجلاله أو الكذب ، بل فى الإعتقاد به تعظيم لسلطانه وإجلال لقدرته ، كما لا يلزم منه محذور بالإضافه إلى أنبيائه وملائكته ، بل فيه امتياز علم الخالق عن علم المخلوق .

الخامسه : أنّ حقيقه البداء عند الشيعه الإماميه هى بمعنى الإبداء أو الإظهار ، وإطلاق لفظ البداء عليه مبنىّ على التنزيل وبعلاقه المشاكله .

السادسه : أنّ فائده الإعتقاد بالبداء هى الإعتراف الصريح بأنّ العالم بأجمعه تحت سلطان اللّه وقدرته « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب » وتوجّه العبد إلى اللّه تعالى وتضرّعه إليه فى قضاء حوائجه

ص: ۲۷۴

ومهمّاته وعدم يأسه من ذلك ، وهذا بخلاف القول بإنكار البداء ، فإنّه يوجب يأس العبد ولا يرى فائده فى التضرّع والدعاء ، وهذا هو السرّ فى اهتمام الأئمه عليهم السلام بشأن البداء فى الروايات الكثيره . انتهى ما أردنا نقله(۱) .

محصّل كلامه قدس سره : أنّ اللّه تعالى عالم بشتّى أنواع الأشياء أزلاً ويعبّر عن هذا التعيين العلميّ بتقديره تعالى مرّه وقضائه أُخرى .

ثمّ إنّ علمه تعالى أزلاً لا يوجب سلب القدره عنه ضروره أنّ حقيقه العلم هو الكشف عن الشيء من دون اسلتزام حدوث شيء فيه فلا تنافى بين العلم والقدره . ولذا لا وجه لما ذهب اليه اليهود من أنّ يد اللّه تعالى مغلوله لأنّ التقدير لا يزاحم القدره الإلهيّه ، فإنّ اللّه تعالى عالم بأنّه قدّر ما قدّر عن علم وقدره .

ثمّ بيّن قدس سره بأنّ القضاء الإلهيّ على ثلاثه أنواع :

۱ قضاؤه الذى لم يطلع عليه أحدا من خلقه وهو العلم المخزون ، ولا يتصوّر فى ذلك البداء لأنّه تعالى عالم بجميع الأشياء بشتّى ألوانها منذ الأزل .

۲ قضاؤه الذى أخبر نبيّه وملائكته به بأنّه سيكون حتماً ، وهذا أيضاً لا يقع فيه البداء ضروره أنّه تعالى لا يكذّب نفسه ولا رسله .

۳ قضاؤه الذى أخبر به نبيّه وملائكته به لا على نحو الحتم ، وهذا ممّا يقع فيه البداء .

فالظاهر من هذه العبارات أُمور :

الأوّل : أنّه قدس سره ذهب إلى أنّ العلم المخزون المكنون هو القضاء الإلهى وهو المنشأ للبداء فى القسم الثالث من القضائيّات ، فلا يعقل أن يقع فيه البداء .

الثانى : أنّ اليهود ذهبوا إلى انغلال يد اللّه تعالى وإنّه تعالى مجبور فى أفعاله مع التزامهم بالإختيار فى أفعالهم ، وردّ ذلك بأنّ العلم لا يغيّر من الواقع الموضوعيّ ،

۱- محاضرات فى أصول الفقه تقرير بحث المحقّق الخوئيّ : ۴/۴۹۶ ۵۰۹ .

ص: ۲۷۵

فإنّ العلم كشف للحقائق واللّه تعالى يعلم أنّه يفعل ما يفعل عن قدره واختيار .

الثالث : أنّ البداء عند الشيعه ليس إلّا بمعنى الإبداء والإظهار ، ولذا لا يستلزم الجهل فى حقّه تعالى .

وقد التزم بما بيّنه من أنّ البداء بمعنى الإبداء تلميذه آيه اللّه السيّد تقىّ القمّىّ حفظه اللّه وإليك نصّ عباراته :

إنّ جميع الأمور معلومه عنـد ذاته المقـدّسه والمعلوم عنده قسـمان : قسم فى اللّوح المحفوظ ، وقسم فى لوح المحو والإثبات . والذى يكون فى اللّوح المحفوظ لا يتغيّر ولا يتبدّل ، وأمّا القسم الثانى فهو قابل التغيّر والتبدّل .

والبداء فى الحقيقه هو الإبداء وإظهار ما كان مسـتوراً . مثلًا قد قدّر أن يعمر زيد خمسين سنه بشرط عدم صلته لرحمه ، وأمّا إذا وصل رحمه يزيد فى عمره ثلاثين سنه ، فمعنى البداء إظهار ما كان مجهولاً .

وببيان واضح : كان المقدّر أن يعمّر خمسين ثمّ يبدو ويظهر أنّ عمره ثمانون ، وبهذا المعنى لا يتوجّه الإشكال . والشيعه قائلون بالبداء بهذا المعنى ولا يلزم منه استناد الجهل إلى ذاته المقدّسه ، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً . انتهى ما أردنا نقله(۱) .

أقول : أمّا ما أفاده من أنّ المراد من العلم المخزون هو التقـدير الإلهىّ والقضاء ، فلا يمكن الإلتزام به لافتراق العلم عن التقدير . فالعلم ليس هو التقدير والقضاء ، فإنّهما من صفات الأفعال وقد مرّت الإشاره إليه ، فراجع .

وأمّـا مـا أفـاده من عطف كلام اليهود إلى إنكار قـدره اللّه تعالى واختياره ، فلا يمكن المساعـده عليه إذ الظاهر من كلامهم هو إنكار القدره على التغيير والتبديل وأنّ يده

۱- آراؤنا : ۱/۳۸۸ .

ص: ۲۷۶

تعالى مغلوله بالنسبه إلى التغييرات لا بالنسبه إلى أصل الخلقه .

وبعباره أُخرى : إنّ الظاهر من كلام اليهود هو إنكار القـدره على التغيير لا القدره فى أصل الخلق فلا يعود كلامهم إلى إنكار الإختيار ، فتأمّل جيّداً .

وأمّا ما أفاده من أنّ البداء إنّما هو بمعنى الإبداء فلا يتوافق مع المستفاد من الآيات والأخبار . ويرد عليه أُمور :

۱ البداء لغه ليس بمعنى الإبداء إنّما هو بمعنى الحدوث بعد العدم .

۲ الظاهر من الأدلّه بل صريحها وقوع التغيير فى المشيّه الإلهيّه حقيقه ، وهذا وإن كان لا ينافى ما ذكره حيث إنّه التزم بوقوع التغيير فى القضاء بالمعنى الثالث ، ولكن ليس ذلك تغييراً للمشيّه بمعنى التقدير الحقيقىّ .

۳ إنّ الآثار المترتّبه على البـداء الثابت بالأدلّه تنعدم إذا فسّرنا البداء بالإبداء . فإذا كانت التقديرات كلّها مقدّره من الأزل ، لا تحصـل للعبـد حاله الخوف أو الرجاء ، فإنّه إمّا معـذّب لا محاله وإمّا مرحوم لا محاله ، فلا معنى للخوف والرجاء فليذهب وينام إمّا حزيناً كئيباً وإمّا قرير العين ، فلا بداء إنّما هو إبداء حقيقه !!

والظاهر أنّ الوجه فى تفسير البـداء بالإبداء هو التفصّى من نسـبه الجهل إلى اللّه تعالى وقد عرفت أنّ ذلك لا يكون حتّى وإن التزمنا بالبداء بالمعنى اللّغوى فإنّ اللّه تعالى عالم أزلاً بجميع الأنظمه اللامتناهيه الحسـنى وغير الحسـنى وتقدير نظام من بين الأنظمه الحسـنى متوقّف على رأيه ومشيّته . وبعـد التقـدير له تعالى أن يبـدّل ما شاء بما شاء لعلمه تعالى بالمشاء وغيره ، فليس علمه تعالى محدوداً بما شـاءه بـل هو عـالم بمـا لا ـ يشـاؤه أبـداً ، وعـالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه التى فيها أنظمه حكيمه بما لا يحصـيه إلّا علمه . فالتغيير فى المشيّه وإن كان حقيقيّاً ، لا يوجب نسبه الجهل إلى اللّه تبارك وتعالى .

وأمّا علمه بما سيغيّره ، فقد عرفت أنّ ذلك يرجع إلى تقديره وله أن لا يقدّر شيئاً

ص: ۲۷۷

فيرجئه إلى أن يشاء كما هو صريح الآيه المباركه « و آخرون مرجون لأمر اللّه »(۱) فيمكن أن تكون هناك أمور لم يقدّر اللّه تعالى فيها شيئاً بالخصوص بل تبقى معلّقه على مشيّته وإرادته . وهذا لا يوجب الجهل فيه تعالى لأنّه تعالى كما هو عالم بطرف الرحمه عالم بطرف الغضب والعدل أيضاً . وأمّا اختياره لأحد الأطراف ، فيرجع إلى رأيه القدّوس ولا دخل له بعلمه ، وأمّا علمه بما يختاره فمآله إلى اختياره لأحد الأطراف ، فتأمّل جيّداً .

ولذا نرى أنّ أستاذه المحقّق النائينى قدس سره أقرّ بأصل البداء لدلاله الأدلّه عليه ولكن أرجع علمه إلى أهله(۲) . فلو كان البداء بمعنى الإبداء لكان الأمر سهلاً غايه السهوله ولا يكون عليه غبار أبداً ، كما أنّ تلميذه المحقّق الروحانى قدس سره لم يرتض ما ذكروه فى المقام لعدم قناعته بما ذكر من الحلول ، وأوكل علمه إلى أهله(۳) .

والذى يهوّن الخطب فى المقام هو أنّه ليس مراد الأعلام رحمهم اللّه تعالى إنكار البداء الوارد فى الكتاب والسنّه قطعاً ، كيف وهم مأمونون على دين الناس ودنياهم وأجهدوا أنفسهم بل أوقفوها لخدمه الدين ولذا التزموا بجميع الآثار المترتّبه على البداء الحقيقىّ كما هو ملحوظ من كلمات المحقّق الخوئىّ قدس سره فإنّه التزم بالدعاء وحصول الخوف والرجاء ، إنّما أخطأوا فى التخريج الفنّىّ للمسأله . والعصمه لأهلها والحمد للّه ربّ العالمين .

۱- التوبه : ۱۰۶ .

۲- أجود التقريرات : ۱/۵۱۳ .

۳- منتقى الأصول : ۳/۴۰۴ .

ص: ٢٧٨

ص: ۲۷۹

الفصل الحادی عشر :

کلمات العلماء البشریّین فی فاعلیّه اللّه تعالی والبداء

(۱)

تمهید :

إذا کـانت یـد العلم البشـریّ هی أقصـر وأعجز من تنـاول کنه الحقائق المادیّه علی حقیقتها اعترافاً من کبارهم وإذعاناً من خبرائهم فی العلوم التجربیّه والحسـیّه فإنّها بالنسـبه إلی نیل الغیب والعلوم الممنوعه عن الحسّ أعجز وأقصر ، بل حقّ القول أنّ البشر لا سبیل له من ذات نفسه إلی إدراک الحقائق الغیبیّه بشکل عامّ ، والعلوم والمعارف الإلهیّه بشکل خاص .

والطریق الوحیـد الـذی یسـتطیع سوق الإنسـان بین أطناب حجب الجهل إلی عالم الغیب هو طریق الوحی الـذی ینطق عن اللّه سـبحانه وتعالی وینبئ عمّا وراء حجاب الغیب ، أمّا محاوله الإستغناء عنه فلا یزید صاحبه إلاّ حیره ومتاهه وإلاّ ظلمه وجهلاً وعمی .

من هنـا کـان الإنفصال عن معارف القرآن و علوم حملته علیهم السـلام أو محاوله تفسـیر القرآن وکلام حَمَلَته علیهم السـلام بالأفکار البشـریّه الـدخیله أو الممزوجه بأفکار علماء الیونان أو الهند ، کان ذلک سـبباً أصـیلاً فی الانحراف عن الحقّ ومزاوله الحقیقه ، ومهما کـان الابتعـاد أکثر أو السـعی لفهم کلامـ اللّه تعـالی وکلام حَمَلَه القرآن علیهم السـلام بالفکر المشوب بالأسـس الإغریقیّه أشـدّ کان الانحراف أعظم وأکثر والمصـیبه أدهی وأمرّ . ولأجل هذا نری أنّ علماء البشـر ما استطاعوا الوصول إلی الحقائق فی الدین ووقعوا فی شبهات

۱- هـذا الفصل کُتب بعـد وفاه شـیخنا العلاّمه علم الهـدی قـدس سره فلم نوفّق لعرضه علیه ، وسعینا لإیراد الإشـکالات علی کلمات العلماء البشریّین بنفس الطریقه التی تعلّمناها من الأستاذ ؛ علیّ الرضویّ .

ص: ۲۸۰

ما قدروا على الخروج منها بالفكر البشرىّ كشبهه التشبيه بين اللّه تعالى وخلقه فى مبحث التوحيد وشبهه الجبر فى بحث الإراده وشبهه المعاد الروحانىّ فى بحث المعاد وغيرها من الشبهات فى مباحث أصول الاعتقاد .

قدره اللّه حقيقه لا خيال :

من ضمن الشبهات التى وقعوا فيها هى سلب الإختيار بمعناه الحقيقىّ عن اللّه تعالى ، فذهبوا إلى أنّه تعالى فاعل بالرضا أو العنايه أو التجلّى أو العشق أو القسر وغير ذلك من الأقوال التى ستقف على أشهرها ويرد على كلّ واحد منها ما لا يخفى على المطّلع على المعارف الإلهيّه المستوحاه من الكتاب والسنّه والعقل .

ولا ـ يهمّنا التعرّض لجميع الأقوال ههنا إذ فى ذلك خروج عن محطّ الكلام ولكن ما يسع البحث طرحه هو أنّ من ذهب إلى كون فاعليّه اللّه تعالى بالرضا أو التجلّى أو غيرها من أنواع الفاعليّات المطروحه فى كلام علماء البشر ينكر اختياريّه اللّه تعالى وإن كان من حيث لا يشعر ، والمنكر لمختاريّه اللّه تعالى لا يستطيع أن يلتزم بالبداء ، إذ البداء وقدره اللّه تعالى على تغيير ما شائه وأراده وقدّره وقضاه وأمضاه فرع لثبوت قدرته على أن يشاء وأن لا ـ يشاء حقيقهً لا ـ لفظاً ، وإنكار قدرته تعالى على أن لا يشاء فى صوره تماميّه فاعليّته هو عين إنكار مختاريّته تعالى فى أصل الفعل فضلاً عن تغييره . فلا يتمكّن من أسّس فكره على المبانى البشريّه من قبول البداء الوارد فى الكتاب والسنّه للتعارض البيّن بين ما جاء فيهما مع الأفكار المستوحاه من العلوم الإغريقيّه القديمه .

وبما أنّ البداء كما عرفت موءسّس على مسأله علمه تعالى وقدرته ، وأنّ البشر تخبط فى البداء لجورهم عن قول الحقّ فى العلم والقدره ، لزم الإشاره إلى بعض ما

(۲۹۰)

ذكروا فى العلم الإلهىّ وفاعليّته تعالى وما يترتّب على مبانيهم من مفاسد وإشكالات ، ثمّ بيان مقالتهم فى البداء .

ص: ۲۸۱

قال صدر الدین الشیرازیّ :

لا ـ شبهه فی أنّ واجب الوجود تامّ الحقیقه وفوق التمام وکذا لضرب من ملائکته المقرّبین والعقول القادسین تامّه الذوات متصلّه الهویّات بهویّه الواحد

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بکلمة الشکر والتقدیر إلی مکاتب مراجع التقلید منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسسات، الکتّاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹